وزارة التعليم العالى

جامعة عنابة

معهد اللغة والأدب العربى

الشعر النسوي الاندلسي

في

القرن الخامس الهجري

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربى القديم

اعداد الطالب :

سعد بوفلاقة

اشراف الدكتور :

عبد الرءوف مخلوف

وزارة التعليم العالى

جامعة عنابة

معهد اللغة والأدب العربى

الشعر النسوي الاندلسي

في
القرن الخامس الهجري

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربى القديم

اعداد الطالب :
سعد بوفلاقة

اشراف الدكتور :
عبد الرءوف مخلوف

1406 هـ - 1986 م

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا

الإهداء

إلى والديّ
وأساتذتي
وزوجتي
وأصدقائي
وإلى كل من ساعدني على إنجاز هذا
البحث، ووسعني بعطفه، فأضاء طريقي
أقدم هذه الباكورة، هدية شكر
وعرفان.

سعد

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

حينما التحقت بالدّراسات العليا أخذت أتحسّس صورة أدبنا العربي بخاصة لكي أختار موضوعا لرسالة الماجستير ، فرحت أقرأ وأقرأ للتحسس ، ولفت نظري أنّي وجدت أدبنا في المغرب لم يحظ باهتمام الدّارسين كما حظي صنوه في المشرق العربي ، ومثل ذلك أصاب أدب الأندلس ، فكان نصيبه من البحث قليلا ، ولا سيما الشّعر النسوي ، فإنّه لم يدرس دراسة وافية معمقة لحد الآن (1) بالرّغم من تحقيق أمهات التراث الاندلسي ونشرها في الفترة الأخيرة .

---

(1) وقد اطلعت على دراستين للشعر النّسوي الأندلسي ، الأولى قام بها : الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه : الأدب الأندلسي — موضوعاته وفنونه ، صدر عن دار العلم للملايين ، بيروت ، 1979 ، ط 4 . حيث خصّص الباب الثاني من كتابه للحديث عن شاعرات الأندلس . والثانية قام بها : محمد المنتصر الرّيسوني ، ونشرها في مجلة (دعوة الحق) المغربية بعنوان : الشعر النّسوي في الأندلس ، ثم طبعها في كتاب بدار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة 1978 .

غير أنّ كليهما لم يتعرض للخصائص الفنية ، ولذلك جعلت فصلا للخصائص الفنية أزعم أنني أضفت فيه جديدا يستحق الاهتمام .

مقدمة

وبدا لي أنّ القرن الخامس الهجري قد شهد جمهرة من نساء الأندلس الشاعرات اللّائي أبدعن شعرا كما أبدع الرّجال طوال إمارات الأندلس ، ورأيت هذه الأشعار تناثر عقدها هنا وهناك ، وتفرّقت في كتب التّراث الأندلسي ، مثل نفح الطيب للمقري ، والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد ، والإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب وغيرهما .

ولهذا بدا لي أن اختيار " الشعر النّسوي الأندلسي في القرن الخامس الهجري " موضوعا لرسالتي ، لأنّ أغلب شواعر الأندلس عرفن في هذا القرن الذي يعدّ أزهى عصر أدبي عرفته الأندلس ، وعرضت الأمر على الأستاذ المشرف وكان الدكتور / سالم محمد الوسطاني فوافق .

ورحت أتصور المنهج ، فتصورته يأتي في فصلين هما : الشعر النّسوي الأندلسي في القرن الخامس الهجري ، ثم الخصائص الفنية مع المدخل والخاتمة ، ولكن بعد القراءة الطويلة وبعد جمع المادة ، ومواجهة الموضوع على أرض الواقع ، رأيت أن أضيف فصلين ، وعرضت ذلك على الأستاذ الذي آل إليه الإشراف الدكتور / عبد الرؤوف مخلوف فوافق ، أحدهما تعرضت فيه للشعر النّسوي الأندلسي قبل القرن الخامس والآخر للشعر النسوي الأندلسي بعده ، وبذلك يكتمل بحثي ويلمّ الشعر النّسوي الأندلسي في جملته .

وكانت الأهداف من هذا البحث ، هي : كشف النّقاب عن الشعر النّسوي الأندلسي ، ودراسته ، والكشف عن أغراضه ، وخصائصه الفنية ، وتحديد ملامحه البارزة .

في ضوء ذلك جميعه جاءت الرّسالة في مدخل وأربعة فصول ، وخاتمة .

فأما المدخل ، فجعلته للحديث عن المرأة العربية والشعر عبر مراحله المختلفة ، وقد بيّنت فيه الفروق بين شعر النساء وشعر الرّجال ، ثم تطرّقت إلى وضع المرأة في المجتمع الأندلسي محاولا البحث عن الأسباب والظروف التي حالت دون الاهتمام بأدب المرأة العربية في تاريخنا الأدبي .

وأمّا الفصل الأول ، فتحدّثت فيه عن الشعر النّسوي قبل القرن الخامس الهجري ، ويشمل القرون : الثاني والثالث والرابع للهجرة ، أي : الفترة التي تمتد بين سنتي : 138 و 399 هـ ، وتعرف من الناحية السياسية بعصري : الامارة والخلافة ، وقد بدأت الفصل بتمهيد تناولت فيه الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية للعصر ، وتعرضت فيه إلى مميزات الشعر الأندلسي في هذه الفترة ، ثم عرّفت ببعض النساء الشاعرات في هذا العصر ، ودرست شعرهن .

وأمّا الفصل الثّاني ، فقد درست فيه الشّعر النّسوي الأندلسي في القرن الخامس الهجري ، وبدأته أيضا بتمهيد محاولا أن أقدّم فيه صورة عن المجتمع الأندلسي في هذا القرن من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية بعامة ، لما في ذلك من فائدة في إيضاح بعض الجوانب من حياة الشاعرات وشعرهن ، وتحدّثت عن الحركة الأدبية في هذا العصر الذي يعدّ من أزهى عصور الأندلس الأدبية ، ثم انتقلت الى دراسة

شعر الشّاعرات في هذا القرن الذي امتاز بوفرة عددهن ، اذ تجاوز عدد الشاعرات الأندلسيات فيه عددهن في جميع العصور ، وأنهيت الفصل بتسجيل ملاحظات عن مميزات الشعر النسوي في هذا القرن .

وفي الفصل الثالث ، تناولت الشّعر النّسوي بعد القرن الخامس ، أي : في عصري المرابطين والموحدين — اذ لم يعرف للنّساء بعد هذه الفترة من الشعر إلا شيء قليل — وقد بدأت الفصل بتمهيد استعرضت فيه بإيجاز الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية التي كانت عليها الأندلس في هذه الفترة ، ثم درست شعر الشاعرات في هذا العصر ، وختمت الفصل بخلاصة سجّلت فيها أهم مميزات شعرهن فيه .

أمّا الفصل الرّابع من الرّسالة ، فجعلته للخصائص الفنية لشعر الشاعرات ، هذه الخصائص التي جعلت ذلك الشعر مخلوقا أدبيا ذا شخصية بارزة تكاد تكون هي خلاصة ما وصلت إليه الدّراسة ، فتناولت أغراضه ، وأوزانه ، ثم العلاقة بين الأوزان والأغراض ، كما عرضت للقافية ، ثم للأساليب والألفاظ ، والصّور والأخيلة ، والمعاني ، وأخيرا وازنت بين شعر القيان وشعر الحرائر وبذلك أرجو أن أكون قد وفّقت في تقديم صورة جلية عن الشعر النسوي في الأندلس ، كما أرجو أن يكشف هذا الفصل النّقاب عن كثير من النواحي الفنية في هذا الشعر ، تلك التي رأيتها بحاجة الى ذلك التّناول ، وانني لم يتناولها أحد من الدارسين — من قبل — فيما أعلم —

ثم جاءت الخاتمة ، وفيها سجّلت أهم النتائج التي تمكّنت من الوصول اليها .

وكان المنهج الذي التزمته في بحثي ، هو المنهج التاريخي الذي يعتمد على الترتيب الزمني في تتبع الظواهر الأدبية وتفسيرها مع الاستفادة من مناهج الدراسات الحديثة كالمنهج النفسي الذي اتبعته عند حديثي عن ظاهرة الجنسية المثلية لدى شواعر الأندلس ، والمنهج النقدي الذي اعتمدته عند دراسة شعر الشاعرات ، حيث كنت أنقد أحيانا مبينا ما أراه جيّدا وما أراه غير ذلك ، ثم أكّدت في فصل الخصائص وجود الجيد في شعرهن إلى جانب غير الجيد ، وقد استقيت أيضا في هذا الفصل من المنهج النّصاني الذي يتزعمه (رولان بارط) .

وأمّا مصادر هذه الرّسالة ، فمنها :

1 ـ كتب التاريخ القديمة والحديثة ، وقد استفدت منها فيما يتعلق بعصر الشاعرات .

2 ـ كتب التراجم ، وقد اعتمدتها في كلّ ما يتعلق بحياة الشواعر وشعرهن ، كنفح الطيب للمقري ، والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد ، والإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ، وأعلام النساء لعمر رضا كحالة ، وغيرها .

3 ـ كتب الدّراسات الحديثة والنقد وعلم العروض ، وقد استفدت منها في فصل الخصائص ، كموسيقى الشّعر لإبراهيم أنيس ، والأسلوب لأحمد الشّايب ، والمتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي لموسى الأحمدي ، والأسلوب في الشوقيات للطرابلسي ، وغيرها .

وقد أشرت الى هذه المصادر والمراجع في الهوامش ، كما وضعت لها ثبتا في آخر الرّسالة .

هذا، وقد واجهتني عقبات في الحصول على بعض المصادر والمراجع التي تتصل برسالتي ، وقد ذللت بعض تلك العقبات والصعوبات بالمحاولة والإصرار ، فقمت برحلات دراسية إلى الخارج اذ سافرت الى إسبانيا وزرت أهم مكتباتها كالمكتبة الوطنية بمدريد ، ومكتبة الأسكوريال ، ومكتبة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، ومكتبة المعهد الإسباني العربي للثقافة ، وفيهما اطلعت على بعض المصادر والمراجع التي تخدم موضوعي ، واتصلت ببعض رجال الفكر والأدب المهتمين بالدراسات الأندلسية ، كما زرت تونس، مرتين للغرض نفسه ، واستعنت ببعض الأصدقاء الذين سافروا إلى المشرق العربي ، فأحضروا لي بعض المراجع التي تهمني ، كما ترددت كثيرا على المكتبة الوطنية بالجزائر .

هذا ، ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل الى كل من ساعدني على انجاز هذه الرسالة ، وأخص بالذكر أستاذي الكريمين :

- الدكتور / سالم محمد الوسلاتي غانم الذي شجعني وشاركني في الموضوع وأشرف على مراحله الأولى قبل عودته إلى القاهرة .
- والدكتور / عبد الرؤوف مخلوف الذي أشرف على هذه الرسالة ورافقني في جميع مراحلها وأطوارها ، وأمدني بملاحظاته وتوجيهاته التي أنارت لي السبيل ...

وبعد ، فأرجو أن أكون قد وفقت في مسعاي فإن لم يكن فحسبي أني بذلت غاية الجهد .

والله ولي التوفيق

مَدخل

قبل البدء في الحديث عن الشعر النسوي في الأندلس ، يجدر بنا أن نتحدث عن المرأة العربية والشعر عبر مراحله المختلفة ، ثم نبيّن الفوارق بين شعر النساء وشعر الرجال ، ثم نتطرق الى وضع المرأة في المجتمع الأندلسي ، وبعد ذلك نحاول البحث عن الأسباب والظروف التي حالت دون الاهتمام بأدب المرأة العربية في تاريخنا الأدبي .

1 — لمحة عن المرأة العربية والشعر بعامة :

قيل : ((الشعر ديوان العرب)) ، وقال ابن أبي دواد : ((ليس أحد من العرب الا وهو يقدر على قول الشعر ، طبع ركب فيهم ، قل قوله أو كثر ، فان صدق هذا على رجالهم ، صدق على نسائهم ، اذ الطبع واحد واللغة متفقة والغريزة لا تختلف ...))(1) . ويصدّق ذلك من يتصفح تاريخ الأدب العربي فانّه يحدّثنا عن نساء شاعرات في جميع العصور ، وقد مارست المرأة العربية نشاطها الفني منذ أن كان للعرب وجود أدبي(2) .

ففي العصر الجاهلي نجد أسماء شاعرات كثيرات ، وان كان ما وصلنا من شعرهن قليل ، وذلك لأنّ المؤرخين العرب القدامى ألقوا به في منطقة الظل ، ولكننا في لمح خاطف نذكر بعضا منهنّ ، وبعضا مما قلن من الشعر .

فهذه زرقاء اليمامة (عنز) التي كانت شاعرة وعرافة ، وهي التي تقول تحذّر قومها من عدوّ يبيت لهم :

خذوا حذاركم يا قوم ينفعكم	فليس ما أرى بالأمر يحتقر
اني أرى شجرا من خلفها بشر	وكيف تجتمع الأشجار والبشر(3)

---

(1) مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، ج 3 ، ص : 64 ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1394 هـ — 1974 م .

(2) الدكتورة عائشة عبد الرحمن : الشاعرة العربية المعاصرة ، ص : 15 ، دار المعرفة القاهرة ، ط 2 ، سنة 1965 م .

(3) عبد البديع صقر : شاعرات العرب ، ص : 139 ، المكتب الاسلامي ، قطر ، ط 1 ، 1337 هـ — 1967 م ، وانظر القصيدة كاملة هناك .

وهذه كرمة بنت ضلع ، كانت تنشد الأراجيز لتحفّز الرجال وتحمسهم على الحرب ، ومن شعرها هذه الأرجوزة المشهورة :

نحن بنات طارق ... نمشي على النّمارق
مشي القطيّ البارق ... المسك في المفارق
والدّرّ في المخانق ... ان تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفارق ... فراق غير وامق
عرس المولي طالق ... والعار فيه لاحق (1)

ومن أجمل شعر النّساء في الجاهلية تلك القصيدة المشهورة ((لليلى بنت لكيز)) الملقبة بالعفيفة ، وهي التي تصف فيها ابتذال الأعداء لعفافها بهذا البيت البديع :

غللوني قيدوني ضربوا ... ملمس العفة مني بالعصا (2)

فها هي ذي تكني أجمل كناية لا يخفى التعجب من بلاغتها ، ومن حسن التعبير فيها (3).

وتلك هي الخرنق بنت بدر أخت طرفة بن العبد لأمه (توفيت سنة 570م) فعندما تقرأ شعرها تجد منه ما يساير شعر أخيها في طبقته من البلاغة والجزالة (4) ومن شعرها قولها ترثيه حين قتل بأمر عمرو بن هند :

عددنا له خمسا وعشرين حجّة ... فلما توفاها استوى سيّدا ضخما
فجعنا لمّا انتظرنا ايّابه ... على خير حال لا وليدا ولا قحما (5)

---

(1) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ، ص : 42 ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، ط 1 ، 1353 هـ — 1934م .
وجورج غريب : شاعرات العرب في الجاهلية ، ص : 39 ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 1 ، 1984 م .
(2) بشير يموت : المرجع السابق ، ص : 32 ، وانظر القصيدة كاملة هناك
(3) مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، ج 3 ، ص : 53
(4) بشير يموت : المرجع السابق ، ص : 5
(5) بشير يموت : المرجع السابق ، ص : 31

ويتناول شعر النّساء في العصر الجاهلي أغراض الشعر المعروفة في تلك الفترة كالمدح ، والرثاء ، والهجاء ، والحكمة ، وإثارة الحماس ... ، وغيرها من الأغراض ، غير أنّ أهم الأغراض الشعرية التي نظمت فيها المرأة الجاهلية ، هو الرثاء ، وذلك لأن ((ندب الميت والتفجع عليه كان من مهماتها))[1] وكانت الخنساء (تماضر بنت الشريد)[2] ، أرثى شواعر العرب ، وأغزرهن شعرا ، وديوانها يكاد يقتصر على الرثاء ومن عيون شعرها في رثاء أخيها صخر قولها :

يذكّرني طلوع الشمس صخرا ... وأذكره لكلّ غروب شمس[3]

فلولا كثرة الباكين حولي ... على اخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن ... أعزّي النّفس عنه بالتأسي

فلا والله لا أنساك حتى ... أفارق مهجتي ويشق رمسي[4]

فهذه كلمات حزينة دامعة تثير المشاعر، اذ تتذكر أخاها صخرا في الصباح ، وتتذكره في المساء ، ولولا كثرة الباكين حولها لقتلت نفسها حزنا عليه .....

ومن جيد شعر النساء في الجاهلية هذه الأبيات لصفية الباهلية في رثاء أخيها الوحيد الذي مات شابا وكانت تحبه ويحبّها ، قالت :

---

(1) روز غريّب : نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر ، ص : 13 ، بيروت ، ط 1 ، 1400 هـ ، 1980 م .

(2) انظر عنها بالتفصيل الدكتورة عائشة عبد الرحمن : (نوابغ الفكر العربي 17) دار المعارف بمصر ، 1976 م .

(3) قيل ان الأصمعي خرج على أصحابه ، فقال لهم : ما معنى قول الخنساء : ((يذكرني طلوع الشمس .....)) لم خصّت هذين الوقتين ؟ فلم يعرفوا ، فقال : أرادت بطلوع الشمس الغارة ، وبمغيبها : القرى ، يغير على أعدائه عند طلوع الشمس ، ويجلس الى الضيفان عند الغروب ، تصفه بالشجاعة والكرم .

(انظر ديوان الخنساء ، ص : 50 ،طبعة دار التراث ، بيروت ،1388هـ — 1968م

(4) المصدر السابق ، ص : 50

كنّا كغصنين في جرثومة[1] سمقا ... حينا بأحسن ما تسمو له الشّجر
حتى اذا قيل قد طالت فروعهما ... فطاب فيأهما واستضر الثّمر
أخنى[2] على واحدي ريب الزمان وما ... يبقي الزّمان على شيء ولا يذر
فاذهب حميدا على ماكان من أثر ... فقد ذهبت وأنت السمح والبصر
وما رأيتك في قوم أسرّ بهم ... الّا وأنت الذي في القوم تشتهر
كنّا كأنجم ليل بيننا قمر ... يجلو الدّجى فهوى من بيننا القمر[3]

وكذلك السّلكة أم السّليك السّعدي ـ أحد عدّائي العرب ، وهو من الشعراء الصعاليك ـ كان لها شعر مؤثر في رثاء ابنها الذي قتله أحد أعدائه ، ومنه قولها :

طاف يبغي نجوة ... من هلاك فهلك
ليت شعري ضلّة[4] ... أيّ شيء قتلك ؟؟
أمريض لم تعد ... أم عدوّ ختلك ؟؟
أم تولى بك ما ... غال في الدّهر السّلك ؟
والمنايا رصد ... للفتى حيث سلك
أيّ شيء حسن ... لفتى لم يك لك
كلّ شيء قاتل ... حين تلقى أجلك
طالما قد نلت في ... غير كدّ أملك
انّ أمرا فادحا ... عن جوابي شغلك
ليت نفسي قدّمت ... للمنايا بدلك[5]

---

(1) الجرثومة : الأصل ، وسمق : طال
(2) أخنى عليه : أفسد عليه .
(3) عبد البديع صقر : شاعرات العرب ، ص : 137 — 133
(4) ضلّة : من غير أن يثأر له .
(5) عبد البديع صقر : المرجع السابق ، ص : 166 — 167
وبشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ، ص : 33
وانظر القصيدة كاملة هناك .

هذه نماذج من شعر المرأة العربية في الجاهلية ، وهناك شاعرات كثيرات ، كانت لهن أشعار بديعة سيّما في الرثاء لم أذكرهن ، لأن المجال لا يتسع هنا لذلك ، ويمكن مراجعتها في بعض المصادر والمراجع التي جمعت أدب النساء ككتاب شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام لبشير يموت ، وكتاب شاعرات العرب في الجاهلية لجورج غريب وكتاب شاعرات العرب لعبد البديع صقر ، وغيرهما .

أمّا في صدر الاسلام والعصر الأموي ، فقد حفظت لنا الكتب أسماء شاعرات من قريش ومن بيت النبوة ، ومنهن عائشة بنت أبي بكر ، وعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب وسكينة بنت الحسين ، والرّباب زوجة الحسين ، وفاطمة بنت الأحجم الخزاعية ، وهي من صحابة الرسول عليه السلام ، وعاتكة بنت زيد زوجة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وان كانت المصادر التي بين أيدينا لم تدوّن لهنّ الا قليلا ، فانا نذكر منها هذه المقطوعة للرّباب زوج الحسين بن علي بن أبي طالب ترثيه فيها حين قتل :

انّ الذي كان نورا يستضاء به … بكر بلاء قتيل غير مدفون
سبط النّبي جزاك الله صالحة … عنّا وجنّبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلا صعبا ألوذ به … وكنت تصحبنا بالرّحم والدّين
من لليتامى ومن للسائلين ومن … يغنى ويأوي اليه كل مسكين
واللّه لا أبتغي صهرا بصهركم … حتى أغيب بين الرّمل والطين [1]

وفي هذا العصر اشتهرت ليلى الأخيلية صاحبة توبة بن الحميّر ، وهي شاعرة من شواعر العرب المتقدّمات في الاسلام ، ولها شعر كثير في الغزل والرثاء [2] .

---

(1) عمر رضا كحالة : المرأة في عالمي العرب والاسلام ، ج 2 ص : 242 مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 2 ، 1402 هـ — 1982 م .

(2) انظر عنها ، ابن قيم الجوزية : أخبار النّساء ، ص : 44 — 45 ، تحقيق الدكتور نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1979 م .
وعبد البديع صقر : شاعرات العرب ، ص : 345 وما بعدها .
وعمر رضا كحالة : المرجع السابق ، ص : 256 وما بعدها .
واحمد بن ابي طاهر طيفور : بلاغات النساء ص : 236 وما بعدها ، دار النهضة الحديثة — بيروت — 1972

وأمّا في العصر الأموي فتقابلنا ميسون بنت بحدل ، وقد اشتهرت بأبياتها التي قالتها في تفضيل خيمتها البدوية على القصر المنيف الذي أسكنها فيه زوجها معاوية ابن أبي سفيان ، ومنها :

لبيت تخفق الأرواح فيه[1] ... أحبّ الي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقرّ عيني ... أحبّ الي من لبس الشفوف[2]
فما أبغي سوى وطني بديلا ... فحسبي ذاك من وطن شريف[3]

وفي العصر العباسي نجد الشعر النّسائي يكاد ينحصر في الغزل ، وأكثره مما وضعته الجواري للغناء ، ولكنّ يصادفنا شعر صوفي لرابعة العدوية التي عاشت في القرن الثاني للهجرة[4].

ومن شعرها قولها تتغزل في الذات الالهية :

حبيب ليس يعدل حبيب ... وما لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري وشخصي ... ولكن عن فؤاد ما يغيب[5]

ومن شاعرات الفترة عليه بنت المهدي ، وكانت من ظريفات الدّهر ، ذكاء وجمالا وغناء وشعرا[5]، ((وكانت عفيفة متدينة ، لاتغني ولا تشرب النّبيذ الا اذا كانت

---

(1) الأرواح : الرياح
(2) الشفوف : جمع شف ، بكسر الشين وفتحها ، وهو الثوب الرقيق ، سمي بذلك لأنه يستشف ما وراءه .
(2) عبد البديع صقر : شاعرات العرب ، ص : 396 — 397 وانظر المقطوعة كاملة هناك .
(4) روز غريب : نسمات وأعاصير ... ص : 14 ، وقيل أنها توفيت سنة 180 هـ ، وفي رواية أخرى أنها توفيت سنة 135 هـ (انظر عبد البديع صقر : المرجع السابق ، ص : 124 .
(5) عبد البديع صقر : المرجع السابق ، ص : 125
(6) بشير يموت : شاعرات العرب ... ص : 8 .

معتزلة الصلاة ، فاذا عادت للصلاة حافظت عليها ، وعلى قراءة القرآن والأشعار[1])).
وقيل : ان علية أحبت خادما للرشيد يدعى ((طل)) فكانت مفتونة به رغم الحوائل الاجتماعية ، وقد كانت تراسله بالأشعار التي تفيض عاطفة صريحة ، كتبت اليه يوما ، وقد احتجب عنها ، فذهبت اليه زائرة :

قد كان ما كلفته زمنا ... يا ((طلّ)) من وجد بكم يكفي
حتى أتيتك زائرا عجلا ... أمشي على حتف الى حتف[2]

وقولها :

اذا لم يكن في الحبّ سخط ولا رضا ... فأين حلاوات الرسائل والكتب ؟

فهو من أجمل ما قيل في الحب[3]

ويبدو أن الأخبار التي وصلتنا عن عفافها وتديّنها لم تكن صادقة ، والاّ كيف نفسر عشقها ((لطل)) وزيارتها له ؟ وكذلك حضورها مجالس اللهو والطرب ، وشربها النبيذ ؟

فهذه التصرفات في اعتقادنا لا تصدر عن امرأة عفيفة متدينة ؟ .

وهناك شاعرات أخريات اشتهرن في العصور العباسية ، كمحبوبة جارية المتوكل التي كان لها شعر بديع ، ولها رثاء في سيدها جعفر (المتوكل) من أجمل ما قيل في هذا الموضوع ، وكان للمتوكل شاعرتان غير محبوبة ، هما : بنان وفضل ، وكانت فضل شاعرة متقدّمة في زمانها[4] .

هؤلاء وأمثالهن كثيرات ، يمكن مراجعة أشعارهن في (كتاب عبد البديع صقر : شاعرات العرب ، وكتاب بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام .... وغيرهما) .

---

(1) فايد العمروسي : الجواري المغنيات ، ص : 136 ، طبعة دار المعارف بمصر سنة 1961 م .
(2) فايد العمروسي : الجواري المغنيات ، ص : 15
(3) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ، ص : 3
(4) أنظر ترجمتها في أبي الفرج الأصفهاني : الأغاني ، المجلد : 19، ص : 255 — 257 ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 4 ، 1393 هـ — 1973م

وباختصار يمكن أن نقول أنّ هناك أكثر من 250 شاعرة كما تقول روز غريّب [1] منهن مائة وخمسون ينتمين الى الجاهلية وصدر الاسلام ، والباقيات الى العصر الأموي والعصر العباسي ، والبيئة الأندلسية .

وهذا يضعنا أمام قضية أن الشعر لم يكن وقفا على الرّجال ، وانما شاركت فيه النساء ، ثم انّا نطالع في هذا الشعر النّسائي كل الأغراض التي عرفت ، كالمدح والهجاء والغزل والحكمة والنّصيحة ، واثارة الحماس ، ووصف الطبيعة وغيرها ... وان كنا نرى أن الغرض الذي غلب عليهن انّما هو غرض الرثاء ، رثاء الآباء والأبناء والاخوة والعشيرة والأزواج ،،،وقد ذيّل ديوان الخنساء المنشور ببيروت سنة 1888م [2] بمراثي ستين شاعرة ينتمين فقط الى الجاهلية وصدر الاسلام ، وذلك لأن المرأة بطبيعتها تجيد الرثاء ، وتستثار مشاعرها المرهفة أمام صدمة الموت [3] .

وهكذا حققت المرأة وجودها الأدبي ، ومرد قلة شعرها هو أن المؤرخين لم يكونوا يحفلون بشعر المرأة فضاع منه الكثير ولم يصل الينا منه الا النزر القليل والا كيف تفسّر قول أبي نواس ؟ :((ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهنّ الخنساء وليلى الأخيلية)) [4]، وقول أبي تمام :((لم أنظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة [5]))، وها نحن أولاء لم يصل الينا ديوان واحد معتمد لهن ، وانما ما وصلنا هو بعض المقطعات كتلك التي جمعت للخنساء والليلى الأخيلية [6].

---

(1) نسمات وأعاصير ... ، ص : 15

(2) نشره الآباء اليسوعيون بعنوان ((أنيس الجلساء في ديوان الخنساء)) وطبعه الأ . ب لويس شيخو للمرة الثانية سنة 1895م في بيروت أيضا ، ثم طبعته دار التراث ، بيروت ، سنة 1968م .

(3) الدكتورة عائشة عبد الرحمن : الشاعرة العربية المعاصرة ... ، ص : 15

(4) و(5) مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، ج 3 ،ص : 73

(6) جمع ديوان ليلى الأخيلية في 46 صفحة ، قام بجمعه وتحقيقه : خليل ابراهيم العطية ، وجليل العطية ، بغداد 1967 .

ويبدو أن المؤرخين سيطرت عليهم فكرة خاطئة ، صورت لهم أنّ الشاعرة العربية لا تحسن غير الرثاء ، ولذلك حدّدوا مجالها الفني بالرثاء وحده ، وأهملوا شعرها في غيره .

فابن سلام في ((طبقات شعرائه)) لم يذكر من النساء الشاعرات غير الخنساء، وحدد مكانها في ((طبقة شعراء المراثي))[1]، وكذلك البحتري في ((حماسته[2])) الذي أفرد الباب الأخير لمختارات من الرثاء لعشر شاعرات .

أمّا غير الرثاء فلا اهتمام به ، وكأن المرأة لم تقل الشعر إلا في الرثاء ، فابن سلام لم يجد مكانا للشاعرة ((ليلى الأخيلية)) بين شعراء طبقاته العشر من الاسلاميين ولم يذكرها الا عرضا عند حديثه عن النابغة الجعدي حين قرّر ((بأن ليلى الأخيلية غلبت عليه[3] .

وكذلك ((سكينة بنت الحسين)) التي كانت شاعرة وناقدة تلّ أن يعترف بها مؤرخو الأدب ، ومن شعرها قولها ترثي زوجها مصعب بن الزبير الذي قتل في حرب عبد الملك بن مروان :

فان تقتلوه تقتلوا الماجد الذي يرى الموت الا بالسّيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منيّة الى القوم حتى أوردوه حماما[4]

ومهما يكن من أمر فاهمال المرأة العربية الشاعرة من قبل المؤرخين القدماء ، وضياع أكثر شعرها ، يعود الى أسباب اجتماعية قاهرة تحكمت فيها ، وكذلك الى أسباب تاريخية ، منها :

---

(1) طبقات الشعراء ، ص : 33 ، طبعة بريل ، ليدن ، سنة 1913 .
(2) حماسة البحتري ، ص : 423 وما بعدها ، طبعة الرحمانية بالقاهرة سنة 1929
(3) طبقات الشعراء ، ص : 27
(4) عبد البديع صقر : شاعرات العرب ، ص : 154 ، وتوفيت سكينة سنة 117 هـ بالمدينة ، وقيل توفيت بمكة سنة 126 هـ (نفس المرجع ، ص : 155)

1 ـ أنّ حركة الجمع والتدوين في العصر العباسي ((قد نشطت على أيدي رجال عاشوا بعقلية مجتمع وأد المرأة معنويا ، وعزلها عن الحياة العامة[1]، ومن ثم لم يكن لها في تصورهم أن تتحدث عن عواطفها ... ولذا حصروا مجالها الفني في الرثاء .

2 ـ التعصب من قبل الرّجال وعدم اعترافهم بشاعرية المرأة ، اذ كان شعرها تظرفا[2].

3 ـ جمع بعض الرواة والعلماء أشياء من شعر النّساء كالكتاب الذي جمعه أبو عبد الرحمن العتبي الشاعر البصري المتوفى سنة 223 هـ ، من أشعار النساء اللائي أحببن ثم أبغضن ، وأشعار النّساء للمرزباني ، والاماء الشواعر للأصبهاني المتوفى سنة 350 هـ[3] وغيرها ... غير أن أكثر هذه الكتب قد ضاع مع ما ضاع من التراث العربي ...

بقي أن أشير الى أنّ بعض الشاعرات العربيات قد امتزن بجودة الشعر ، ومنافسة كبار الشعراء في متانة الأسلوب ، وجزالة اللغة ، وقوة البيان ، كليلى الأخيلية وأم الضحاك والفارعة وغيرهن .

---

(1) الدكتورة عائشة عبد الرحمن : الشاعرة العربية المعاصرة ... ص : 19

(2) مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، ج 3 ص : 73

(3) مصطفى صادق الرافعي : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

2 — بين شعر النّساء وشعر الرجال :

وما دام موضوع بحثنا في الشعر النّسوي ، فقد يتبادر الى الأذهان سؤال ، هل هناك فرق بين شعر النساء وشعر الرجال ؟

فأجيب بأنّ للمرأة عالمها كما للرّجل عالمه ، ولكل منهما تصورات ونظرات للحياة تختلف عما عند الآخر ، كما أنّ هناك فوارق طبيعية ناتجة عن الفوارق الجنسية والجسمية تقتضي انفراد أدب المرأة عن أدب الرّجل ، وذلك لأن أدب المرأة مرتبط بتركيبها الذهني والنفسي وأشياء أخرى أهمها عاطفية المرأة وحساسيتها [1].

وما دام الأدب ((فنا قوليا أداته الكلمة [2]))، وفنية الأدب تعني ارتباطه بالوجدان والعاطفة ولا سيما الشعر ، فمن هنا عكفت المرأة على نوع من انواع التعبير الأدبي ، ألا وهو الشعر الذي تعبّر به عن عواطفها وحساسيتها المرهفة ، وقلما تجيد المرأة كتابة المسرحيات والمقالات والابحاث الفكرية والمواضيع العلمية ، وذلك لأن البحث يتطلب عقلا منهجيا منظما لا دخل للعاطفة والوجدان فيه [3].

وقد يكون السّبب في عدم تفوق المرأة في المجال العقلي ، أنّها لم تتسح لها الفرصة من قبل مثل فرصة الرّجل ، غير أن تفوقها في المجال الفني شيء طبيعي ، بل من غير الطبيعي ألّا تتفوق في مجال هيئت له فطريا بطبيعتها العاطفية [4]، وقد أوردت الأديبة المعاصرة ((مي زيادة)) ملاحظة طريفة ، عرضتها في سياق دفاعها عما يقال عن ترجل المرأة اذا هي برعت في علم أو فن ، قالت :((أليس من الغريب أنّ الرّجل اذا ابرز في الشعر أو الفن أو الفلسفة تأنث بعض الشيء ، بمعنى

---

(1) الدكتور ابراهيم الكيلاني : أدبيات من الغرب ، ص : 3 ، منشورات دار الرواد ، دمشق ، (د ، ت)

(2) الدكتورة عائشة عبد الرحمن : الشاعرة العربية المعاصرة ، ص : 12

(3) الدكتور ابراهيم الكيلاني : المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(4) الدكتورة عائشة عبد الرحمن : الشاعرة العربية المعاصرة ، ص : 12

أن يرق فكره ، وتصقل عواطفه ، فكيف تتحور العوامل التي يتأنث بها الرّجل فتكون عند المرأة مدعاة للترجل ؟[1])) .

ويبدو أنّ تعصب ((مي)) الشديد لبنات جنسها ودفاعها عما يقال عن المرأة من قبل بعض الرجال المتزمتين جعلها ترد عليهم بعصبية ، وتقع في خطأ كبير عندما ادعت أنّ الرّجل اذا تفوّق في الشعر أو الفن أو الفلسفة تأنث بعض الشيء ، لأنه كما زعمت يرق فكره وتصقل عواطفه ...

ومهما يكن من أمر فانّ هناك فارقا محسوسا بين شعر المرأة وشعر الرّجل ومما لاشك فيه أنّ المرأة أرق عاطفة وشعورا من الرّجل ، ولذلك تفوقت عليه في شعر الرثاء لأنها أقدر من الرّجل تعبيرا عن احساسها وشعورها وأحزانها ، فكان شعرها يتصل بالقلوب مباشرة دون اعتماد على تزويق أو صنعة أو محسنات أو غير ذلك مما يلجأ اليه عقل الرّجل المفكر المنظم[2] ، الذي تفوق عليها في الموضوعات الأخرى سيما الوطنية والدينية ، والفكرية بشكل عام .

كما نلاحظ أن شعر المرأة على العموم يتصف بالسهولة والبساطة والعفوية وذلك لأنها تكره المجردات والعقليات ، فاذا فكرت فهي تفكر من خلال احساسها وعواطفها

واذن فهناك أدبان أدب يصدر عن النساء بخصائصه ، وآخر يصدر عن الرجال بخصائصه ، وهذا شيء طبيعي لأن لكل من المرأة والرّجل عالمه ...

3 — المرأة في المجتمع الأندلسي :

فاذا ما تركنا المرأة والشعر بعامة وجئنا الى المرأة في الأندلس قلنا أن المرأة تمتعت في المجتمع الأندلسي بقسط وفير من الحرية والنفوذ لم تعرفهما بغداد في أوج ازدهارها ، وذلك يرجع الى سببين رئيسيين :

---

(1) حلية الطراز ، ص : 53 ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت سنة 1952

(2) الدكتور ابراهيم الكيلاني : أدبيات من الغرب ، ص : 76

— أولهمـا : احتكاك المرأة هناك بالشعوب الأوربية التي أثرت في ذلك المجتمع العربي الناشيء ببعض خصائصها ، وذلك عندما قويت الصلات بين العرب ونصارى الأندلس بحكم المصاهرة أو المجاورة أو التحـالـف أو غيـر ذلـك ....

— وثـانيهما : اختلاط العرب في المجتمع الأندلسي بالبربر ، وهم سكان شمـال افريقيا القدامى ، والبربـر فـرع من الشعوب الحاميـة التي انتشرت في افريقيا ... وكانت للمرأة في مجتمعاتهم مكانـة تختلف عـن مكانتها في المجتمع العربي ، حيث اتخذ الحاميون الأم رأس الأسرة فكان أفراد الأسرة ينتسبون اليها وليس الى الأب ... ومثل هـذا النظـام بقيت آثاره في تلك الشعوب الحاميـة التي تعربت ... فوضعوا المرأةفـي المكـان الأول فـي المجتمـع[1].

وقـد تعرض المستشرقون في دراساتهم الى وضع المرأة في المجتمع الأندلسي وقرّروا بأنها كانت أكثر تحررا عمـا كانت عليه المرأة فـي مختلف أصقاع الامبراطورية الاسلامية ، ومن بين هؤلاء المستشرق ((البارون فـون شاك)) في كتابـه شعـر العرب وفنهم في اسبانيـا وصقلية حيث قال : ((انّ وضـع المـرأة في اسبـانيـا كان أكثر تحرّرا عما كان عليه في بقية الشعوب الاسلامية الأخرى ، فأسهمت بجهدها في كل ألوان الثقافة المعروفة على أيامها ، وليس بقليل عدد أولئك اللائي بلغن شهرة واسعة لدورهن في مجال العلم ، أو مزاحمتهن الرجال في قرض الشّعر ، وفي ظل هذه الحضارة الراقية بلغن في اسبانيا احتراما لم تعرفه المرأة أبـدا فـي المشـرق الاسـلامـي[2].

---

(1) الدكتور عبد المجيد عابدين : دراسة تحليلية نقدية لنماذج من الشعر الأندلسي ص : 104 ، دار الكتاب ، بيروت ... (د ، ت)

(2) عن الدكتور الطاهر أحمد مكي : دراسات عن ابن حزم وكتابه ((طوق الحمامة)) ص : 248 ، دار المعارف ، بمصر ، ط 3 ، 1401 هـ — 1981 م .

وانظر آراء بعض المستشرقين الآخرين كهنري بيريس وليفي بروفنسال وغيرهما في نفـس المـرجـع .

وكان تعليم المرأة في الأندلس أمرا مألوفا ، اذ كان الأندلسيون يبعثون بالفتيات الى المدارس الأولية منذ الصغر ، لكي يتعلمن نفس المواد التي تدرس للصبيان عادة ، وبعضهن فيما بعد كنّ يواصلن التعليم العالي ، ويحصلن على نفس الاجازات التي يحصل عليها الرجال عادة (1)، وبعضهن كنّ يدرسن الفقه وعلوم الدين ، واخريات يدرسن الأدب ومواد أخرى . ولم يقف نشاطهن عند حد الدّراسة في اسبانيا فحسب ، وانما رحلت بعضهن الى الخارج للدراسة كالرجال سواء بسواء كخديجة بنت أبي محمد عبد الله الشنتجيالي التي ذهبت مع أبيها الى المشرق وحضرت معه نفس الدروس التي حضرها في مكة ، وكذلك فاطمة بنت سعد الخير بن محمد التي رافقت والدها أيضا الى المشرق وحضرت دروس كبار علمائه ، وغيرهما (2).

وكان بعض الأمراء والأعيان يعينون معلمات لبناتهن يعلمنهن الفقه وعلوم الدين والثقافة الأدبية كالشاعرتين مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري ، وحفصة بنت الحاج الركونية التي كانت معلمة لبنات المنصور سلطان الموحدين (3) .

---

(1) انظر بالتفصيل عن تعليم المرأة في أسبانيا ، خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية في الأندلس ، ص : 159 وما بعدها ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف .

(2) انظر خوليان ريبيرا : المرجع السابق ، ص : 160 وما بعدها .

(3) لسان الدين بن الخطيب :الاحاطة في أخبار غرناطة ، ص : 501 ،
تحقيق : محمد عبد الله عنان ، دار المعارف بمصر ،(د ت)
وانظر الدكتور مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي ، موضوعاته وفنونه ، ص : 46
دار العلم للملايين ، بيروت ،ط 4 ،1979م
حيث يرى أن حفصة كانت مؤدّبة لبنات عبد المؤمن بن علي سلطان الموحدين
وقد بينت خطأ هذا الرأي بأدلة عند حديثي عن حفصة (انظر في بحثنا هذا حفصة بنت الحاج)

((ولعل كثرة عدد الشاعرات الأندلسيات بالقياس الى عددهن في المشرق يعطي صورة توحي بأن نصيب المرأة الأندلسية من العلم والمعرفة والتحرك كان أكثر من نصيب أختها في المشرق ، فقد كان بعض المتأدبات يترددن على منتديات الرّجال الأدبية ، كما كان لبعض النّساء أيضا منتديات أدبية يؤمها الرّجال والنّساء على حد سواء ، ولعل ندوة ولادة بنت المستكفي تعتبر مثالا لهذا اللون من النشاط النسائي وتحرك المرأة في الأندلس [1])) .

وهذا ولا شك يعبّر أصدق تعبير عن حرية المرأة الأندلسية .

وكانت النساء في الأندلس منهن الحرائر ، ومنهن الجواري ، ومن هؤلاء وأولئك من حققن امتيازا في ميدان العلم والسياسة والأدب والموسيقى .

فمن اللائي كان لهن نفوذ سياسي واضح أيام هشام بن عبد الرحمن الداخل ((عجب)) التي ظلت تسيطر أيضا في عهد عبد الرحمن ولده [2] ، وكانت ((رسيس)) ذات خظوة كبيرة عند عبد الرحمن الناصر حتى أنّه جعلها تخرج مرة في موكبه وهي ترتدي قلنسوه وتتقلد سيفا [3] ، أمّا ((صبح)) أم المؤيد فكان لها من النفوذ في أيام زوجها الحكم مما جعلها تتدخل في شؤون الدّولة بالرّغم من قوته وعظمته .

ومن النّساء اللائي كان لهن نفوذ على أزواجهن أيضا ((كفاف)) زوجة القاضي محمد بن زياد الذي قذف بكثير من التّهم بسبب خضوعه لامرأته [4] .

وكانت ((لبنى)) كاتبة للخليفة الحكم بن عبد الرحمن ، وقيل أنها كانت نحوية وشاعرة وبصيرة بالحساب وعروضية خطاطة [5] .

---

(1) الدكتور مصطفى الشكعة : المرجع السابق ، ص : 46 .

(2) الدكتور احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، ص : 25 ، طبعة دار الثقافة ، بيروت ، ط 6 ، 1981 م .

(3) المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

(4) الخشني : قضاة قرطبة ، ص : 91 ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1966م .

(5) ابن بشكوال : الصلة ، القسم الثاني ، ص : 692 ، الترجمة 1529

كما كانت ((مزنة)) كاتبة الخليفة النّاصر حاذقة في الخط[1] .

وذكر المراكشي في ((المعجب)) أنّه كان بقرطبة وحدها مائة وسبعون امرأة يكتبن القرآن بالخط الكوفي[2] .

وكان بعض النساء يروين الحديث كغالبة بنت محمد المعلمة ، وفاطمة بنت يحي ابن يوسف المغامي أخت الفقيه يوسف بن يحي المغامي التي كانت خيرة فاضلة عالمة فقيهة[3] .

ويجرنا الحديث عن المرأة الأندلسية ووضعها في المجتمع الى الكلام عن الجواري اللائي سيطرن على قلوب أسيادهن وفرضن عليهم احترامهن وتقديرهن ، ومن هؤلاء ((الزهراء)) حظية عبد الرحمن الناصر الذي بنى مدينة الزهراء وسماها باسمها ونقش صورتها على الباب ، وجعلها متنزها له ولحاشيته[4] .

أمّا اعتماد الرميكية فقد انتقلت بذكائها وسرعة بديهتها من تنظيف ثياب سيدها الرميكي على ضفة النّهر الى حيث خاضت في الطيب عند الملك الشاعر المعتمد بن عباد الذي صار عبدا لجمالها ، فسلطان الحب قد جعل منه عبدا للجمال وهو الملك الجبار[5] . وكذلك والده المعتضد الطاغية السفاك يدخل على جاريته العبادية فيجدها نائمة فينشد :

تنام ومدنفها يسهر ... وتصبر عنه ولا يصبر[6]

---

(1) ابن بشكوال : الصلة ، القسم الثاني ، ص : 692 ، الترجمة : 1530 .

(2) المراكشي : المعجب بتحقيق محمد سعيد العريان ، ص : 372 ، طبعة القاهرة ، 1963 .

(3) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ص : 691 ، الترجمة : 1527 .

(4) احمد أمين : ظهر الاسلام ، ج 3 ، ص : 32 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 5 ، 1388 هـ 1969 م .

(5) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص : 520 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط 6 ، 1981 —

(6) المقري : نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 233 ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1388 هـ 1968 م ، (ويرمز له بالنفح)

وكان من قبل أمراء بني أمية قد عرفوا بميلهم الشديد الى النّساء فاكثروا من شعر الحب والتذلل في غزلهم للحبيبات[1]، كالحكم الربضي[2]، وولده عبد الرحمن الثاني[3]، الذي سيطرت على قلبه جاريته ((طروب)) التي كلف بها كلفا شديدا فحظيت عنده بعاطفة خاصة ، حتى قيل أنه أعطاها من خزانة الملك عقدا قيمته مائة ألف دينار[4]، وكذلك كان حفيده عبد الله بن محمد[5]، يتذلل في غزله لحبيباته[6].

ومهما يكن من أمر فان ظاهرة شيوع غزل الملوك وتذللهم للحبيبات وتقديرهم لهنّ الى درجة المبالغة دليل طغيان شخصية المرأة الأندلسية ، وقد وصلت المرأة في الأندلس على العموم الى درجة ترفع وتضح كما قال ابن زيدون في حديثه عن ولادة .

أرخصتني من بعد ما أغليتني — وحططتني من بعد ما أعليتني
كنت المنى ، فأذقتني غصص الأذى — ياليتني ما فهت فيك بليتني[7]

(1) الدكتور عبد الاله ميسوم : تأثير الموشحات في التروبادور ، ص : 63 طبعة الجزائر : 1931 م .

(2) تولى الحكم من سنة 180 هـ — 796م الى سنة 206 هـ — 822م

(3) تولى الحكم من سنة 206 الى سنة 238 هـ —

(4) النفح ، ج 1 ، ص : 349 .

(5) حكم الأندلس من سنة 275 — الى سنة 300 هـ .

(6) انظر بالتفصيل الدكتور عبد الالة ميسوم : المرجع السابق ص : 63 وما بعدها والدكتور جودت مدلج : الحب في الأندلس ، ص : 133 وما بعدها دار لسان العرب ، بيروت ، ط 1 ، 1405 هـ — 1985م .

(7) ابن زيدون : الديوان ، ص : 131 ، تحقيق علي عبد العظيم ، طبعة مصر 1957

وهكذا فقد برزت المرأة في المجتمع الأندلسي على المسرح ، فكانت أستاذة وفقيهة وشاعرة وخطاطة وموسيقية وعالمة وراوية للحديث ونحوية وعروضية . . . كما كان لها نفوذ سياسي كما أشرنا ، وصل في عهد الموحدين الى أن استأثرت المرأة بشؤون التولية والعزل حتى كانت حول كل امرأة من المشهورات حاشية تدبر المكائد وتستأثر بالوظائف والمنافع(1)

وبعد فقد كان آخر صوت سمع في أجواء الأندلس هو صوت المرأة العجوز عائشة الحرة والدة أبي عبد الله الصغير وهي تؤنب ابنها الملك المتخاذل قائلة :

ابك مثل النساء ملكا مضاعا ... لم تحافظ عليه مثل الرّجال (2)

---

(1) محمد سعيد الدغلي : الحياة الاجتماعية في الأندلس ، وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي ، ص : 50 ط 1 ، 1984 — 1404 هـ (لم يذكر مكان الطبع)

(2) نفس المرجع ، وانظر أيضا الدكتور جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص : 31 ، دار المعارف بمصر ، ط 3 ، 1970 م .

الفصل الأول :

الشعر النسوي الأندلسي
قبل
القرن الخامس الهجري

تمهيد :

نتحدث في هذا الفصل عن الفترة التي تمتد بين سنتي : 138 و 399 هـ وتشمل القرون الثاني والثالث والرابع للهجرة ، وتنقسم من النّاحية السياسية الى عصرين : عصر الامارة ، ويمتد بين سنتي 138 و 300 هـ ، وعصر الخلافة حتى سقوط الدولة الأموية ، ويمتد بين سنتي 300 و 399 هـ .

ويبدأ عصر الامارة بعبد الرحمن الداخل (138 — 172 هـ) الذي استطاع أن ينجو من بطش العباسيين في المشرق[1] ويؤسس في الأندلس امارة أموية وراثية مستقلة عن الخلافة العباسية وقد لقبه أبوجعفر المنصور بصقر قريش[2] ، اعجابا بسمه ، وهو الذي أبطل الخطبة عن بني العباس ودعي له هو على المنابر[3] ، وبنى المسجد الجامع في قرطبة ومدينة الرّصافة في شمالها على مثال رصافة جده هشام في الشام ، لكنه لم يتخذ لقب خليفة واكتفى بلقب الأمير هو ومن خلفه الى عهد عبد الرحمن الثالث ، وقد كانت مدة ملك عبد الرحمن الداخل أربعا وثلاثين سنة من سنة 138هـ/ 755 م الى سنة 172 هـ / 788م) قضاها في كفاح مستمر مع العناصر والأحزاب المعارضة لامارته ((وعند وفاته كانت الدولة الأموية في الأندلس تتمتع من الناحية السياسية والاجتماعية بجميع صفات الدولة القوية المنظمة[4])) .

---

(1) انظر : قصة هروبه من المشرق في أخبار مجموعة لمؤلف مجهول ، ص : 53—55 تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، سنة 1981 م والدكتور حسين مؤنس : فجرالاندلس ، ص : 659 ، طبعة جدة ، ط2 ، 1985 م

(2) انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 4 ،ص : 488 ، دار الكتاب العربي ، بيروت . 1983

(3) غير أنّه يفهم من كلام بعض المؤرخين أمثال : (ابن الكردبوس في تاريخ الأندلس ص : 60 — 61) وابن أبي دينار في المؤنس ، ص : 42 — 43) أن عبد الرحمن الداخل وجميع الذين حكموا من بعده حتى عهد عبدالرحمن الناصر ، قد دعوا في خطبهم الدينية لخلفاء بني العباس في بغداد . لكن المصادر الأخرى لم تؤكد هذا الزعم . وأنا أرّجح أنّه قطع الخطبة لأن كل المصادر متفقة على ذلك بأستثناء المصدرين المذكورين أعلاه .

(4) جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ص : 16 ، دار المعارف بمصر ، ط 3 سنة 1970 .

وتداول الملك من بعده أبناؤه وأحفاده هم هشام الأول (172 ــ 180 هـ / 788 ــ 796) والحكم ابنه (180 ــ 206 هـ / 796 ــ 821م) وعبد الرحمن الثاني (206 ــ 238 هـ / 821 ــ 852) وولده محمد (238 ــ 273 هـ) والمنذر ابن محمد (273 ــ 275 هـ) . وعبد الله بن محمد (275 ــ 300 هـ) الذي بوفاته تنتهي فترة الامارة .

وأهم ما تمتاز به هذه الفترة أنها كانت مرحلة تأسيس السلطة الأموية وتعزيزها في الأندلس ، وعند دخول عبد الرحمن الداخل الأندلس وجد الأوضاع مضطربة ، فالقبائل العربية تتطاحن على الحكم ، والبربر ساخطون على العرب لاستئثارهم بالأمر والمسيحيون بالمناطق الشمالية من شبه الجزيرة يتحينون الفرص للهجوم ، والفرنج من وراء البرانس يتربصون ، ومن أجل ذلك عمل عبد الرحمن منذ توليه الملك على تدعيم الجيش الذي قاده الى النّصر ، وفتح أبواب الأندلس أمام الأمويين المضطهدين في المشرق لدعم دولته الفتية وتعزيزها ، والقضاء على الزعامة القبلية بايجاد التفاهم بين عناصرها أو التخلص ممّن تسوّل له نفسه بالثورة أو التّمرد ، والتقليل من شأن الأرستقراطية العربية باستخدام عناصر غير عربية ، وقد استطاع عبد الرحمن أن يقضي على الفتن الداخلية والخارجية خلال مدة حكمه ، وأن ينشر الأمن والاستقرار في البلاد ، ويعد نجاحه في تأسيس الدّولة الأموية في الأندلس حدثا هاما في تاريخ الأندلس .

وجاء بعده ولده هشام ففعل مثل ما فعل أبوه ، وترسم الحكم الرّبضي سياسة الأب والجد(1) ، فكان حازما قاسيا من أجل تثبيت الحكم كجده

(1) أنظر : أخبار عبد الرحمن وابنه وحفيده في : ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . ج 2 . ص : 40 وما بعدها . دار الثقافة ــ بيروت ــ لبنان ــ ط 3، سنة 1933 .
ومؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص : 49 وما بعدها . دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، سنة 1981 .

عبد الرحمن ، وكان يشبّه بأبي جعفر المنصور من خلفاء بني العباس في شد الملك وتوطيد الدولة ، وقمع الأعداء ، وقصة اخماده لثورة الرّبض سنة 202 هـ ، توضح طريقته في معالجة الأمور ، حيث ثار عليه أهل الرّبض وهو حي من أحياء قرطبة ، لما نقموا عليه شغفه باللهو والصيد ، وكان فيهم كثير من أهل العلم والورع فغلبهم وفتك بهم فتكا ذريعا ، وهدم ديارهم وحرثها ، مما جعل الأتقياء ينحرفون عنه ، وقد دعي بسبب هذه الواقعة بالحكم الرّبضي[1].

وفي فترة عصر الامارة المزدهر ، ساد الاستقرار السياسي في البلاد وتقدّم النشاط الأقتصادي والثقافي[2]، اذ أنشأ عبد الرحمن الدّاخل المسجد الجامع بقرطبة ، والرّصافة التي كانت مقر الامارة ((وقد كان مسجد قرطبة بالذات هو النواة الحقيقية للجامعة الأندلسية التي أسّست في تلك الفترة ، والتي ستتسع في العصور التالية حتى تكون في القرن العاشر أعظم جامعات اسبانيا بل أعظم جامعات أوربا[3])).

---

(1) الدكتور شاكر الفحام : مختارات من شعر الأندلس ، ص : 52 ، المطبعة التعاونية بدمشق ، 1399 هـ — 1979 م .
ولتكوين فكرة مفصّلة عن واقعة الرّبض ، اقرأ : ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص : 67 وما بعدها ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط 1 ، سنة 1402 هـ 1982 م .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج 2 ، ص : 71 وما بعدها .

(2) أنظر : خير الله طلفاح : حضارة العرب في الأندلس ، ج 5 ص : 144 وما بعدها ، دار الحرية للطباعة — بغداد ، سنة 1397 — 1977 م .

(3) الدكتور أحمد هيكل : الأدب الأندلسي ، ص : 33 ط 7 ، دار المعارف ، القاهرة ، سنة 1979م .

وكان مما ساعد على الازدهار الثقافي دخول الثقافة المشرقية في جميع ميادين العلم في الأندلس ، وذلك عن طريق وفود كثير من الأمويين وأنصارهم واللائذين بهم على الأندلس[1] ... وكذلك رجوع أهل فريق من الأندلسيين الدارسين في المشرق[2])) حيث قضى بعضهم زمنا طويلا هناك في طلب العلم ، والاغتراف من ينبوعه ، وصرفوا أموالا طائلة في شراء الكتب التي استصحبوها معهم الى الأندلس عند عودتهم[3]، فكانت من عوامل النهضة الثقافية والعلمية في الأندلس ، وكان ذوو الهمم من الأندلسيين قد برزوا في طلب العلم ، وهذا المؤرخ صاعد الطّليطلي الأندلسي (ت 462 هـ) صاحب كتاب طبقات الأمم يقول : ((للضرب مثلا على من برز في العلم في هذا العصر وهما أميرا هذه الفترة فقد كان عبد الرحمن الثاني عالما في الشريعة وفن الفلسفة ، وقد شبهه البعض بالمأمون الخليفة العباسي في بغداد من حيث طلبه لكتب الفلسفة وكان مولعا بالاستماع الى قراءتها ففضل ذلك على جميع ملذات نفسه . أما ابنه الأمير محمد فقد أنشأ نواة مكتبة قصره التي أصبحت بعد قرن من زمانه ، وفي عهد الحكم الثاني من كبريات مكتبات العالم في ذلك العصر[4].

والى جانب النهضة العلمية في الأندلس برزت الى الوجود نهضة اجتماعية وذلك نتيجة الاستقرار والترف الذي عرفته الأندلس في ظل الدولة الأموية الجديدة ومن مظاهر هذه النهضة الاجتماعية كثرة الجواري ، وبروز الشخصية النّسوية في الميدان الفني ، فمنذ عهد عبد الرحمن الداخل برزت أسماء مغنيات مشرقيات قدمن من المشرق الى الأندلس ، وقد بذل في شرائهن واستقدامهن مال وفير ،

---

(1) من هؤلاء : أبو الأشعث الكلبي الذي كان محدّثا يروي عن أمّه عن عائشة ومنهم : جزي بن عبد العزيز وعبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموي . أنظر : المقري : نفح الطيب ، ج 3 ، ص : 5 وما بعدها (تحقيق احسان عباس) في ذكر الوافدين على الأندلس ، من أهل المشرق .

(2) احمد هيكل : الأدب الأندلسي ، ص : 32

(3) من هؤلاء العائدين بعلم المشرق : الغازي بن قيس الذي سمع من مالك موطأه وأبو موسى الهواري (أنظر : نفح الطيب ، ج 2، ص : 5 وما بعدها .

(4) عن خير الله طلفاح : حضارة العرب في الأندلس ج 6، ص : 144 — 145 .

وكان لكثيرات منهن نصيب وافر من الثروة العلمية والفنية فكن يجدن الشعر والغناء ورواية الحديث والضرب على مختلف آلات الطرب والغناء ، ومنهن عابدة المدنية وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة وقيل عنها أنها روت عشرات الآلاف من الأحاديث عن مالك بن أنس وغيره ، وقد استقدم عبد الرحمن الداخل الجارية (العجفاء[1]) المغنية وقد وصفت بجمال الصوت وحسن الأداء ، واشترى أيضا (فضل)[2] المدنية وكانت حاذقة بالغناء ، كاملة الخصال ، (علم) و(قلم) وكانت أندلسية الأصل رومية[3]، وغيرهن ، ومن النساء الداخلات الى الأندلس من المشرق الشاعرة (قمر)[4] جارية ابراهيم بن حجاج اللخمي ((ودخل المغنون بعد المغنيات وأول من دخل منهم الأندلس علون وزرقون))[5]، ومن أشهر المغنين الذين دخلوا الأندلس زرياب[6] تلميذ ابراهيم الموصلي ، وقد كان لقدومه تأثير كبير في الحياة الاجتماعية والأدبية والفنية ، ويعود الفضل في قدومه الى الأندلس الى ظروف الجفوة التي وقعت بينه وبين أستاذه اسحاق الموصلي[7]، ((وكان زرياب قوي الحافظة حتى قيل أنه كان يحفظ أكثر من ألف قصيدة بكلمها ولحنها وايقاعها ... وقيل انّه أضاف الوتر الخامس على العود المعروف))[8]، وقد شاركته بعض الجواري المشرقيات اللائي جلبن الى الأندلس في ادخال الشعر المشرقي وأنغامه اليه ، كما فعلت قمر والعجفاء وغيرهما .

---

(1) أخبار الجارية العجفاء في النّفح ، ج 3 ، ص : 141 ، والأغاني ، ج 3 ، ص : 285

(2) أنظر : نفح الطيب ، ج 3 ، ص : 140

(3) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(4) سنفصل الحديث عنها في حينه

(5) الدكتور محمد رضوان الداية : الأدب الأندلسي والمغربي ، ص: 19 — مطبعة خالد بن الوليد ، 1400هـ ، 1980م

(6) توفي زرياب سنة 238هـ قبل وفاة الأمير عبد الرحمن بأربعين يوما (المقتبس، ص: 87 تحقيق : الدكتور محمود علي مكي) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1393 هـ — 1973 م

(7) أنظر : النفح ج 3 ، ص : 122

(8) سيبولد اشبولر: أضواء على حضارات الاسلام ، ص : 523 ، ط 3 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1973

أما الشعر الأندلسي في تلك الفترة من تاريخ الأندلس فكان يسير في التيار المحافظ المتمثل في الاهتمام أكثر بالموضوعات التقليدية التي عرض لها الشعر العربي في عصوره السالفة كالمديح والفخر والهجاء وغيرها ، كما سار على نهج الأقدمين في بناء القصيدة حيث كان الشعراء ينظرون الى موضوعاتهم عبر مخزونهم الثقافي ، فيعبرون عنها بما يهيئه لهم ذلك المخزون ، فيترجمون عن تجاربهم ومشاعرهم بفن مشرقي ، وبالرّغم من ذلك فان الشّعر الأندلسي في هذه الفترة اتسم بسمات خاصة جعلته ذا شخصية مستقلة كالتجديد الموضوعي الذي يتجلى في طرق بعض الموضوعات الجديدة أو تناول بعض التجارب التي لم تكن تعالج من قبل ، ثم التجويد الفني الذي يبدو في أشعار بعض شعراء هذه الفترة الذين حاولوا الأداء بطريقة أجود مما كان عليه شعر أسلافهم سواء أكان ذلك في الشكل أو في المضمون ، والسمة الثالثة تتجلى في التركيز العاطفي ، أي : وضوح العاطفة في النّص الشعري[1]، وتتضح هذه السمات الثلاث في هذه القطعة الشعرية التي طرق فيها الشاعر أبو المخشي[2]، موضوعا جديدا صور لنا فيه تجربته مع العمى اذ يقول :

خضعت أمّ بناتي للعدا   اذ قضى الله بأمر فمضى
ورأت أعمى ضريرا انّما   مشيه في الأرض لمس بالعصا
فبكت وجدا وقالت قولة   وهي حرّى بلغت منّي المدى
ففؤادي قرح من قولها   ما من الادواء داء كالعمى
واذا نال العمى ذا بصر   كان حيّا مثل ميت قد ثوى
وكأن الناعم المسرور لم   يك مسرورا اذا لاقى الرّدى
أبصرت مستبدلا من طرفه   قائدا يسعى به حيث سعى
بالعصا ان لم يقده قائد   وسؤال الناس من يمشي ان مشى
واذا ركب دنوا كان لهم   موجلا في المهمة الخرق الصّوى
لم يزل في كلّ مخشيّ الرّدى   يصطلي الحرب ويجتاب الدجى[3]

(1) انظر : الدكتور أحمد هيكل : الأدب الأندلسي . ص : 30 وما بعدها .

(2) انظر عنه : ابن سعيد : المغرب ج 2 ص : 123 ، 124 ، وابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس . ص : 56 و 57 . والضبي : بغية الملتمس . ص : 513، وأحمد هيكل : الأدب الأندلسي : 102 وما بعدها .

(3) ابن الخطيب : الاحاطة . ص: 351 ـ 352 (مخطوط الأسكوريال رقم : 1673)

ويتمثل شعراء الامارة في أبي المخشي عاصم بن زيد ، وعبد الرحمن الدّاخل ، والأمير الحكم ، وعباس بن ناصح الجزيري[1] وحسانة التميمية ، وقمر الشاعرة ، ويحيى الغزال[2] وعباس بن فرناس[3]، وغيرهم .

أمّا فترة الخلافة فتبدأ في عهد عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر ، سنة 316 هـ وتمتد لتشمل حكم ابنه الحكم الثاني المستنصر بالله الذي (انتقلت الخلافة اليه بعد وفاة والده سنة 350 هـ ، ثم حفيده هشام الثاني المؤيد بالله الذي تولى الخلافة بعد وفاة أبيه الحكم سنة 365 هـ ، وتنتهي بخلع هشام وسقوط السد ولة العامرية سنة 399 هـ .

وتولى عبد الرحمن الناصر زمام الحكم وعمره ثلاث وعشرون سنة ، ودام ملكه خمسين سنة ، من سنة 300 هـ الى 350 هـ .

وتمتاز هذه الفترة باستقرار داخلي واضح ، حيث نهضت الآداب والعلوم نهضة شاملة ، واتسعت حركة الانشاء والتعمير ، فوصلت قرطبة في فترة الخلافة الى أوج جمالها وأناقتها ((فبلغ عدد سكانها فيما يروون نصف مليون وكان فيها مائة وثلاثة عشر ألف جامع وثلاثمائة حمام وثمان وعشرون ضاحية ، حتى لم يعد لها في كل المغرب شبيه في كثرة الأهل وسعة المحال وفسحة الأسواق وكثرة العمارات والحمامات والفنادق[4])) .

فقد كان عبد الرحمن الثالث مولعا بالبناء ، محبا للتشييد ، فبنى على مقربة من قرطبة مدينة الزهراء[5] التي أسماها باسم جارية له كانت تمنت عليه أن يبنى لها قصرا .

---

(1) انظر عنه : ابن سعيد : المغرب ، ج 1 ص : 45 و 324 و 325

(2) انظر عنه : المغرب : 2 / 57 — 58 والنفح ، ج 1/ 232 و 346 وج 2/ 254 — 262 وج 3 / 132 و 438 .

(3) انظر عنه : النّفح ج 1 / 162 وج 3 / 133 و 374 و 375 .

(4) الدكتور : جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص : 20

(5) بدأ في بنائها سنة 325 هـ (نفح الطيب ج 1 ، ص : 524 . والبيان المغرب ج 2 ، ص : 213)

ونتيجة النهضة الثقافية الشاملة في هذه الفترة ، ولا سيما في عهد عبد الرحمن الثالث وولده الحكم ، اتضحت الشخصية العلمية الأندلسية واستقلت الى حد كبير ، ولا شك أنّ ظروف الأندلس في تلك الفترة قد ساعدت هذه النهضة ، حيث الاستقرار والأمن والرخاء والتحضر ، وتشجيع الوافدين الى الأندلس من علماء وأدباء المشرق ، واغراؤهم بالتأليف في شتى الفنون ، وجلب الكتب من الخارج ، فالناصر قد استقدم أبا علي القالي اللغوي فأحسن استقباله ، وأسند اليه تأديب ابنه الحكم وقد حمل القالي معه الى الأندلس كثيرا من كتب المشارقة ، وخاصة دواوين الشعراء الجاهليين والاسلاميين والمجموعات الشعرية الهامة كالمفضليات وشعر الهذليين والنقائض ، وكتب اللغة والأخبار وغيرها .

وهذا كله أدى الى انتشار الحياة الثقافية الأندلسية في تلك الفترة ، أما الحكم فكان شابا مثقفا واسع الاطلاع ، مولعا بالكتب حريصا على جمعها مكرما لأهلها ، فاتخذ له وراقين بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف ، ووجه رجالا الى القاهرة والاسكندرية وبغداد ودمشق يبحثون له عن الكتب النفيسة حتى ضاقت عنها خزائنه ، فكان في مكتبته الشهيرة أربعمائة ألف مجلد (1) ، وعدد الفهارس أربعا وأربعين فهرسة في كل واحدة خمسون ورقة (2) ، ومن شدة حرصه على جمع الكتب فقد اشترى نسخة من الأغاني بمبلغ ألف دينار من الذهب من أبي الفرج الأصبهاني قبل أن يظهر الكتاب في أسواق بغداد .

وقد شملت النّهضة العلمية في الأندلس في عهد الخلافة مختلف فروع المعرفة ، ففي الميدان اللغوي ، نجد أنّه ((قد تأسست أول مدرسة للدراسات اللغوية ، بالأندلس ، وذلك بعد قدوم أبي علي القالي الذي وفد على الأندلس سنة 340 هـ (941) والـــذي ألـــــف ، [illegible]

---

(1) نفح الطيب ، ج 1 ، ص : 385 .
(2) هذا ما جاء في كتاب ابن الابار : الحلة السيراء ج 1 ، ص : 203 والرقم يختلف في مصادر أخرى . انظر : النفح : ج 1 ، ص : 335 وابن خلدون : كتاب العبر ... ج 4 ، ص : 316 ، طبعة دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

اللغوية ، وأملى على طلبته الأندلسيين كتابه ((الأمالي[1])) ، ونبغ في الدراسات اللغوية ((أبوبكر الزبيدي)) الذي عمل كتاب ((مختصر كتاب العين)) وألف كتاب ((طبقات النحويين)) وكتاب ((لحن العامة)) وكتاب ((الواضح في العربية)) وكتاب ((الأبنية في النّحو)) وألف أيضا أبوبكر بن القوطية كتاب ((تصاريف الأفعال)) وكتاب ((المقصور والممدود)) .

وفي الميدان التاريخي برز أحمد بن محمد بن موسى الرازي صاحب كتاب ((أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم)) وكتاب ((انساب مشاهير أهل الأندلس)) وكتاب ((كبار الموالي الأندلسيين)) ومؤلفه الرابع في ((صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها)) وبرز أيضا أبوبكر بن القوطية المشار أليه سابقا كلغوي بكتابه المشهور ((تاريخ افتتاح الأندلس)) وغيرهم .

وقد نبغ كثير من العلماء الأندلسيين في هذه الفترة في شتى الميادين ، من فقه وفلسفة وطب ورياضيات وغيرها .

هذه النهضة الثقافية [illegible] ساعدت على نهوض الأدب الأندلسي في تلك الفترة حيث برزت [illegible] ظواهر الجديدة في الشعر ، منها ما يتعلق بالاتجاهات [illegible] ية وما صاحبها من تطور ، ومنها [illegible] ون .

فمن حيث الاتجاهات [illegible] الجديدة ، هناك الاتجاه المحافظ الجديد الذي كان قد ظهر في المشرق كرد فعل للاتجاه الجديد الذي تزعمه أبونواس بخروجه عن تقاليد الشعر العربي في أحايين كثيرة ، فجاء [illegible] الشعر العربي اصالته ومنهجه ،

(1) الدكتور أحمد هيكل : الأدب الأندلسي ، ص : 190

ولذلك فهو محافظ من ناحية ومجدد من ناحية أخرى ، محافظ من حيث منهج القصيدة العربية ولغتها وموسيقاها ، ومجدد من حيث المعاني والأسلوب[1]، ((وهكذا ظهرت في فترة الخلافة أشعار أندلسية تسير في هذا الاتجاه المحافظ الجديد وتبدو فيهما خصائصه في المنهج والروح ، واللغة والموسيقى ، والأفكار والصور ، والصياغة والأسلوب[2]

وبقيت الاتجاهات الأخرى التي كانت سائدة قبل الاتجاه المحافظ الجديد معروفة ، كالاتجاه المحافظ والاتجاه المحدث الذي بقي مزدهرا نتيجة بقاء عوامل نموه وازدهاره ، فالحياة الاجتماعية في الأندلس بالرّغم من استقرارها وهدوئها من ناحية ، اتسمت بالتحرر وعدم المحافظة من ناحية أخرى ، فشيوع الخمر وانتشار مجالس اللهو والمجون والغزل بالمذكر ، كانت كلها مجالات مألوفة بين كثير من الأندلسيين في تلك الفترة[3]، ونعرّف ببعض النّساء الشاعرات في هذا الموطن ، فمنهنّ :

---

(1) أنظر نجيب البهبيتي : تاريخ الشعر العربي ، ص : 435 وما بعدها ،
وشوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص : 104 وما بعدها
وطه حسين : من حديث الشعر والنثر ، ص : 31 وما بعدها .
(2) أحمد هيكل : الأدب الأندلسي ، ص : 200 ، طبعة دار المعارف ، مصر
(3) انظر بالتفصيل ، المرجع السابق .

حسّانة التميمية :

هي حسّانة بنت أبي المخشي عاصم بن زيد الشاعر[1]، التميمية ،((وقد أخذت منه الشعر والأدب[2]))، وتعدّ من أولى الشواعر اللواتي اشتهرن بالأندلس، وقد أشبهت أباها في قوة العارضة[3]، ولا نعلم بالتحديد شيئا عن ميلاد حسانة ووفاتها، ولكننا نعرف أنها عاشت في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري حيث مدحت الحكم بن هشام (180 — 206 هـ) وابنه عبد الرحمن (206 — 238 هـ) وكانت جريئة عفيفة لا تقبل الضيم وتحسن الدّفاع عن حقها اذا ما لحقها ظلم ، توفي أبوها وتركها في رعاية الأقدار ، وهي اذ ذاك بكر لم تتزوج[4]، فالتجأت الى الأمير الحكم بن هشام ((وكان ... رغم قسوته شاعرا يطرب للشعر الحسن[5])) — فكتبت اليه تمدحه وتبين له أنها أصبحت وحيدة لا من يرعاها ،وأنها تعتمد على رعايته لهـا :

اني اليك أبا العاصي موجّهة	أبا المخشي سقته الواكف الدّيم
قد كنت أرتع في نعماه عاكفة	فاليوم آوي الى نعماك يا حكم
أنت الامام الذي انقاد الأنام له	وملّكته مقاليد النّهى الأمم
لا شيء أخشى اذا ما كنت لي كنفا	آوي اليه ولا يعروني العدم
لا زلت بالعزة القعساء مرتديا	حتى تذلّ اليك العرب والعجم[6]

(1) ترجم له ابن سعيد عن المسهب بقوله : ((ان أباه دخل الأندلس من المشرق من جند دمشق ، فنزل بقرية شوش ، ونشأ ابنه على قول الشّعر ، واشتهر به ، الاّ أنّه كان جسورا على الأعراض فقطع لسانه هشام بن عبد الرحمن ... مات في دولة الحكم بن هشام ...)) (ابن سعيد : المغرب ،ج 2 ، ص : 123 — 124)

(2) الدكتور : حكمة علي الأوسي : فصول في الأدب الأندلسي ... ص : 93 مكتبة النهضة ، بغداد ، ط 2 ، 1974

(3) الدكتور : احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي — عصر سيادة قرطبة — ص : 46 دار الثقافة — بيروت — ط 6 سنة 1981

(4) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 167 .

(5) الدكتور : مصطفى الشكعة : الأندلسي — موضوعاته وفنونه — ص : 122 . دار العلم للملايين — بيروت — ط 4 ، سنة 1979

(6) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 167

وقد وقعت هذه الأبيات موقعا حسنا في نفس الحكم ، فحركت أريحيته واستثارت اعجابه ، فأمر لها باجراء مرتب [1]، وكتب الى عامله على البيرة [2]، يوصيه بها خيرا، فأكرمها وجهزها بجهاز حسن ، ووقع لها الحكم بخط يده تحرير أملاكها ، ولما مات الحكم تمكّل عامله على البيرة جابر بن لبيد عن الوفاء بعطائها [3]، فتوسلت له بخط الحكم فلم يجبها ، فوفدت على خلفه الأمير عبد الرحمن بن الحكم تشكو اليه جابر بن لبيد ثم انشدته من شعرها بهذه الأبيات :

الى ذي النّدى والمجد سارت ركائبي	على شحط تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعي انّه خير جابر	ويمنعني من ذي الظلامة جابر
فاني وأيتامي بقبضة كفه	كذي ريش أضحى في مخالب كاسر
جدير لمثلي أن يقال مروعة	لموت أبي العاصي الذي كان ناصري
سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى	عليّ زمان باطش بطش قادر
أيمحو الذي خطّته يمناه جابر	لقد سام بالأملاك احدى الكبائر [4]

ولما فرغت من انشادها رفعت اليه خط والده الحكم ، وحكت له جميع أمرها ، فرقّ لها ، وأخذ خطّ أبيه فقبّله ووضعه على عينيه ، وقال : تعدّى ابن لبيد طوره ، حين رام نقض رأي الحكم ، وحسبنا أن نسلك سبيله بعده ، ونحفظ بعد موته عهده ، انصرفي باحسانة فقد عزلته لك ، ووقّع لها بمثل توقيع أبيه وأمر لها بجائزة [5]، فانصرفت لحالها ثم بعثت اليه بقصيدة تمدحه فيها منها :

---

(1) الدكتور شاكر الفحام : مختارات من شعر الأندلس ، ص : 52 ، دمشق، 1979م .

(2) البيرة : (Elvira) الألف فيها ألف قطع وليس بألف وصل . . . وبعضهم يقول : يلبيرة وربما قالوا : لبيرة ، وهي : كورة كبيرة من الأندلس ، ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة ، بين القبلة والشرق من قرطبة ، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار . . . (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج 1 ، ص : 244)، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت .

(3) الدكتور عمر الدقاق : ملامح الشعر الأندلسي ، ص : 59، مطبعة جامعة حلب ، ط 3 ، 1978م

(4) نفح الطيب : ج 4 ، ص : 163

(5) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

ابن الهشامين خير النّاس مأثـرة وخيـر منتجـع يـوما لمـرتـاد

ان هزّ يـوم الوغى أثناء صعدتـه روّى أنابيبها من صرف فرصـاد

قل للامام : يا خيـر الورى نسبـا مقابلا بين آبـاء وأجـداد

جوّدت طبعي ولم ترض الظلامـة لي فهاك فضـل ثناء رائـح غـاد

فان أقمت ففي نعمـاك عـاطفـة وان رحلت فقد زوّدتني زادي (1)

لقد كانت الشاعرة هنا ذكية حيث استطاعت أن تختار الألفاظ ذات الوقع الحسن في نفس الممدوح ، فذكرته بنسبه الذي يعتز به ، فابن الهشامين في الشطر الأول من البيت الأول تعني بهما جديه : هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وهشام بن عبد الملك ، وقد فخر الممدوح عبد الرحمن نفسه بهذين الجدين . فقال من قصيدة له :

أنـا ابن الهشامين مـن غالب أشبّ حروبا وأطفئت حروبا

بي ادارك اللـه دين الهدى فأحييتـه واصطلبت الصّليبا

وقد حركت حسانة في نفس الأمير نخوة الأموية في البيت الثالث حين وصفته بكريم النّسب من قبل الآباء والأجداد ... وهي صادقة في مدحها للأمير عبد الرحمن بكرم النسب ، فأبوه الحكم كان قد أمر بأجراء مرتب لها ، وهو قد رفع الظلامة عنها وسلك سبيل أبيه .

واذا رجعنا الى أبياتها السابقة التي أوّلها :

اني اليك أبا العاصي موجعة أبا المخشي سقته الواكف الدّيم

وجدناها جيدة تتسم بعمق الشكوى وصدق العاطفة ، عاطفة امرأة مكلومة الفؤاد ، حديثة العهد بفقد الأب ، العائل الوحيد لها ، وقد مزجت شكواها بمدحها لأبي العاصي الذي هو الحكم الأمير حيث جعلته مأوى لها وراعيا بعد فقد عائلها :

قد كنت أرتع في نعماه عاكفـة فاليوم آوي الى نعماك ياحكـم

وهي لا تخشى شيئا اذا كانت تعيش في كنفه يحيطها برعايته وحفظه :

---

(1) المصـدر السـابق ، ج 4 ، ص : 153

(2) ابـن الأبـار : الحلة السيـراء ، ج 1 ، ص : 115

لا شيء أخشى اذا ما كنت لي كنفا   آوي اليه ولا يعروني العدم

ويلاحظ أن هذه الأبيات تذكرنا بأبيات الحطيئة في استعطافه ومديحه لعمر بن الخطاب فبيتها :

أنت الامام الذي انقاد الأنام له   وملكته مقاليد النهى الأمم

يذكرنا ببيت الحطيئة :

أنت الامام الذي من بعد صاحبه   ألقى اليك مقاليد النّهى البشر (1)

وهذا يبين لنا بوضوح تأثر بعض الشعراء الأندلسيين بالمشارقة في هذه الفترة التي لم تكن لها شخصيتها المستقلة ، حيث كان الشعر المشرقي مثلا يحتذى .

أمّا أبياتها التي أنشدتها بين يدي عبد الرحمن بن الحكم ، والتي مطلعها :

الى ذي الندى والمجد سارت ركائبي   على شحط تصلى بنار الهواجر

فقد استهلتها بالمعنى التّقليدي على عادة الشعراء القدامى حين صورت نفسها بعيدة وقد شدت الرحال في اتجاه الممدوح ، ولكن بالرّغم من ذلك يبقى هذا المعنى جميلا، لأنه يعبّر بصدق عن واقع تلك المرأة الجريحة التي كانت تعاني الأمرين ...

فالأبيات صورة ناطقة للتفجع والحزن والألم الذي ألم بالشاعرة من جراء ظلم جابر لها وعدم رفاته بحقها الذي كتب لها الحكم من قبل ، وأسلوبها أنثوي استطاعت من خلاله أن تلين قلب الأمير عبد الرحمن للأخذ بيدها ، وتتجلى فيه طبيعة المرأة من حيث ضعفها ورقتها وفرط احساسها بالظلم ، واستعطافها ، والبحث عمّن يرعاها ، وحزنها العميق ، وقد اعتنت الشاعرة بعض الشيء بالزخرفة والتنميق والصور الخيالية حين جانست بين جابر الذي يجبر ما حل بها ، وجابر عامل البيرة الذي ظلمها ، وبين الحيا وحيا وعمدت الى التّشبيه في البيت الثالث حيث شبهت نفسها وأولادها بطائر بريء وقع في قبضة وحش كاسر .

هذه هي حسانة التميمية الشاعرة التي استطاعت أن تدفع عن نفسها الظلم بالكلمة بل استطاعت أن تعزل عامل البيرة جابر بن لبيد الذي ظلمها حين شكته الى الأمير عبد الرحمن ، ولم تكن تملك شيئا سوى شعرها الذي اتخذته سلاحا مدافعا ، وقد نجحت في تحقيق مآربها حين وجدت الأذن الصاغية التي تطرب للكلمة الموحية ...

---

(1) فؤاد أفرام البستاني (الروائع) : الحطيئة ، ص : 322 ، دار المشرق بيروت ، ط 5 ، سنة 1930

أمّا فيما يتعلق بوالدها ، فقد وقع فيه لبس جاء أثرا للتصحيف الذي كثيرا ما يصيب اللغة على ما يبدو ، حيث نجد حكمة علي الأوسي في كتابه : فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة يقول : ((كان أبوها شاعرا يعرف بأبي الحسين[1]))، ونفس الشيء نجده عند مصطفى الشكعة اذ يقول :((. . .هذا فضلا عن أنّ ملكة الشعر عندها موروثة عن أبيها أبي الحسين الشاعر أحد من مدحوا الحكم الربضي[2])) وهذا ما ذهب اليه أيضا بشير يموت في ترجمته لحسانة التميمية فترجم لها بقوله : ((حسانة التميمية وقيل النميرية — ابنة أبي الحسين الشاعر الأندلسي[3])) ، أمّا مصدر هؤلاء جميعا فنعتقد أنّه أصول النفح وقد ورد فيه أبو الحسين خطأ ، وقد نبّه الى ذلك الدكتور احسان عباس عندما حقق الكتاب ، وأبوها هو أبوا لمخشي عاصم ابن زيد التميمي ، دخل أبوه زيد بن يحيى بن حنظلة الأندلس من المشرق مع جند دمشق ، فنزل بقرية شوشر ، ونشأ ابنه المخشي على قول الشعر ، الا أنّه كان جسورا على الأعراض ، فقطع لسانه هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وعمر بعد محنته حتى لحق دولة الأمير الحكم بن هشام ، توفي حوالي (130 هـ[4]) ، اذن فأبو المخشي شاعر معروف عاش في هذه الفترة وترجم له ابن سعيد في المغرب ج 2 ص : 123 ، والحميدي في الجذوة ص : 377 . والضبي في البغية ص: 515 بينما لا نعرف شاعرا اسمه أبو الحسين عاش في هذه الفترة ، اذن فقضية اللبس هذه قد حلت ، فحسانة بنت أبي المخشي وليست ابنة ابي الحسين .

---

(1) الدكتور حكمة علي الأوسي : فصول في الأدب الأندلسي ، ص : 93

(2) الدكتور مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي . ص : 121

(3) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام . ص : 213

(4) الدكتور شاكر الفحام : مختارات من شعر الأندلس . ص : 43

قمــــر :

ومـن شـاعـرات الفترة أيضـا : قمــر :

وهي جارية من الجواري الشاعرات المغنيات اللائي جلبن من المشـرق مـن ، المدينة والبصرة وبغداد الى الأندلس ، لقد نشأت قمر وتعلمت في بغداد ، لكننـا ندرجها ضمن شواعر الأندلس ، لكونها هاجرت الى أرض الأندلس واستقرت فيهـا الى أن ماتت ، وقد اشتراها ابراهيم بن حجاج اللخمي(1) ، صاحب اشبيلية ، وبـذل من أجل قدومها أموالا طائلة ، وكانت جميلة الصورة ، ذكية طريقة الحديث ، أديبـة ، راوية ، حفاظة ، من فهم بارع ، وفصاحة وبيان ، وكانت تقول الشعر على سجيتـهـا ، عاشت في القرن الثالث الهجري في اشبيلية مع مولاها ابراهيم ، أنشدت قمر مـن شعرها مرة تمدح مولاها ابراهيـم ، فقـالـت :

ما في المغارب من كريم يرتجى — الاّ حليف الجود ابـراهيـم
اني حللت لديـه منزل نعمة — كلّ المنـازل ما عداه ذميم(2)

لقـد صورت الشاعـرة فـي هذيـن البيتيـن مدى فضـل مولا هـا ابـراهيـم عليهـا ، وكـرمـه الـوفيـر الـذي لا يضاهيـه كـرم ، ويبـدو أنهـا كـانت ذات حظـوة لـديـه ، فكـان يدنيهـا بـرقـة وحنـان ، فمـدحتـه بـذكـاء ، وهـو الـذي كـان يـرتـاح للثنـاء ويعطي الشعـراء الـذيـن يقصـدونـه مـن خارج مملكتـه كـابـن عبـد ربـه وغيـره ، فكيـف بـهـذه الجـاريـة البغـداديـة التي بـذل الأموال الطائلـة فـي ابتياعهـا وهي ذات الفصاحـة والبيان والمعرفة بالأغاني والألحـان ، وقد ازدراهـا نسـاء اشبيليـة ، فأخـذن يتهـامسـن اذا مـرت ، ويتغامزن اذا غنّت ، فقالت تـرد على من عابهـا :

---

(1) خرج على الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، واستقل باشبيليـة وانفرد بها واتخذ لنفسه الجند ورتب لهم الأرزاق ، وجرى في ذلك كله مجـرى السلطان ، فكان يرتاح للثناء ويعطي الشعراء ويضاهي في فعله كبار الأمـراء توفي عام 288 هـ . (انظر : البيان المغرب ج 2 : 127 . وأعمال الأعلام لابـن الخطيب . ص : 35)

(2) نفح الطيب . ج 3 . ص : 141 .

قالوا : أتت قمر في زيّ أطمار من بعد ما هتكت قلبا بأشفار
تمشي على وجل ، تغدو على سبل تشق أمصار أرض بعد أمصار
لا حرة هي من أحرار موضعها ولا لها غير ترسيل وأشعار
لو يعقلون لما عابوا غريبتهم لله من أمة تزري بأحرار
ما لابن آدم فخر غير همّته بعد الديانة والاخلاص للباري
دعني من الجهل لا أرضى بصاحبه لا يخلص الجهل من سبّ ومن عار
لو لم تكن جنّة الا لجاهلة رضيت من حكم ربّ النّاس بالنّار (1)

تتحدث الشاعرة في هذه المقطوعة عن أولئك النّسوة اللائي يتهامسن ويتغامزن حولها ، وقد حسدها نساء اشبيلية على المكانة المرموقة التي حظيت بها لدى الأمير ابراهيم بن حجاج صاحب اشبيلية ، حيث اخذت منهن المكان الذي كنّ يطمحن اليه ، سيما وهي جميلة في مظهرها ، جميلة في صوتها ، وشعرها عذب مستحسن ، فرحن يكدن لها ويعبنها ، فهي في نظرهن غريبة أمة لا تستحق هذه المكانة ، دخلت الأندلس فقيرة معدمة بعد ما هتكت قلبا مرهفا ، مولعا بالجمال .

وترد قمر على عذالها بقولها : فلو كان هؤلاء يعقلون لما لاموا غريبتهم ، فالانسان لا يحق له أن يفخر الا بهمته بعد اخلاصه لدينه وربه ، ثم تصفهم بالجهلة الحمقى ، لشده كراهيتها للجهل ، فهي تفضل دخول النار ان كان في الجنة جهلة .

وشعرت قمر بالغربة في الأندلس ، والغربة مرة كما يقال ، وحب الوطن غريزة في الانسان ، وان كان يعيش خارج وطنه مكرما ، فتذكرت قمر ((بغداد)) الجميلة التي قضت فيها طفولتها ، فتشوقت اليها ، وتحسرت على فراقها ، فكتبت :

---

(1) نفح الطيب ، ج 3 ، ص : 141

آها على بغدادها وعراقها وظبائها والسّحر في أحداقها
ومجالها عند الفرات بأوجه تبدو أهلّتها على أطواقها
متبخترات في النعيم كأنما خلق الهوى العذريّ من أخلاقها
نفسي الفداء لها فأيّ محاسن في الدّهر تشرق من سنا اشراقها(1) ؟

ان هذا الحنين الدفيق والاحساس المتدفق لشاعرتنا قمر الى بغداد ليذكرنا بحنين الشاعرة المشرقية ((ميسون)) الى مسقط رأسها حيث تزوجها معاوية بن أبي سفيان ونقلها من البدو الى دمشق عاصمة ملكته ، وأسكنها قصرا فخما من قصور المملكة ، وكانت كثيرا ما تحن الى وطنها ومسقط رأسها ، وذات يوم سمعها معاوية تنشد وتتشوق الى البادية :

للبس عباءة وتقر عيني أحبّ الي من لبس الشّفوف
وبيت تخفق الأرواح فيه أحبّ الي من قصر منيف
وبكر يتبع الأظعان صعب أحبّ الي من بغل زفوف
وكلب ينبح الأضياف دوني أحبّ الي من هزّ الدّفوف
وخرق من بني عمي نحيف أحبّ الي من علج عنيف(2)

أن كلتا الشاعرتين تتشوق الى مواطن أهلها ومسقط رأسها ، وكلتاهما كانت تسكن قصرا فخما ، فقمر تحن الى بغداد عاصمة العالم الاسلامي أنذاك ، وميسون تتشوق الى باديتها ، لأن حب الوطن غريزة في الانسان ، فمهما تنقل المرء عبر أصقاع المعمورة فانّه يبقى دوما يحس بانجذاب وحنان الى مسقط رأسه .

هذه هي قمر الشاعرة التي عاشت في القرن الثالث الهجري مولاها ابراهيم ، ولسنا نعرف تاريخ وفاتها لأن المراجع التي بين أيدينا لم تذكره .

---

(1) نفح الطيب ، ج 3 ، ص : 141 .
(2) عمر رضا كحالة : أعلام النّساء في عالمي العرب والاسلام، ج 3 ، ص : 135/137
مؤسسة الرسالة — بيروت ، الطبعة الرابعة 1402 هـ — 1982 م

عائشة القرطبية :

ومن النساء الشاعرات أيضا : عائشة القرطبية ، وهي أديبة شاعرة رقيقة ذات فصاحة وبلاغة ، وصفها ابن بشكوال في الصلة نقلا عن الأجزاء المخطوطة من المقتبس لابن حيان فقال :((لم يكن في حرائر الأندلس في زمانها من يعدل لها فهما وعلما ، وأدبا ، وشعرا ، وفصاحة ، وعفة وجزالة ، وحصافة ، وكانت تمدح ملوك زمانها وتخاطبهم فيما يعرض لها من حاجتها ، فتبلغ ببيانها حيث لا يبلغه كثير من أدباء وقتها ، ولا ترد شفاعتها ، وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر ، وتجمع الكتب ، وتعتني بالعلم، ولها خزانة علم كبيرة حسنة ، ولها غنى وثروة تعينها على المروءة . . . ومحاسنها كثيرة . وماتت سنة 400 هـ عذراء لم تنكح قطّ [1].

انّ من يتابع هذه الأوصاف التي وصلتنا عن عائشة الشاعرة سيعجب بها بلا شك، فهي الشاعرة المجيدة التي لم يكن في زمانها من يضارعها علما وأدبا وفصاحة وجرأة وعفة ، وكانت خطاطة تكتب المصاحف وتمدح الملوك والرؤساء ، كتبت مرة شعرا في بعض الرؤساء لم تعثر على تتمته ، ومطلعه :

لولا الدموع لما خشيت عذولا ۝ فهي التي جعلت اليك سبيلا [2]

وقد خطبها أحد الشعراء ممن لم ترضه زوجا لها ، فكتبت اليه تؤنبه :

أنا لبوة لكنّني لا أرتضي ۝ نفسي مناخا طول دهري من أحد
ولو أنّني أختار ذلك لم أجب ۝ كلبا وكم غلّقت سمعي عن أسد [3]

فالشاعرة — رغم كونها امرأة — لكنها ذات اباء وهمة وكبرياء ، فهي ترفض أن تكون مناخا لأحد طول الدهر ، ولا ترضى الزّواج بتاتا ، وان هي أرادت ذلك لما قبلت بهذا الكلب ، وكم سدّت أذنيها عن الأسود .

---

(1) ابن بشكوال الصلة — القسم الثاني — 692 — 693 .
(2) المصدر نفسه ، ص : 693
(3) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 290

أنّ هذا الهجاء المستذع الذي صدر من الشاعرة عائشة ، وهي المتصفة بالأخلاق الحميدة — ليجعلنا نتساءل عن أسبابه ، ونعتقد أنّ هذا الشاعر الذي طلب يدها كان ملحا في طلبه ، ولم تر أنّه كفء لها ، أو أن خصومة ما قد يمسة كانت بينهما ، ومهما يكن من أمر فاننا لا نلتمس العذر للشاعرة ، ونرى أن هجاءها هذا قد جنى عليها ، فظلت عذراء لم تتزوج قط .

ودخلت الشاعرة يوما على المظفر بن المنصور بن أبي عامر(1) وبين يديه ولده ، فارتجلت :

أراك اللـه فيـه مـا تـريد	ولا برحت معاليه تزيد
فقـد دلّـت مخايله على مـا	تؤمّلـه وطـالعـه السّـعيد
تشوّقت الجياد لـه وهـزّ	حسام هوى وأشرقت البنود
فسوف تـراه بدرا في سمـاء	من العليا كـواكبـه الجنـود
وكيف يخيب شبل قد نمّتـه	الى العليا ضـراغمه أسـود
فأنتم آل عامر خيـر آل	زكـا الأبنـاء منكم والجـدود
وليدكـم لدى رأي كـشيـخ	وشيخكم لدى حرب وليـد(2)

أنّ هذه الأبيات في مجملها جميلة الصياغة ، عذبة المعاني ، سيما اذا علمنا أن الشاعرة ارتجلتها ارتجالا ، ومن وحي الساعة ، لكنّها بالغت وأسرفت في مدحها للمظفر بن المنصور وبني عامر ، حين جعلت وليدهم كأنّه شيخ محنّك ، تصدر عنه الآراء السديدة ، وشيخهم لدى الحرب كانه شاب في مقتبل العمر يخوض غمار الحرب بشجاعة وفتوة .

---

(1) خلف أباه في الحجابة واسمه عبد الملك وتلقب بالمظفر ، عمل بعد موت أبيه من سنة 393 الى أن توفي سنة 399 هـ (انظر أخباره في : البيان المغرب ، ج 3 ، ص : 3 وما بعدها ، والنفح ، ج 1 ص : 423)

(2) النفح ، ج 4 ، ص : 290

ونلاحظ في هذا المدح الجزالة في الألفاظ الى جانب الصّور الخيالية كتشبيههما لابن المظفر في البيت الرّابع ببدر في سماء من العلياء ، كواكبه الجنود ، فهذه الصّورة التي أتت بهما الشاعرة صورة قديمة طرقها الشعراء من قبل ، فلا ابتكار فيهما ولا جدة ، فهي فيهما تحذو حذو المشارقة القدامى ، وشعرها على العموم غير متميز بخصائص أندلسية واضحة .

حفصة بنت حمدون الحجارية :

ويذكر من الشاعرات : حفصة بنت حمدون الحجارية ، وهي :
شاعرة أديبة عالمة[1] من شواعر القرن الرابع الهجري ، عاشت في وادي الحجارة [2]،
وكان بلدها يفخر بها كما يذكر ابن سعيد في ((المغرب)) عن المسهب [3]، ولها
شعر كثير لم يصلنا منه الاّ القليل ، ولعله ضاع مع ما ضاع من التراث الأندلسي ،
ويبدو أن حفصة كانت شاعرة مرموقة في زمنها ، والا فكيف نفسر فخر بلدها بها ،
ومن شعرها ، قولها تمدح ابن جميل :

رأى ابن جميل أن يرى الدّهر مجملا ... فكلّ الورى قد عمّهم سيب نعمته
له خلق كالخمر بعد امتزاجها ... وحسن فما أحلاه من حين خلقته
بوجه كمثل الشّمس يدعو بيشره ... عيونا ويعشيها بافراط هيبته [4]

انّها تمدح ابن جميل هذا أحد عظماء الأندلس ، فتصفه بالجود والكرم وحسن
الخلق والخلق ، ويبدو أنّها كانت تتغزّل فيه ، ونستشف ذلك من خلال تركيزها على
وصف جماله ، والأبيات لا تخلو من صور بيانية ، تشبيه وجناس ...
وتسيطر على الأبيات عاطفة هادئة معجبة ، وما تجدر الاشارة اليه أن حفصة
((رائدة شعر الغزل عند المرأة الشاعرة الأندلسية[5] ، وكتبت حفصة مرة تصف
حبيبا لا ينثني لعتاب ، واذا ما تركته زاد تيهها ، واعجابا وكبرياء ، وسألها
يوما : هل رأت له شبيها ؟

---

(1) الزركلي : الأعلام ج 2 ، ص : 264 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 5، 1980
(2) وادي الحجارة : مدينة تسمى أيضا مدينة الفرج ، بينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلا واليها ينسب عبد الباقي بن محمد بن سعيد الحجاري الحميري : الروض المعطار ، ص : 163
وياقوت الحموي : معجم البلدان ج 5 ، ص : 343) دار احياء التراث العربي بيروت
(3) ابن سعيد : المغرب ، ج 2 ، ص : 37
(4) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 285
(5) الدكتور مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي ، ص : 136

فكان جوابها : وهل رأى هو أيضا لها شبيها ؟

لي حبيب لا ينثني لعتاب   وإذا ما تركته زاد تيها
قال لي :هل رأيت لي من شبيه   قلت أيضا وهل ترى لي شبيها (1)

لقد ردّت الشاعرة حفصة على تيه حبيبها بالمثل ، فأكّدت ذاتها وأظهرت شخصيتها ، وأبدت دلالها ، لأن الدّلال في الأنثى فطري يستوي فيه جميع النّساء ، وخصوصا المرأة ذات الجمال ، وقد أجادت الشاعرة في توظيف كلمة ((أيضا)) هذه اللفظة التي لم يكن الشعراء قديما يتجرأون على استعمالها الا نادرا ، لكن الشاعرة أحسنت توظيفها ، بحيث لا يمكن الاستعاضة عنها بكلمة أخرى .

وكتبت حفصة تذم وتشكو عبيدها ، فقالت :

يارب انّي من عبيدي على   جمر الغضا ، ما فيهم من نجيب
امّا جهول أبله متعب   أو فطن من كيده لا يجيب (2)

ان حفصة على ما يبدو من أسرة ثرية ، كان لها عبيد ، هؤلاء العبيد الذين تشكوهم الشاعرة ، فبعضهم غبي بليد لا يفقه شيئا وبعضهم الآخر ذكي ، خبيث ، محتال ، وكلاهما متعب فشكتهما الشاعرة وذمتهما .

---

(1) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 225 ، والمغرب : 2 ، ص : 39

(2) نفح الطيب 4/235 والمغرب : 2/33 وذكر في المغرب لنهاية المصراع الأخير في البيت الثاني : لا يخيب بالخاء ورواية النفح أصح .

وذكرها ابن فرج صاحب ((الحدائق)) ، وأنشد لها أشعارا منها قولها :

يا وحشتي لأحبتي   يا وحشة متماديه
يا ليلة ودّعتهم   ياليلة هي ما هيه (1)

انّ التّنائي بعد التّداني صعب ،،،وقد أحست الشاعرة بعد فراق الأحبة بوحشة متمادية ، يا لها من ليلة ، ليلة وداعهم ، وهي ما هي ، لقد قضتها ملتاعة الفؤاد ، كئيبة ، حزينة ؛

هذه هي الشاعرة حفصة الحجارية أول شاعرة أندلسية طرقت موضوع الغزل ، وفتحت الباب فيه لغيرها من الشواعر اللائي سيدلين فيه بدلائهن ، وسيتضح لنا ذلك جليا عند حديثنا عن شاعرات القرن الخامس .

---

(1) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 236 ، عن ابن فرج صاحب الحدائق .

أسر القلوب :

ونذكر من الشّواعر المغنيات ــ أسر القلوب ــ جارية المنصور بن أبي عامر[1] : شاعرة ومغنية من شواعر الأندلس في القرن الرّابع الهجري، وكانت جارية للمنصور بن أبي عامر، ومن أخبارها ما رواه عنها الوزير الكاتب أبو المغيرة بن حزم فقال : نادمت يوما المنصور بن أبي عامر في منية السّرور بالزاهرة ذات الحسن النّضير ،،، فلما أدبر النهار وأسدل الليل جنحه ،،، أوقدنا مصابيح الرّاح ، واشتملنا ملاء الارتياح ،،، فغنتنا عند ذلك جارية تسمى أسر القلوب ، فقالت[2] :

قدم اللّيل عند سير النّهار ... وبدا البدر مثل نصف السّوار
فكأنّ النّهار صفحة خدّ ... وكأنّ الظّلام خطّ عذار
وكأنّ الكؤوس جامد ماء ... وكأنّ المدام ذائب نار
نظري قد جنى على ذنوبا ... كيف ممّا جنته عيني اعتذاري
يا لقومي تعجّبوا من غزال ... جائر في محبّتي وهو جاري
ليت لو كان لي إليه سبيل ... فاقضّي من الهوى أوطاري[3]

فلما أكملت الغناء ، أعجب الوزير الكاتب أبو المغيرة بن حزم بمعاني الأبيات ، وأحسّ بأنّها تعنيه ، فقال بديهة :

---

(1) محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور ، لقد استطاع بدهائه أن يستبد بالحكم بعد موت الحكم بن عبد الرحمن الناصر (366 هـ) مستغلا حداثة سن ولده هشام ، ولم يترك للخلافة غير الدعاء ليلية الجمعة . . . انظر عنه :
(الدكتور مختار العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ، ص : 226 وما بعدها .
والدكتور جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص : 21 وما بعدها .

(2) النفح ، ج 1 ، ص : 617

(3) المصدر السابق ، وأعلام النساء ، ج 1 ، ص : 37 ــ 33 ــ وبشير يموت : شاعرات العرب ، ص : 211 ، وعبد البديع صقر : شاعرات العرب ، ص : 20

كيف كيف الوصول للأقمار | بين سمر القنا وبيض الشفار
لو علمنا بأن حبك حق | لطلبنا الحياة منك بثار
واذا ما الكرام همّوا بشيء | خاطروا بالنفوس في الأخطار[1]

وبعد أن سمع المنصور شعرها وشعر أبي المغيرة ، فاشتعلت نار الغيرة في صدره وأسرع الى سيفه ، وراح يهدّدها ، قائلا : قولي واصدقي الى من تشيرين بهذا الشوق والحنين ؟ فقالت أسر القلوب : ان كان الكذب أنجى فالصدق أحرى وأولى والله ما كانت الا نظرة ولدت في القلب فكرة ، فتكلم الحب عن لساني وبرّح الشوق بكتماني والعفو مضمون لديك عند المقدرة والصفح معلوم منك عند المعذرة ثم بكت فكان دمعها كأنه درّ تناثر من عقد ....ثم أنشدت[2] :

أذنبت ذنبا عظيما | فكيف منه اعتذاري ؟
والله قدّر هذا | ولم يكن باختياري
والعفو أحسن شيء | يكون عند اقتدار[3]

---

(1) النفح ، ج 4 ، ص : 617 وعمر رضا كحالة : المرأة في عالمي العرب والاسلام ، ج 2 ، ص : 353 .
(2) النفح ، ج 1 ، ص : 617 — 618
والمرأة في عالمي العرب والاسلام ج 2 ، ص : 359
(3) النفح ، ج 1 ، ص : 613 .
والمرأة في عالمي العرب والاسلام ، ج 2 ، ص : 359
وصقر : شاعرات العرب ، ص : 98
ويموت : شاعرات العرب ، ص : 211

فلما سمع المنصور شعرها عفا عنها ، وصرف غضبه الى الوزير الكاتب أبي المغيرة ابن حزم ، فاعتذر هو الآخر وطلب منه العفو عن هذه الهفوة التي بادرت منه ، دون أن يحسب لها حسابا ، وأن الله هو الذي قدّر له ذلك ، بعد ذلك أطرق المنصور أعمل فكره قليلا ثم عفا وصفح عن الوزير ووهب له أنس القلوب وهكذا اجتمع العاشقان واكتمل سرورهما »

هذه هي شاعرتنا أنس القلوب فبشعرها استطاعت أن تنجو من الموت المحقق ، وأن تظفر بغزالها وبوطرها ، فكان شعرها سبيلا الى تحقيق أمنيتها التي كانت حلما وأصبحت واقعا عندما وجدت من يطرب للكلمة المجنحة ...

الفصل الثاني :

الشعر النسوي الأندلسي
في
القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي

تمهيد :

قبل البدء في الحديث عن الشعر النسوي في هذا القرن ، نتحدث عن العصر ((عصر ملوك الطوائف)) بايجاز دون أن ندخل في تفصيل الحوادث ، وانما بمقدار ما يلقي الضوء على قضيتنا .

بدأ الضعف يدبّ في جسم الدولة الأموية بعد موت أبي عامر محمد المعافري الملقب بالحاجب المنصور سنة (392 هـ ، 1002م) ، وتقلد الملك من بعده ولداه ، عبد الملك ((المظفر))[1] (399هـ / 1008م) وعبد الرحمن (المأمون)[2] (399 / 1009م) ، وكان كل من هؤلاء جميعا يلقب بالحاجب بينما كان الخليفة هشام الثاني (المؤيد) (366 — 399هـ / 976 — 1009م) في أيديهم دمية لا حول لها ولا طول[3] ، واشتعلت الفتنة[4] بعد عبد الرحمن ، وغرقت قرطبة في أنهار من الدماء[5] ، وظلت في بلبلة واضطراب الى أن غادرها هشام الثالث (المعتمد بالله) سنة (422 هـ / 1031م) فكان آخر خليفة أموي في قرطبة وبخلعه انقطعت

---

(1) لقّب نفسه بالمظفر سنة 397 هـ (لفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، ص : 122 ، منشورات : دار مكتبة الحياة ، بيروت . (د . ت)

(2) ويلقّب أيضا بالناصر ، ويعرف في الروايات التاريخية بلقبه (شنجول) ، وهو كما يظهر تحريف أو تصغير لاسم (شبجة) أحد أخواله ، ذلك أن أمه كانت قشتالية الأصل (الدكتور ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ، ص : 371 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 2 سنة 1980)

(3) علي عبد العظيم : ابن زيدون ، ص : 23 ، مطبعة مكتبة الأنجلو المصرية سنة 196[illegible])
وانظر : Lévi-Provençal : Histoire de l'Espagne musulmane T. II. p. 14, 23, 32

(4) انظر تفصيل الخبر عن هذه الفتنة : ابن عذاري : البيان المغرب ، ج 3 ص : 50 — 119 وابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ، ص : 35 وما بعدها .

(5) علي عبد العظيم : ابن زيدون ، ص : 26 و Dozy : Histoire des musulmans d'Espagne tome II p. 325, 338

الدّولة الأموية ، وانقسمت بعد الخلافة الى دويلات متعددة ، سمي القائمون عليها بملوك الطوائف[1]، ومن أهم هذه الدويلات : — الدولة الهودية في سرقسطة ([illegible]) من سنة 410هـ / 1009م الى سنة 535هـ / 1141م ، وهي دولة عربية ، ومن أشهر ملوكها : المقتدر بالله وكان شاعرا، وابنه المؤتمن وكان عالما بالرياضيات[2].

والدولة الزيرية : في غرناطة أسسها بنو زيري الصنهاجيون سنة 403هـ وهم فرع من بني زيري حكام الدولة الزيرية في افريقية على عهد الفاطميين[3]، ظل ملكهم الى سنة 483 هـ / 1090 م .

والدولة الحمودية : أسسها بنو حمود الأدارسة الحسنيون العلويون سنة 407 هـ / 1016 م ((وهي دولة شيعية من المغرب تنتسب الى ادريس من سلالة الحسن بن علي . تنقلت بين قرطبة ومالقة والجزيرة الخضراء ، وانقرضت سنة 450 هـ / 1058 م))[4].

والدولة العامرية :[5] استقلت في بلنسية Valencia سنة 412هـ / 1021م وهي دولة عامرية دام ملكها الى سنة 478 هـ / 1085 م .

---

(1) انظر : تاريخ ابن خلدون ، ج 4 ، ص : 336 وما بعدها ، والدكتور احمد مختار العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ، ص : 253 وما بعدها ، دار النهضة العربية ، بيروت ، سنة 1973 .

(2) الدكتور عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، ص : 94 .

(3) الدكتور أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص : 255 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، سنة 1973 .

(4) الدكتور جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص : 23

(5) العامريون كانوا من أسرة عربية تنتمي الى قبيلة معافر اليمنية ، وأنهم كانوا من أوائل الذين دخلوا الأندلس صحبة طارق بن زياد (الدكتور العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص : 253 .

ودولة بني الأفطس : في بطليوس Badajoz، وهي بربرية من بربر مكناسة حكمت من سنة 413 هـ / 1022 م الى سنة 487 هـ / 1094م ((وكانت دولة متحضرة نهضت بالعلوم والفنون))(1)، وممن نبغ من بني الأفطس المظفر صاحب كتاب التاريخ المسمى ((بالمظفري وكان المتوكل ابنه أديبا كالمعتمد بن عباد في اشبيلية يقرب الأدباء والعلماء ، وقتل المتوكل على يد جيش يوسف بن تاشفين ، ومن قبله قتلوا ولديه وهو ينظر اليهما(2) وفي رثاء ملوك بني الأفطس قال ابن عبدون رائيته المشهورة والتي مطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور(3)

ومن دويلات ملوك الطوائف :

الدولة العبادية : في اشبيلية ، حكمت من سنة 414 هـ / 1023م، الى سنة 484 هـ / 1091م وهي عربية تنتسب الى النعمان بن المنذر اللّخمي آخر ملوك الحيرة(4) ((وبلغت اشبيلية عصرا من الازدهار الفريد تحت حكم أسرة بني عباد وفي عهد المعتمد بن عباد بخاصة(5)، حيث كان

---

(1) الدكتور جودت الركابي : في الأدب الأندلسي، ص : 24
(2) الدكتور عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، ص : 96
(3) الدكتور الطاهر أحمد مكي : دراسات أندلسية . . . ص : 274، دار المعارف ، ط 1 سنة 1980 .
(4) وأول من هاجر من أجدادهم الى الأندلس هو نعيم وابنه عطاف ، وكان في الأصل من أهل بلدة العريش المصرية ، ثم انتقلا الى الأندلس حيث استوطنا اشبيلية ، انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 4 ، ص : 112 وما بعدها . . .) طبعة الدكتور احسان عباس .
(5) فون ، شاك : الفن العربي في اسبانيا وصقلية ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ص : 65 دار المعارف ، 1980 .

المعتمد بن عباد من أعظم ملوك الطوائف ، وكان شاعرا من طبقة عالية ، يدعو الشعراء والعلماء والفلاسفة الى بلاطه ، واجتمع في بلاطه من الأدباء ما لم يجتمع مثلهم في بلاد أمير من الأمراء أو ملك من الملوك ، فازدانت بهم سماء الأندلس وأشرقت[1] ، وكانت زوجته الرميكية وابنته بثينة شاعرتين[2] ، وقد كانت نهايته المأساوية على يد يوسف بن تاشفين[3] .

والدولة الجمهورية : في قرطبة ، تأسست بعد سقوط الخلافة الأموية ، وحكمت من سنة 422 هـ / 1031م الى سنة 463 هـ / 1070م ،[4] وأول من تولى الأمر في قرطبة بعد سقوط الخلافة ، أبو الحزم بن جمهور ، ثم ابنه أبو الوليد بن جمهور — ودام حكم بني جمهور أربعين سنة ثم سقطت دولتهم في يد العباديين .

ودولة بني ذي النون : في طليطلة ، حكمت من سنة 427 هـ / 1035 م الى سنة 487 هـ / 1094م ، وهي دولة بربرية ، ومن ملوكها اسماعيل بن ذي النون الملقب بالظافر وولده يحي الملقب بالمأمون ، وحكم المأمون ثلاثة وثلاثين عاما ، قضاها في نزاع دائم مع ابن هود صاحب سرقسطة ، وابن عباد صاحب اشبيلية وغيرها من الدويلات التي تجاوزت العشرين ، منها الكبيرة ، ومنها الصغيرة ، ويعتبر تاريخ الأندلس في هذه

---

(1) انظر : بسام العسلي : المعتمد وابن تاشفين ، ص : 126 وما بعدها ، دار النفائس ، بيروت ط 1 ، 1981 .

(2) سنفصل الحديث عنهما .

(3) انظر المرجع السابق ، ص : 104 وما بعدها .

(4) يلاحظ اختلاف بين المؤرخين حول تاريخ نهاية الدولة الجمهورية ، انظر : بسام العسلي : المرجع السابق ص ، 16 ، وشوقي أبو خليل ، الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين ، ص : 86 ، والدكتور جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص : 24 ، والدكتور عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس ، ص : 98 .

الفترة من صور المآسي في التاريخ الاسلامي[1]، حيث كان هؤلاء الملوك في حروب مستمرة فيما بينهم ، وكان القوي منهم يغلب الضعيف فيزيل سلطانه كما حدث أن أزال ملوك بني عباد حكم بني جهور في قرطبة[2]، وكانوا كثيرا ما يستنجدون بملوك الاسبان ويستعينون بهم في حروبهم مع بعضهم البعض ، وكان الاسبان يتسلمون لقاء ذلك العون حصونا ومدنا وأموالا ،[3] ويغتنمون فرصة تمزق هذه الدويلات ، فيهاجمونها ويستولون على عواصمها خصوصا بعد أن توحدت ممالك استورياس وليون وقشتالة في مملكة واحدة بزعامة ملكها الفونسو السادس ، فأصبحت مملكة كبيرة تهدد ملوك الطوائف وترهبهم — فأصبحوا جميعا يدفعون لها الجزية وهم صاغرون[4]، واستطاع الفونسو السادس ملك قشتالة أن يستولي على طليطلة من خلفائه بني ذي النون عام 1085 م الموافق لـ 478 هـ ، وكان لاحتلال طليطلة من قبل الاسبان أثر بالغ في نفوس المسلمين حيث انقسمت بلادهم الى شطرين ، وتمزق شملهم ، وقد عبر عن ذلك أصدق تعبيرا لشاعر الطليطلي عبد الله بن فرج اليحصبي المعروف بابن العسال بقوله :

يا أهل أندلس حثوا مطيكم — فما المقام بها الا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى — ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

ونحن بين عدو لا يفارقنا — كيف الحياة مع الحيات في سفط[5]

وقد استخف الفونسو السادس بقوة المسلمين في الأندلس ، فاتجه بجيوشه نحو مدينة سرقسطة ، وحاصرها بغية الاستيلاء عليها ، وفي نفس الوقت أخذ يضرب ملوك الطوائف بعضهم ببعض ، ويغير على أراضيهم

---

(1) الدكتور أسعد حومد : محنة العرب في الأندلس ، ص : 73
(2) الدكتور جودت الركابي : في الأدب الاندلسي ، ص : 24
(3) الدكتور أسعد حومد : المرجع السابق ، ص : 73
(4) نفس المرجع ونفس الصفحة
(5) دكتور الطاهر أحمد مكي : دراسات أندلسية ، ص : 254

يطالبهم بالأموال كي يضعفهم حربيا واقتصاديا [1] ((وبلغ من تهجرفه أن طلب من المعتمد بن عباد أن يسمح لزوجته أن تضع مولودها في مسجد قرطبة ، حيث كان يوجد مقام بعض القديسين ، قبل دخول المسلمين ، ولما تلكأ ابن عباد هدده الفونسو بالحرب ، وتقدم الى اشبيلية يعسكر أمامها على الجانب الآخر من النهر الكبير)) [2] غير أن هذا الطلب - الاستفزازي - كان أكبر من قدرة احتمال المعتمد ، فامتنع عن قبوله ، وأمر بصلب الوزير اليهودي سفير الفونسو اليه [3] ولما كان خطر الفونسو يهدد بلاد المسلمين في الأندلس ، فلم يجد المعتمد بن عباد وسيلة لدفع هذا الخطر الا اللجوء الى أمير المرابطين في المغرب [4] ، لكن بعض ملوك طوائف الأندلس حذروه عاقبة ذلك قائلين : ((السيفان لا يجتمعان في غمد واحد)) [5] ، فأجابهم بكلمته المشهورة : ((رعي الجمال خير من رعي الخنازير)) [6] فاقتنعوا برأيه ، وأرسل وفدا الى أمير المرابطين يطلب منه النجدة فلبى يوسف بن تاشفين النداء ، وجاء الى الأندلس بقوات ضخمة ، وانضمت اليه جيوش المسلمين في الجزيرة ، والتقوا بجيش الفونسو السادس قرب بطليوس في موقعة ((الزلاقة)) الشهيرة سنة 479 هـ / 1086م [7] .

وعاد يوسف بن تاشفين الى المغرب بعد زوال الخطر عن الأندلس تاركا بعض جيشه في الأندلس تحت تصرف ملوك الطوائف ، ولكنه أدرك أن ملوك الطوائف لم يستطيعوا الصمود في وجه العدو ، لأنهم سرعان ما تناسوا خطر العدو ، وعادوا يتآمرون على بعضهم البعض ويتصلون بالعدو من جديد ، معرضين بلادهم للضياع ، وهذا قرر ابن تاشفين القضاء على ملوك الطوائف ، فعزلهم واحدا واحدا ، وانتهى من ذلك سنة 495هـ / 1102م ، وأصبحت الأندلس ولاية للمرابطين عاصمتها مراكش .

---

1) الدكتور مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص : 262، 263

2) الدكتور أسعد حومد : محنة العرب في الأندلس ص : 73

3) أنظر بسام العسلي : المعتمد وابن تاشفين ص : 65 وما بعدها

4) أنظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج 3 ص : 141 وما بعدها ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

5) 6) الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار ص : 35 ، طبعة ليفي بروفنسال . والمراكشي : المعجب ... ص : 32 طبعة القاهرة 1324 هـ

7) أنظر تفصيل الخبر عن هذه المعركة الحميري المصدر السابق ، ص : 83 وما بعدها .

وهكذا كان الوضع السياسي مترديا في عهد ملوك الطوائف وهؤلاء الملوك منشغلـــون باللهو والمجون ومظاهر الأبهة الكاذبة ، حتى أن بعضهم قد عهدوا الى تقليد الخلفـــاء العباسيين في حياتهم وفي ألقابهم ، وفي ذلك يقول الشاعر ابن رشيــق :

مما يزهدني في أرض أنـدلـس ... أسمـاء معتمـد فيها ومعتضـد

ألقاب مملكة في غير موضعهـــا ... كالهرّ يحكي انتفاخا صولة الأسد [1] .

ولم يكن هذا الانحلال السياسي في القرن الخامس ظاهرة من ظواهر الانحلال الاجتماعي والفكري ، فقد صاحبه على العكس من ذلك ازدهار فكري ، وتطور اجتماعي ، نضـج أثنـــاءه المجتمع الأندلسي ، واكتسب صفاته المميزة ، وشخصيته الخاصة[2] ، حيث كان الشعـــب الأندلسي ، ينعم بثراء وفير ، وهذا الترف في العيش صرفهم عن العمل الشاق المضنـي ووفر لهم الوقت لعدم الطاعة والخبث [3] ، وكان الأمراء يتنافسون فيما بينهم في بناء القصور واتخاذ الأبهة ، وانتحال ضروب التفخيم[4] ، وكانت في المدن الكبيرة ، أسواق النخاسة يباع فيها الجواري والغلمان ، وتمتعت المرأة الأندلسية بحرية لم تعرفها بغداد فــي أوج ازدهارهـــا[5] ، وكان القرن الخامس ، قرن ازدهار للعلوم والفنون والآداب فـي الأندلس ، اذ يكاد يكون هذا القرن العصر الذهبي لجميع مظاهر الفكر[6] ، فكثرت المدارس فـــي قرطبة ، وكان العلم في جميعها مجانا ، وضمت هذه المدينة وغيرها ، خزائن زاخرة بالكتب من كل الأصناف ، ومختلف اللغات[7] ، وكان اذا مات أحد الأدباء في اشبيلية نقلت مكتبته الى قرطبة ، واذا مات أحد الموسيقيين في قرطبة، نقلت آلاته الى اشبيلية ، لأنــه كمـــا كانت قرطبة معهد العلوم والآداب ، كانت اشبيلية معهد الموسيقى ، وآلات الطرب [3] ، واشتهر في ذلك العصر علماء ومؤرخون وفلاسفة أفذاذ منهم ابن حزم المتوفى سنة 456 هـ) صاحب كتاب طوق الحمامة في فلسفـــة الحـــب ، ...ـال ان مؤلفاتـــه

(1) ابن رشيق : الديوان ، ص : 93 جمعه ، الدكتور عبد الرحمن ياغي ، طبعة دار الثقافة، بيروت
(2) الدكتور صلاح خالص : اشبيلية في القرن الخامس الهجري ص : 35، دار الثقافة ، بيـروت سنة 1961
(3) Ti... ... ... p. 46
(4) أنظر الدكتور احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف ، ص : 39 ومابعدها
(5) وليام الخازن : ابن زيدون ـ أثر ولادة في حياته وأدبه ـ ص : 19
(6) الدكتور أحمد بدر : تاريخ المغرب والأندلس ، ص : 153 ، دار النهضة العربية بيروت 1972
(7) وليام الخازن : المرجع السابق ، ص : 20
(8) الدكتور محمود الحفني : زرياب ، سلسلة أعلام العرب رقم : 4 ، ص : 137 عـن : الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف : قرطبة الاسلامية ، ص : 322 الدار التونسية للنشـر .

يلغ أربعمائة مجلد تناهز ثمانين ألف ورقة [1]، وابن سيدة المتوفى سنة 453 هـ صاحب المخصص والمحكم ، وابن حيان المؤرخ الشهير المتوفى سنة 469 هـ) والذي يعتبر أعظم مؤرخي الاندلس على الاطلاق ، حيث ألف قرابة خمسين مؤلفا لم يبق منها الى الآن الا قطع مبعثرة من كتاب المقتبس [2]، والزهراوي المتوفى سنة 500 هـ صاحب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، وهو كتاب في الطب ترجم الى اللاتينية في القرن الخامس عشر فأفاد أوربا بموجهها الأكبر في تجبير العظام والأعمال الجراحية ، وله كتيب آخر في الآلات الجراحية مع ترضيحها بالأشكال وطرائق الاستخدام [3]، ومن أمتع كتب التراجم في هذا العصر ، الذخيرة لابن بسام ، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ، والصلة لابن بشكوال ، والتكملة لابن الأبار وغيرها [4] .

أمّا الأدب في هذا العصر فقد شهد تطورا واسعا في نواحي مختلفة ، وذلك يرجع الى تشجيع الأمراء للحركة الأدبية ورعايتهم لأصحابها ، فلقد تعددت مراكز الثقافة بتعدد عواصم ملوك الطوائف بعد أن كانت قرطبة عاصمة الخلافة من قبل مركزا واحدا ينجذب اليه الشعراء فأصبحت هذه الامارات أسواقا لهم ، وكان من بين هؤلاء الملوك أدباء وشعراء كالمظفر وابنه المتوكل ملكي بطليوس والمقتدر بن هود ، والمعتصم بن صمادح ، والمعتمد بن عباد وغيرهم ، وكانوا يتنافسون في استمالة الأدباء والعلماء والشعراء الى بلاطاتهم ونتيجة لذلك انتعشت الحركة الأدبية في القرن الخامس ، حتى ليعدّ هذا العصر من أزهى عصور الأندلس الأدبية [5] وفيه أخذ الأدباء الأندلسيون يتحررون من التبعية للمشارقة ، ويشعرون باستقلالهم الفكري ، وشرعوا في مباراة المشارقة ومعارضتهم ، فبزوهم حينا ، وقاربوهم في معظم الأحايين [6]، لكنهم لم يتحرروا تحررا خالصا من الأدب القديم الموروث شأنهم في ذلك شأن اخوانهم المشارقة ،

---

(1) ابن زيدون : الديوان ص : 16 (تحقيق علي عبد العظيم)
(2) الدكتور احمد بدر : تاريخ المغرب والأندلس ص : 165 دمشق (1970 — 1971)
(3) ابن زيدون الديوان ص : 17
(4) لأخذ فكرة مفصلة عن الحركة الفكرية في هذا العصر ، راجع كتاب ، الدكتور احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي — عصر الطوائف . . . ص : 56 وما بعدها
وكتاب الدكتور أحمد بدر : تاريخ المغرب والأندلس ص : 163 وما بعدها .
(5) الدكتور عبد العزيز عتيق : تاريخ الأدب العربي في الأندلس ص : 100
(6) ابن زيدون : الديوان ص : 17 .

فقد ظل الشّعر الجاهلي يهيمن بأساليبه ومعانيه على الشّعر العربي في مختلف العصور وكانت محاولات التجديد دائما في نطاق محدود [1]، ومن بين الأغراض الشعرية التي طبعها الأندلسيون بطابعهم الخاص، في هذه الفترة، هي : وصف الطبيعة، ورثاء الممالك الزائلة، والغزل، والهجاء، والاتجاه الفلسفي والزهدي.

لقد برع الأندلسيون في وصف الطبيعة [2]، وأبدعوا فيها آيات رائعة جديرة بالخلود، وتفننوا في وصفها، فوصفوا الطبيعة الحية، والطبيعة الصامتة، وكان لطبيعة الأندلس البديعة أثر بارز في إلهام الشعراء، هذه الطبيعة الخلابة التي جعلتهم يرون فيها جنة الخلد كما يقول ابن خفاجة :

يا أهل أندلس لله دركم ... ماء، وظلّ وأنهار وأشجار

ما جنة الخلد إلّا في دياركم ... ولو تخيرت هذا كنت اختار

لاتختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا ... فليس تدخل بعد الجنة النار [3]

وقد برعوا في تشخيص الطبيعة، فإذا هي ظل لروح الشاعر كقصيدة ابن زيدون ((إني ذكرتك بالزهراء ...)) التي مزج فيها الشاعر حبه للطبيعة بحبه لولادة بحبه للوطن، فكانت حقا رائعة من روائعه، وقصيدة ابن خفاجة في وصف الجبل، الذي نفخ الشاعر فيه من روحه، وهي من أروع قصائده، وفيها يقول :

وأرعن طماح الذؤابة باذخ ... يطاول أعنان السماء بغارب

يسد مهبّ الريح من كل وجهة ... ويزحم ليلا شهبه بالمناكب

وقور على ظهر الفلاة كأنه ... طوال الليالي مفكر في العواقب

يلوث عليه الغيم سود عمائم ... لها، من وميض البرق حمر ذوائب [4]

وكذلك برعوا في رثاء الممالك الزائلة، وفاقوا المشارقة، لقد حزّ في نفوسهم أن يروا فجأة وطنهم الذي طالما تغنوا بجماله وحبه يسقط بلدا اثر بلد في أيدي النصارى، فأحرق ذلك أكبادهم، وفتت قلوبهم، ففاضت بكاء، ولوعة على مجد ضائع ....

---

1) المصدر السابق، ص : 19

2) لأخذ فكرة مفصلة عن شعر الطبيعة في الأندلس، راجع كتاب الدكتور جودت الركابي : في الأدب الأندلسي، ص : 124 وما بعدها.

3) ابن خفاجة : الديوان، ص : 117 دار بيروت للطباعة والنشر، 1400هـ — 1980م

4) نفس المصدر، ص : 43

فبكى ابن اللبانة (ت 507 هـ — 1113م)[1]، دولة بني عباد وابن عبدون (ت 520 هـ)[2]، دولة بني الأفطس ، ورثى المعتمد بن عباد دولته ، وكان شعرهم صادقا يطفح بالأسى .

أما الغزل في عصر ملوك الطوائف ، فقد تأرجح بين العفاف والفجور بين الشهوة والترفع[3]، حيث نجد غومس يقول : ((كان الاتجاه الغالب على الحب وفهمومه اذ ذاك ، اتجاها حسيا مريضا ، تحركه الشهوة ، وتجدد نشاطه الرغبة بصورة مستمرة))[4]، ثم يعود فيقول : ((انّ حبّ الأندلسيين عامة عذرى))[5]، ومهما يكن من أمر فان الغزل الأندلسي في هذا القرن كان يعبر أصدق تعبير عن حياة ذلك العصر اللاهية .

وكذلك الهجاء فقد كان يزخر بالفحش والاقذاع ، وأشهر من عرفوا به في هذا القرن ، أبوبكر المخزومي الأعمى في مماتناته الفاحشة مع نزهون الغرناطية[6]، وولادة[7] في هجائها لابن زيدون ، ومهجة القرطبية[8]، في

---

(1) أبوبكر محمد بن عيسى المشهور بابن اللبانة ، نسبة الى أمه وكانت تبيع اللبن ، انظر عنه : ابن سعيد : المغرب ، ج 2، ص : 409 وما بعدها . والاصفهاني : الخريدة — قسم شعراء المغرب والأندلس — ج 2، ص : 107 وما بعدها ، الدار التونسية للنشر ، 1971 م .

(2) وقيل توفي سنة (529 هـ) أنظر عنه ، ابن الآبار : الحلة السيراء، ج 2ص: 102 والأصفهاني : الخريدة ، ج 2 ص : 103 وما بعدها .

(3) وليام الخازن : ابن زيدون ... ص : 18

(4) غرسيا غومث : الشعر الأندلسي ، ص : 43

(5) المرجع نفسه ، ص : 45

(6، 7، 8) سنفصل الحديث عنهنّ في حينه .

هجائهما لصديقتهما ولادة ، وابن سارة الشنتريني[1]، والسميسر[2]

أما الاتجاه الفلسفي في الشعر الأندلسي ، فقد مر بثلاث مراحل، مرحلة الكاره ، ومقاومته ومرحلة التملح بالآراء الفلسفية ، ومرحلة اخضاع الشعر للفكرة الفلسفية[3]، ونلاحظ الأتجاهين الثاني والثالث في هذا العصر ، ويمثل الاتجاه الثاني ، السيد البطليوسي ، وأبو طالب عبد الجبار وابن حزم ، والاتجاه الثالث عبد الجليل بن وهبون المرسي الذي يعتبر أكثر نضجا من غيره لانه أدرك الزمن الذي بدأت فيه الفلسفة تتحرر وتتخذ طريقها في الأندلس .

واذا كان الشعر الفلسفي ضئيلا . في هذه الفترة ، فان الشعر الزّهدي قد وجد له مرتعا خصبا ، وكانت بواعثه كثيرة ، فقد كان لسلطة الفقهاء أثر في نفوس الناس ، كما كان للحروب الكثيرة ضد النصارى أثر في نفوس الشعراء فمالوا الى التعصب لدينهم واستمساكهم به ، والذين أسرفوا في اللهو والشراب ، وأدركوا غرور الدنيا ، فأخذوا يستعرضون ذنوبهم ويطلبون العفو والمغفرة من اللّه ، ويمثل هذا التيار ابن العسال (ت 487 هـ) ، وأبو اسحق الالبيري (ت 450 هـ) وغيرهما ، يقول أبو اسحاق الالبيري باكيا نفسه :

فيا اخوتي مهما شهدتم جنازتي فقوموا لربّي واسألوه نجاتي
وجدوا ابتهالا في الدعاء وأخلصوا لعل الاهي ، يقبل الدعوات[4]

---

(1) 2) انظر شعرهما : الدكتور احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي — عصر الطوائف والمرابطين ، ص : 139 وما بعدها .

(3) انظر المرجع السابق : ص : 125 وما بعدها .

(4) ديوان الالبيري ، تحقيق الأستاذ غرسية غومس ، مدريد ، ص 99 ، وانظر المقطوعة كاملة هناك ، وانظر بالتفصيل عن الاتجاه الزهدي ، الدكتور احسان عباس : المرجع السابق، ص : 130 وما بعدها .

وكان القرن الخامس حافلا بالشعراء ، ففي رواية للقزويني أن أهل الأندلس أصبحوا جميعهم شعراء ؟ ((فأبى فلاح يحرث بأثوار في شلب ، يرتجل ما شئت من الأشعار ، فيما شئت من المعاني))[1]، وفي هذا القرن ظهر أشهر شعراء الأندلس كابن زيدون (394 — 463 هـ)[2]، وابن عمار (422 — 477 هـ)[3]، والمعتمد بن عباد (421 — 488)[4] وابن خفاجة (451 — 533 هـ)[5]، وابن حمديس (447 — 527 هـ)[6] وكثيرون غيرهم .

في ظل ذلك امتاز القرن الخامس بإشتراك المرأة في الحياة الاجتماعية ، وشيوع الشعر النسوي الذي تمثل في وفرة عدد الشواعر وجودة أشعارهن ، فكانت شاعرات مجيدات كولادة بنت المستكفي ومهجة بنت التياني القرطبية ، ونزهون الغرناطية ، وحمدة ونسمة بنت زياد و غيرهن[7]، وسأذكر بعضهن فيما استقبل من حديث .

---

(1) عن وليام الخازن : ابن زيدون ... ص : 20

(2) انظر عنه ، ابن بسام : الذخيرة 1/1 ص : 336 ومابعدها ، والخريدة ج 2 ص:3‍ وما بعدها . وابن خاقان : قلائد العقيان ، ص : 79 وما بعدها وابن سعيد : المغرب ج 1 ص : 63 وما بعدها .

(3) انظر عنه ، ابن بسام : الذخيرة القسم الأول ، المجلد الثاني ، ص : 363 وما بعدها ، وابن خاقان : قلائد العقيان ، ص : 33 وما بعدها ، والأصفهاني : الخريدة ، ج 2 ص : 71 وما بعدها .

(4) انظر عنه ، ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الثاني ، ص : 13 وما بعدها ، وابن الأبار : الحلة السيراء ، ج 2 ص : 52 وما بعدها ، وابن خاقان : قلائد العقيان ، ص : 4 وما بعدها .

(5) انظر عنه : القلائد ، ص : 266 وما بعدها ، وعبد الرحمن جبير : ابن خفاجة الأندلسي

(6) انظر عنه : الذخيرة 1/2 ص : 76 و 4/2 ص : 320 وما بعدها والخريدة ج 2 ص : 124 وما بعدها .

(7) سنفصل الحديث عنهن بعد حين .

صفية بنت عبد الله الريحي :

كما أسلفت ، كثرت الشاعرات في هذه الفترة ، ومنهن صفية هذه ، وهي : أديبة شاعرة ، ومن أخبارها التي ذكرت عنها ، أنها كانت جيدة الخط ، فقد ذكرها صاحب بغية الملتمس بذلك [1] عاشت في الربع الأول من القرن الخامس ، ولم يصلنا من أخبارها الا القليل ، وذلك لأن المصادر التي بين أيدينا كلها سكتت عن أخبارها ، ماتت وهي لاتزال في ريعان الشباب ، وكانت وفاتها في آخر سنة (417هـ) ، وهي دون الثلاثين .

وأما شعرها فأبيات ثلاثة تقول فيها :

وعائبة خطي فقلت لها : اقصري	فسوف أريك الدر في نظم أسطري
وناديت كفي كي تجود بخطها	وقربت أقلامي ورقي ومحبري
فخطت بأبيات ثلاث نظمتها	ليبدو لها خطي ، وقلت لها : انظري [2]

ويبدو أن فن الخط كان يحظى بعناية الأندلسيين في هذه الفترة والا فما باله يكون موضع هجاء إذا ساء وموضع اعجاب اذ احسن ، وقد أعطته صفية أهمية كبيرة ، وها هي ذي تريننا أدواته ، وتشبهه بالدر .

هذا ما جادت به علينا المصادر من أشعارها ، وهو قليل جدا ، ولعل الأيام في المستقبل ستكشف لنا عن أشعار أخرى لصفية .

---

(1) الضبي : بغية الملتمس ص 527 ، الترجمة رقم : 1593 ، طبع في مجريط 1884
وابن بشكوال : الصلة ، مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد برقم XX 4900
الورقة : 405

(2) بغية الملتمس ، ص : 520 رقم : 1593 .

مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري :

ومن شاعرات الفترة أيضا مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري[1] الحاجة[1] :

وهي أديبة شاعرة ، كانت تعلم النساء الأدب[2] ، ويبدو أنها كانت محتشمة ، متدينة ، عفيفة ، فاضلة ، مما جعل بعضهم يميزها من نساء اشبيلية اللائي كنّ يعرفن بالخلاعة وهي في الأصل من مدينة (شلب)[3] ، وسكنت اشبيلية واشتهرت بها بعد الأربع مائة[4] ، أي : أنها عاشت في القرن الخامس ، ويذكر المقري بأنه نقل أخبارها عن ابن دحية في ((المطرب)) ، ويرى الدكتور احسان عباس ((بأن المقري دنا وهم ، فأثبت نص ((الصلة)) ونسبه ((للمطرب)) وليس في ((المطرب)) ترجمة لمريم هذه))[5] ، بينما نرى أن المقري قد يكون على صواب ، لأنه ربما نقل من نسخة أخرى من ((المطرب)) لم تصلنا ، وقد تكون هذه النسخة ضاعت مع ما ضاع من التراث الأندلسي ، أو أنها لاتزال محبوسة في احدى خزائن المخطوطات .

وتثبت الروايات أن مريم الشاعرة كانت تمدح عبيد الله بن محمد المهدي[6] الأموي وكان يجيزها من ماله ، ويساجلها شعرا وتساجله[7] ، فبعث اليها يوما بدنانير وأبيات من الشعر منها :

مالي بشكر الذي أوليت من قبل	لو أنني حزت نطق اللسن في الحلل
يافذة الظرف في هذا الزمان ويا	وحيدة العصر في الاخلاص في العمل
أشبهت مريم العذراء في ورع	وفقت خنساء في الأشعار والمثل[8]

(1) النفح ج 4، ص: 291، وفي الصلة، طبعة مصر، ص: 634، الترجمة: 1537 (الفيصولي) وفي مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد ، الورقة: 405 (القصيري) وفي بغية الملتمس ص: 522 الترجمة رقم: 2524 (الفصولي)

(2) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 291 ، والصلة ، ص: 634، الترجمة رقم : 1534 .

(3) شلب :بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره باء موحدة :مدينة بغربي الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام وهي غربي قرطبة وقيل، انه قل أن ترى من أهلها من لا يقول شعرا ولا يعاني الأدب. أنظر :ياقوت الحموي :معجم البلدان ج 3 ص: 357 باب الشين واللام وما يليهما دار صادر 1957، وانظر أيضا :الحميري :صفة جزيرة الأندلس ص : 106 وما بعدها .

(4) نفح الطيب ج 4 ص: 291، وبغية الملتمس ص: 523، الترجمة: 1534

(5) نفح الطيب هامش ص: 291 .

(6) في نفح الطيب ج 4 ص: 291 (المهدي) وفي بغية الملتمس (ابن المهند) وانظر: أبياتها

(7) الدكتور مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي ص: 157

(8) نفح الطيب ج 4 ، ص: 291 .

لقد شبهها المهدي بمريم العذراء في التقوى، والابتعاد عن الإثم والكف عن الشبهات والمعاصي، وبالخنساء في شاعريتها، وقد أبّنته بهذه الأبيات — وهي من نفس البحر والقافية — قائلة:

من ذا يجاريك في قول وفي عمل ... وقد بدرت إلى فضل ولم تُسَل
مالي بشكر الذي نظّمت في عنقي ... من اللآلي وما أوليت من قِبَل
حلّيتني بحُلى أصبحت زاهية ... بها على كل أنثى من حلى عطل
لله أخلاقك الغرّ التي سقيت ... ماء الفرات فرقّت رقة الغزل
أشبهت في الشعر من[1] غارت بدائعه ... وأنجدت وغدت من أحسن المثل
من كان والده العضب المهند لم ... يلد من النسل غير البيض والأسل[2]

وهكذا ترد مريم الجميل للمهدي الذي مدحها من قبل، فقصدته هي بدورها، فتصفه بالكرم، وحسن الأخلاق، وجودة الشعر، وشجاعة الأصل، وقد تقدم بشاعرتنا السن فعمرت عمرا طويلا[3]، فبلغت سبعا وسبعين سنة كما روت هي عن نفسها، فلم تعد تقدر على المشي إلا بوساطة العصا، وكأنها مكبلة القدمين، فلا تستطيع تحريكهما إلا ببطء شديد كالأسير المقيد بالأغلال، وقد سئم جسمها، فأصبحت تدب دبيب الأطفال، فلنستمع إليها إذن وهي تشكو الشيخوخة:

وما يرتجى من بنت سبعين حجّة ... وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدبّ دبيب الطفل تسعى إلى العصا ... وتمشي بها مشي الأسير المكبل[4]

لقد استطاعت الشاعرة أن تصور لنا آلام الشيخوخة تصويرا معبّرا في بيتين جميلين. هذا ما وصلنا من شعر مريم، ولا شك أن لها شعرا آخر لكنه ضاع، لأننا نعتقد أن من كتب هذا الشعر الجميل لابد أن يكون له شعر آخر.

---

(1) في النفح ج 4 ص: 292 (مروان) بدل (في الشعر)
(2) الضبي: بغية الملتمس ص: 529. الترجمة رقم: 1574 — والدكتور عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ج 4 ص: 330 — 331 دار العلم للملايين، بيروت ط 1، سنة 1981
(3) الضبي: المرجع السابق.
(4) نفح الطيب ج 4 ص: 292. والدكتور عمر فروخ: المرجع السابق، ص: 351.

الغسانية البجانية

ومنهن الشاعرة : الغسانية البجانية :

وهي شاعرة من شواعر الأندلس ، عاشت في منطقة بجانة[1] قرب المرية ، في مدة ملوك الطوائف ، أي : في القرن الخامس الهجري ، كما يقول ابن سعيد في المغرب[2] ، غير أن المقري في نفح الطيب يذكر بأنها من أهل المائة الرابعة[3] ، ((ولعل هذا سهو منه ، إذ كانت — كما يقول ابن سعيد — في مدة ملوك الطوائف ، أي في المائة الخامسة[4] ، ويرى الدكتور احسان عباس أنها ((أدركت آخر الدولة الأموية وعهد الفتنة ، وأوائل حكم الطوائف))[5] ، ونحن نرجح هذا الرأي الأخير ، لأنه أقرب الى الصواب في نظرنا ، غير انه من المؤكد أن شعر البجانية الذي وصل الينا ، قالته في القرن الخامس ، بدليل أنها مدحت به الأمير خيران العامري الذي حكم المرية بين سنتي (403 — 419هـ) تعارض أبا عمر أحمد بن دراج القسطلي (347 — 421هـ)[6] ، الذي مدح خيران هذا ((سنة (407هـ) وهو متوجه الى سرقسطة))[7] ، وإذن فتكون شاعرتنا الغسانية قد قالت قصيدتها بعد سنة (407هـ) أي : في القرن الخامس ، وقصيدة ابن دراج القسطلي التي عارضتها شاعرتنا تعتبر من أروع قصائده في المدح حيث يقول فيها :

لك الخير قد أوفى بعهدك خيران ... وبشراك قد آواك عز وسلطان[8]

هو النجح[9] لا يدعوك الى الصبح شاهد ... هو النور لا يبغي على الشمس برهان

اليك شحنا الفلك تهوي كأنها ... وقد ذعرت من مغرب الشمس غربان

---

1) بجانة : مدينة بالأندلس كانت في قديم الدهر من أشرف قرى أرش اليمن . . . بينهما وبين المرية خمسة أميال أو ستة أميال (الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص : 37 — 38)

2) ج 2 ، ص : 192

3) ج 4 ، ص : 170

4) ابن سعيد : المغرب ج 2 ، ص : 192 (هامش بقلم محقق الكتاب الدكتور شوقي ضيف)

5) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 170 (هامش بقلم محقق الكتاب ، الدكتور احسان عباس)

6) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج 3 ، ص : 217 — 219 ، وانظر عنه : ابن بسام : الذخيرة : 1/1 ، ص : 59 وما بعدها — تحقيق احسان عباس — والثعالبي : يتيمة الدهر ج 2 ، ص : 103 وما بعدها ، والمغرب ج 2 ، ص : 60

7) الدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص : 175

8) في الذخيرة : 1/1 ، ص : 22 (وافاك)

9) في المصدر السابق : (النجم) .

على لجج خضر إذا هبت الصبا ... ترامى بنا فيها ثبير وثهلان [1]

وقد عارضته شاعرتنا بقصيدة طويلة من نفس البحر والقافية، لم يصلنا منها إلا هذه الأبيات التي تقول فيها : [2]

أتجزع إن قالوا ستُرحل أظعان ... وكيف تطيق الصبر ويحك إذ بانوا
وما هو إلا الموت عند رحيلهم ... وإلا فعيش تجتني منه أحزان
عهدتهم والعيش في ظل وصلهم ... أنيق وروض الدهر أزهر ريان
ليالي سعد لا يخاف على الهوى ... عتاب ولا يخشى على الوصل هجران
ويسطو بنا لهو فنعتنق المنى ... كما اعتنقت سطوة الريح أغصان
ألا ليت شعري والفراق يكون هل ... يكونون لي بعد الفراق كما كانوا [3]

فهذه الأبيات التي بين أيدينا في الغزل وشكوى الفراق، وهي من قصيدة طويلة – كما أشرنا – في مدح الأمير خيران العامري، وما وصلنا منها هو هذه المقطوعة الغزلية التي استهلت بها الشاعرة قصيدتها، وقد التزمت فيها بالتقليد الشعري الذي ورثته عن العصور السالفة، ألا وهو – الاستهلال بالغزل –

والأبيات لا تخلو من عمق وجمال، وإن كنا لا نستطيع الحكم على القصيدة وموازنتها بقصيدة ابن درّاج مادمنا لم نعثر عليها كاملة.

---

1) ابن دراج القسطلي، الديوان، ص : 35

2) بغية الملتمس، ص : 539، الترجمة رقم : 1535.

3) المصدر السابق، نفس الصفحة، ونفح الطيب ج 4، ص : 171 (البيتان : 3، 4)، والمغرب ج 2، ص : 192.
(الأبيات : 1، 2، 3، 5)

زينب بنت فروة المرية :

ومن شاعرات الأندلس في هذا العصر : زينب بنت فروة المرية

شاعرة من شواعر المرية ، عاشت في عصر المعتصم بن صمادح(1)، أي في القرن الخامس الهجري ، وكانت زينب ((ذات حسن وجمال وبهاء وكمال، وأدب وظرف ، وتهذيب ولطف، رقيقة المعاني ، جزلة الألفاظ ، حاضرة البادرة))(2).

وكانت معاصرة للغسانية البجانية ، وغاية المنى ، وأم الكرام بنت المعتصم بن صمادح (3) وكلهن عشن في المرية ، في عصرها الذهبي .

وكانت زينب تحب ابن عم لها ، يقال له : المغيرة(4)، ويبدو أن الأصفاد الاجتماعية كانت تحول دون لقائه ، فكتبت اليه تبثه شكواها ، وتحدثه عن حبها الشديد له فقالت :

يا أيها الراكب الغادي لطيته ... عرّج أنبئك عن بعض الذي أجد
ما عالج الناس من وجد تضمنهم ... الّا ووجدي بهم فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه وأني في مسرّته ... وودّه آخر الأيام أجتهد (5)

استهلت الشاعرة أبياتها بنداء الحبيب دون تحرج ، وطلبت منه أن يتقدم منها لكي تبوح له بوجدها الذي لا نظير له ، وذلك بأسلوب سهل غير متكلف ، وعاطفة صادقة ، والأبيات تعبر أصدق تعبير عن ذلك العصر الذي عاشت فيه الشاعرة حيث

1) هو أبو يحيى محمد بن معن ، تولى الامارة بعد موت أبيه سنة 443 ه ، وتلقب بالمعتصم بالله سنة 446 ه ويعتبر عصره بحق عصر العلوم والآداب في المرية ، فاجتمع في قصره عدد كبير من الشعراء منهم : عبد الله بن الحداد وابن عبادة وابن الشهيد ، وغيرهم ، توفي سنة 484 ه .
(الدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ،ص: 174–176–177) وانظر عنه : ابن الأبار : الحلة السيراء ،ج 2ص: 83 وما بعدها ،وابن سعيد :المغرب ،ج 2ص: 195 وما بعدها .
2) عبد البديع صقر : شاعرات العرب ،ص: 151
3) الدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ،ص : 179 . والدكتور مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي ،ص : 143
4) عمر رضا كحالة : أعلام النّساء ،ج 2 ،ص : 102
5) نفح الطيب ،ج 4 ،ص : 235 ، وعبد البديع صقر : شاعرات العرب ،ص : 151 وأعلام النّساء ،ج 2 ،ص : 102 .

تتمتع المرأة الأندلسية بحرية لم تعرفها بغداد في أوج ازدهارها وذلك يرجع، ولا شك، الى العقلية الأوربية التي طبعت المجتمع العربي بكثير من مزاياها، ولا يعني ذلك أن التعصب كان مفقودا في ذلك المجتمع المتحضر[1]، ورغم تحرر المرأة الأندلسية، فانّ بعض الأسر العربية بقيت متزمتة ترى من بوح المرأة بحبها جريمة، وقد عبرت عن ذلك شاعرتنا زينب، فقالت :

ألم تر أهلي يا مغير كأنما   يفيؤون باللّوماء فيك الغنائما
ولو أنّ أهلي يعلمون تميمة   من الحبّ تشفي قلدوني التمائما[2]

هذه هي شاعرتنا زينب المرية، ولم نعثر لها الا على قطعتين من شعرها، وكم تمنينا أن نعثر لها على مزيد من الشعر حتى نستطيع أن نحكم على شاعريتها، وبالرّغم من ذلك، فهي في حدود ما وصلنا كما وصفت : رقيقة المعاني، جزلة الألفاظ.

---

(1) الخازن : ابن زيدون – أثر ولادة في حياته وشعره – ص : 19
(2) عبد البديع صقر : شاعرات العرب، ص : 131.
وعمر رضا كحالة : أعلام النساء، ج 2، ص : 102 – 103

غاية المنى :

واذا كنت ذكرت من الدراثر من أسبقت، فها أنا ذا أذكر من الجواري الشاعرات بعضاً منهن :

غاية المنى

وهي من شواعر المرية ، وكانت معاصرة للشاعرة زينب المرية ، والشاعرة أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح [1] ، أي : أنها عاشت في القرن الخامس الهجري ، وهي جارية كما يبدو ذلك من أخبارها الآتية الذكر ، وكانت لتجارة الرقيق في الأندلس ، ولا سيما الجواري سوق رائجة تدر كسبا باهظا لأصحابها ، فاحترفها كثير من الناس ، وكان بعض التجار يشتري جواريه فيدفع بهن الى من يعلمهن الغناء والأدب والشعر لكي يرتفع مستواهن المادي والعقلي [2] ، وقد شجع هؤلاء النخاسين على ذلك ، بعض الأمراء الذين أسرفوا في اقتناء الجواري ، وبالغوا في أثمانهن .

وغاية المنى هذه جارية قدمها صاحبها الى المعتصم بن صمادح ملك المرية في عهد ملوك الطوائف ، لكي يختبرها حتى يعرف مستواها الأدبي ، لأنه كان يريد جارية شاعرة ، فسألها قائلا :

ما اسمك ؟

فقالت : غاية المنى

فقال لها : أجيزي :

اسألوا غاية المنى

فقالت على البديهة : من كسا جسمي الضنى

وأراني مولها سيقول الهوى أنا [3]

والقصة تروى بطريقة أخرى رواها المقري نقلا عن ابن الأبار ، وهي : أن المعتصم بن صمادح لما رأى فيها النبل وقول الشعر وحسن المحاضرة

(1) الدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية .. : 173

(2) وقد كان ابراهيم الموصلي أول من علم الجواري الغناء .. وبلغ بهن كل مبلغ ورفع من أقدارهن ، ثم انتقلت الفكرة الى الأندلس على يد تلميذه زرياب : أنظر : فايد العمروسي : الجواري المغنيات ، ص: 47

وانظر أيضا : [illegible]

أمر بأن ((تدخل الى الأستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها ، وكان كفيفا))[1] فلما حضرت بين يديه ، قال لها :

ـ ما اسمك ؟

فقالت : غاية المنى ،

فقال لها : أجيزي ،

سل هوى غاية المنى   من كسا جسمي الضنى

فقالت تجيزه :

وأراني متيما   سيقول الهوى أنا[2]

ومهما يكن من أمر ، فإنّ غاية المنى بنجاحها في هذا الاختبار ، سواء أصحت الرواية الأولى أو الثانية ، قد اشتراها المعتصم بن صمادح ، وارتبط ذكرها بالمرية عاصمته . ولم نعثر لها على أشعار أخرى غير تلك التي ذكرت .

---

(1) نفح الطيب . ج 4 . ص : 237 وأعلام النساء ج 4 . ص : 5

(2) نفح الطيب . ج 4 . ص : 237 .

أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح

من شاعرات المرية أيضا في هذا العصر: أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح

شاعرة من شواعر الأندلس، واسمها أم الكرام أو أم الكرم كما ذكرها ابن سعيد في المغرب [1]، وهي بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية كما يقول المقري في النفح [2]، وابن سعيد في المغرب [3]، غير أن الدكتور احسان عباس في كتابه ((تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين)) يذهب إلى أن شاعرتنا أم الكرام أخت المعتصم [4]، ولسنا ندري هل كان ذلك سهوا منه أم أنه اعتمد على مصدر آخر لم يشر اليه، ومهما يكن فان أم الكرام كانت أميرة عاشت في بيت ملك وثراء، وقد اعتنى بها أبوها الذي كان من أهل الأدب والمعارف، وكان للشعراء والكتاب عنده سوق نافقة [5]، فنظمت الشعر والموشحات [6] والأزجال [7]، وعشقت فتى جميلا من ((دانية)) [8]، كان يعيش في قصر أبيها يعرف بالسمار، وفيه تقول:

يا معشر النّاس ألا فاعجبوا	مما جنته لوعة الحبّ
لولاه لم ينزل ببدر الدجى	من أفقه العلوي للترب
حسبي بمن أهواه لو أنه	فارقني تابعه قلبي [9]

تطلب الشاعرة من الناس أن يعجبوا معها مما جناه الحب عليها وما أوقعها بها من حرقة ووجد، ولم يمنعها كبرياؤها ومكانتها كأميرة من أن تصرح بحبها الفتاة الذي تمكن

---

(1) ج 2، ص: 202

(2) ج 2، ص: 170

(3) ج 2، ص: 202

(4) تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين ـ ص: 232

(5) الدكتور السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص: 176

(6) ابن سعيد: المغرب، ج 2، ص: 202

(7) الدكتور السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص: 179

(8) مدينة بشرقي الأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر، الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص: 76، وعبد البديع صقر: شاعرات العرب، ص: 331)

(9) المغرب، ج 2، ص: 202 ـ 203، والنفح، ج 4، ص: 170.

حبه منها ، فلو فارقها حبيبها تابعه قلبها .

لقد استولى حبه على نفسها ، وتربع في أحشائها ، وسكن مهجتها ، فها هي ذي تتغزل فيه وتتمنى لو أنها تظفر بخلوة معه بعيدا عن أعين الرقباء ، فتقول :

ألا ليت شعري هل سبيل لخلوة ينزه عنها سمع كلّ مراقب
وياعجبا اشتاق خلوة من غدا ومثواه ما بين الحشا والترائب(1)

هذه هي شاعرتنا أم الكرام ، فاذا رحنا نتلمس جديدا في معانيها ، فلن نجد جديدا يذكر ، لأن هذه المعاني طرقها المشارقة ، غير أن صياغتها جميلة وفيها يسر ووضوح ، وهي متمرسة بقول الشعر حيث كانت تنظم الموشحات والأزجال .

بقي أن أشير الى أنّ حبيبها الذي حدثتنا عنه الشاعرة ، لما بلغ خبره المعتصم أن بنته على صلة حب وهيام به ، خفي أمره من ذلك الحين (2).

(1) ابن سعيد : المغرب ، ج 2 ، ص : 203
(2) نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

ولادة بنت المستكفي :

ونذكر من الشّواعر — ولاّدة بنت المستكفي — شاعرة العصر :

وهي أديبة ، شاعرة ، ظريفة ، أميرة ، من البيت الأموي بالغرب الإسلامي ، وتتصل سلسلة أجدادها بعبد الرحمن الداخل ، من بني عبد الملك بن مروان ، وهي ابنة الخليفة محمد بن عبد الرحمن الناصري ، الملقب بالمستكفي ، وقد تولى الخلافة سنة 414هـ ((وكانت دولته سبعة عشر شهرا صعابا نكدات ، سودا مشوّهات مشؤومات ، أرسله الله تعالى على أهل قرطبة محنة وبلية ، اذ كان منذ عرف غفلا عطلا منحطا الى البطالة ، مجبولا على الجهالة ، عاطلا من كل خلّة تدلّ على فضيلة ...))[1] ويتفق ابن عذاري مع ابن بسام في وصف المستكفي خلقيا ، ويضيف في وصفه الخارجي فيقول هو : ((ربعة ، أشقر ، أزرق ، أشم ، مدوّر الوجه واللحية ، ضخم الوجه والجسم ، كبير البطن ، صاحب أكل وشرب وجماع وتخلف))[2] ، وكان تزوج من أمة مسيحية حبشية خبيثة ، هي بنت سكرة المورورية وكانت شريرة استبدت بالمستكفي ، ولد لها أم ولادة[3] ، فنشأت على سنة أمها في سهولة الحجاب ، وورثت عنها بشرتها البيضاء وشعرها الأصهب ، وعينيها الزرقاوين وجمال قوامها[4] .

ولم تدم سلطة أبيها في الحكم ، فبعد سبعة عشر شهرا من ولايته ، ثار عليه أهل قرطبة ، ففرّ مستخفيا بين إمرأتين الى مدينة أفليج مع بعض رجاله ، فاتهموه بمال فاغتالوه وقتلوه[5] .

ولما خلع المستكفي ثم قتل (415هـ) كانت ولادة في شرخ شبابها ، وذروة شهرتها ، وقد شهدت مصرع أبائها ، وانهيار دولتهم ، وتربص أمراء الطوائف فرأرائكم[6] ، وقد بخلت علينا المصادر التي أرّخت لحياتها بذكر السنة التي ولدت فيها شاعرتنا ، وذكرت السنة التي توفيت فيها ، وقد اتفق كل من ابن بشكوال في

(1) ابن بسام : الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ص : 434 و 437 (تحقيق الدكتور احسان عباس)
(2) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج 3 ، ص : 142
(3) ابن زيدون : الديوان ، ص : 29 (تحقيق علي عبد العظيم)
(4) الدكتور عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، ج 4 ، ص : 599
(5) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج 3 ، ص : 141 ، الضبي (599م) بغية الملتمس ، ص : 22
(6) فؤاد أفرام البستاني : ابن زيدون (سلسلة الروائع 31) ، ص : 14

والضبي في بغية الملتمس[1]، على أنها توفيت، يوم الأربعاء، لليلتين خلتا من صفر سنة 484 هـ . وقد قاربت المائة[2]، فيكون مولدها قريبا من سنة 385 هـ .

وكانت ولادة قد أخذت قسطا وافرا من التعليم قبل وفاة أبيها حيث أحضر لها العلماء والمثقفين، وحدب على تربيتها، لكنها ورثت عنه وعن أمها الشريرة ميلها الى المرح والتحرر من قيود المجتمع والجرأة على الفساد .

وهكذا قد تحررت من الأصفاد الاجتماعية بعد موت أبيها، فسفرت عن وجهها[3]، وفتحت أبواب قصرها للأدباء والشعراء ورجال الفكر فصار (صالونا) أدبيا يتهافت عليه الشعراء والكتاب فكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب الى ضوء غرتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، الى سهولة حجابها، وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب، وطهارة أثواب))[4] .

---

(1) ابن بشكوال : الصلة ، ص : 696 ، والضبي : بغية الملتمس ، ص : 532، غير أن هناك بعض المصادر تخالف هذا التاريخ ، في فوات الوفيات : توفيت بعد الخمسمائة (ج 4 ، ص : 253) لكننا نرجح رأيي ابن بشكوال والضبي لأنهما أقرب الى عصر ولادة .

(2) ابن زيدون : الديوان ، ص : 35 (تحقيق علي عبد العظيم)

(3) ابن نباتة : سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، ص : 22

(4) ابن بسام : الذخيرة 1/1 ، ص : 429

وهكذا كان منتدى ولادة ، تجمع فيه بين الجمال ، والأدب والذوق ، وأنيق الشعر ، ورفيع الغناء ، وحسن المعشر ، ورواء الحديث ، وحلاوة الرّد ، وحرارة النكتة ، حتى صح أن تعد من كبيرات ربات المجالس الأدبية ، أو ((الصالونات)) في الأدب العربي[1]، بل في الأدب العالمي ، فسبقت به أديبات فرنسا بعدة قرون ، فولادة فتحت صالونها الأدبي في قرطبة في القرن الحادي عشر الميلادي ، بينما عرفت فرنسا هذه الصالونات لأول مرة في القرن السابع عشر ، وكثرت في القرن الثامن عشر ، وكان صالون ((أوتيل دي رامبوييه)) أقدم صالون أدبي عرفته فرنسا وأوربا بأكملها وكانت صاحبة الصالون كاترين دي فيفون ، مركيزة رامبوييه (1588 — 1665) والتي فتحت صالونها الأدبي سنة 1608 م[2]، تشبه ولادة ، فهي فتاة جميلة معقولة التربية من أم رومانية وأب فرنسي ثم كثرت الصالونات الأدبية في فرنسا فكان صالون ((مادام ريكاميه)) في بداية القرن التاسع عشر ، وصالون الروائية الفرنسية ((جورج صاند)) التي جاءت الى باريس عام 1831 ، وصالون مادام دي ستال ، وكذلك صالون الأديبة مي زيادة (1886 — 1941) في أدبنا العربي الحديث[3].

---

(1) فؤاد أفرام البستاني : ابن زيدون ((الروائع 51)) ، ص 14.

(2) الدكتور الطاهر أحمد مكي : الصالونات الأدبية في الشرق والغرب (مجلة الدوحة العدد : 103 ، ص : 39)

(3) انظر بالتفصيل عن الصالونات الأدبية : المرجع السابق ، ص : 33 وما بعدها .

ومهما يكن من أمر فقد استطاعت شاعرتنا أن تفتن شعراء عصرها بجمالها وسحرها وذكائها وحلاوة عشرتها ، فاجتمع في ندوتها من معاصريها شعراء وأدباء ووزراء من الرجال والنساء ، وكانت تستقبل الجميع ببشاشة ولطف ، فيعجب بها الرّواد ، ويتمنى كل واحد منهم أن تكون له وحده ، وقد أشارت هي الى ذلك حين قالت :

اني وان نظر الأنام لبهجتي	كظباء مكّة صيد هنّ حرام
يحسبن من لين الكلام فواحشا	ويصدهن عن الخنا الاسلام[1]

فردّ عليها أحد روادها بقول بشار :

لا يؤنسنك من مخدّرة	قول تغلّظه ، وان جرحا
عسر النّساء الى مياسرة	والصّعب يركب بعدما جمحا[2]

فقالت : الاّ من ولادة ، وفي صالون ولادة كانت تدور مناقشات في مسائل الحبّ وألاعيبه على غرار ما جرى في فرنسا في القرن السابع عشر والثامن عشر ، لقد قال لولادة أحد رواد الصالون مداعبا : نظرا تك تدمي قلوبنا ، ونظراتنا تدمي وجنتيك ، جرح لجرح ، قابلي بينهما ، أيهما يستحق جزاء جرح العماد ؟

فأجابت ولادة : الذي يستحقها في نظري ، ياسيدي ، هو جرح الوجنتين لأنه لاسبيل الى انكاره ، أما أنت ، فلا تبدي الا ادعاء فارغا بما تقول ، اذ أين الجرح الذي تتكلم عنه ؟ أين الشهور[3] ؟

---

(1) ابن زيدون : الديوان ، ص : 30 (تحقيق علي عبد العظيم)
(2) المصدر السابق ونفس الصفحة
(3) [illegible] : 422 — 423

وكان الشاعر ابن زيدون من رواد هذا الصالون ، وعلى رواده يقرأ شعره . فأعجبت ولادة بشعره ، وفصاحته ، ووسامته ، وطموحه ، وأعجب هو الآخر بسحرهـا وخفـة روحها ، وظرفها وأدبها ، وأنوثتها الصارخة ، فانبعث في كل منهما ميل قوي نحو الآخر تدرج الى حب عنيف ، وقد اتفقا في ميولهما ، اذ كانا شابين ، سريين ، جميلين شاعرين[1] وكلاهما كان مفتونا بالموسيقى والغناء ، ميالا الى معاقرة الشراب و وكلاهما من صفـوة الطبقة الراقية ، وسنهما متقاربة ، وكلاهما عزب[2] .

وقد وصف لنا ابن زيدون لقاءه الأول بولادة فقال :

((كنت في أيام الشباب ، وغمرة التّصاب ، هائما بغادة ، تدعى ولادة ، فلما قدر اللقـاء ، وساعد القضاء . . .)) الى أن يقول :((وبتنا بليلة نجتني أقحوان الثغور ، ونقـطـف رمـان الصـدور . . .))[3] .

ولم تدم سعادة العاشقين ، وكأن القدر حسدهما فبدت لابن زيدون منافسـين ينافسونه حب ولادة ، هم : أبوعبد الله بن القلاس ، وأبو عامر بن عبدوس ، والأصبحـي ، وقد نجح الشاعر في ابعاد منافسه الأول بعد أن هجاه بقصيدة لاذعة ــ جملته يسوءنو السلامة ــ يقول فيهـا :

أعـد نظـرا ، فـأن البغـــ ـي مما لـم يـزل يصـرع
ولا تطـمع التـي تغـويــك ، فهي لبغيهـم أطـوع
فـانّ قصـارك الـدّهليـــز ، حين سـواك في المضجع[4]

واستطاعت ولادة أن تبعد الأصبحي بعد أن هجته هجاء مؤلما[5] ، وبقي ابـن عبدوس ، الملقب بالفار يزاحم ابـن زيـدون فـي حـب ولادة

(1) فؤاد أفرام البستاني : ابن زيدون (الروائع 31) ص : 15
(2) ابن زيدون :الديوان . ص : 35 ــ 36
(3) ابن بسام :الذخيرة . 1/1 . ص : 430
(4) ابن زيدون : . الديـوان . ص : 530 ــ 581
(5) سنعرض لـه بعـد قليـل .

حتى أدركته المنية [1]، ولم يكن ابن عبدوس في مستوى ابن زيدون أدبا، وظرفا، وثقافة وجمالا، وأناقة، الا أنه كان يفوقه دهاء [2]، وكان معتزا بنفسه يحاول تغطية جهله بما له [3]، وكانت ولادة كثيرة البعيث به أول الأمر، فمرت يوما على داره، وهو جالس أمام الدار، وبقربه متولدة من كثرة الأمطار والأقذار، وحوله جماعة من أصحابه، فلما رآها نشر كميه، ونظر في عطفيه، فقالت له: أبا عامر:

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر [4]

فتركته لا يحير حرفا، ولا يرد طرفا.

وهذا البيت لأبي نواس نقلته هذا النقل الجميل من المدح الى الهجاء في موقف الاستخفاف بابن عبدوس الذي كان كثير الالحاح على ولادة، يريد التفرد بها، وخداعها فكانت هي تهرب من خلوته، فيتندر به ابن زيدون كقوله:

وغرك من عهد ولادة سراب تراءى وبرق ومض

هي الماء يأبى على قابض ويمنع زبدته من مخض [5]

وبلغ ابن زيدون أن ابن عبدوس أرسل الى ولادة امرأة تستميلها اليه، وتذكر لها محاسنه ومناقبه، وترغبها في التفرد به، فكتب رسالته التهكمية البديعة على لسان ولادة، وأرسلها اليه عقب رجوع المرأة مباشرة، فنالت من ابن عبدوس كل منال، وأمسك عن التعرض لولادة الى أن سجن الشاعرة [5]، فوصفه فيها بالحمق، والجهل، والغباوة والفدامة، وجفاء الطبع، وثقل السمع، والدمامة، والبلد، والبشاعة، ونتانة الأنفاس، وكثرة المعايب، فمن قوله فيها:

---

(1) ابن بسام: الذخيرة 1/1، ص: 422، ويذكر عبد الله عنان: أن أبا عامر بن عبدوس تزوجته ولادة فيما بعد (دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ص: 410) غير أن هذا الزعم لم تؤكده المصادر التي بين أيدينا، والقريبة من عصر ولادة كالذخيرة وقلائد العقيان وغيرهما.

(2) فؤاد أفرام البستاني: ابن زيدون (الروائع 51)، ص: 16

(3) بالنثيا أنخل: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ص: 32.

(4) أبونواس: الديوان، ص: 479، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، والنفح 4ص: 203

(5) ابن زيدون: الديوان، ص: 193. وابن نباته: سرح العيون، ص: 24

(5) ابن نباته: سرح العيون، ص: 24

((أمّا بعد ، أيها المصاب بعقله ، المورّط بجهله ، البيّن سقطه[1] ، الفاحش غلطه ، العاثر في ذيل اغتراره ، الأعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الذّباب على الشراب ، المتهافت تهافت الفراش في الشّهاب[2] ، فإنّ العجب أكذب ، ومعرفة المرء نفسه أصوب ، وإنّك راسلتني مستهديا ، من صلتي ، ما صفرت منه أيدي أمثالك ، متصدّيا من خلّتي[3] ، لما قرعت دونه أنوف أشكالك ، مرسلا خليلتك مرتادة ، مستعملا عشيقتك قوادة ، كاذبا نفسك ستنزل عنها إلي ، وتخلف بعدها علي :

ولست بأوّل ذي همّة   دعته لما ليس بالنائل[4]

ولا شكّ أنّها قلتك إذ لم تضنّ بك ، وملّتك إذ لم تغر عليك ، فإنّها أعذرت في السّفارة لك ، وما قصّرت في النّيابة عنك ، زاعمة أنّ المروءة لفظ أنت معناه ، والإنسانية اسم أنت جسمه وهيولاه[5] ، قاطعة أنّك انفردت بالجمال ، واستأثرت بالكمال ، واستعليت في مراتب الجلال ، واستوليت على محاسن الخلال ، حتّى خيّلت أن يوسف ـ عليه السلام ـ حاسنك[6] ، فغضضت منه ، وأنّ امرأة العزيز[7] ، رأتك فسلت عنه ، وأنّ قارون[8] ، أصاب بعض ما كنزت ، والنطاف[9] ، عثر على فضل ما ركزت وكسرى[10] ، حمل غاشيتك ، وقيصر[11] رعى ماشيتك ، والاسكندر[12] ، قتل دارا في طاعتك ، وأردشير[13] ، جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك . الخ . . .))[14]

---

(1) السقط : الرديء ، ومنه سقط المتاع أي : رديئه
(2) الشهاب : الشعلة من النار
(3) الخلة : المودة أو الصداقة
(4) البيت للمتنبي من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة
(5) هيولاه : مادته وحقيقته
(6) حاسنك : باراك في الحسن ، لأن يوسف عليه السلام ضرب به المثل في الجمال
(7) قصة امرأة العزيز وحبها ليوسف عليه السلام مشهورة (راجع سورة يوسف في القرآن الكريم
(8) قارون : من قوم موسى عليه السلام) يضرب به المثل في الثروة الطائلة والغنى .
(9) النطف : رجل من بني تميم نهب أموالا لكسرى في الجاهلية فأثرى فضرب به المثل بما أصاب من ثروة
(10) كسرى : ملك من ملوك الفرس .
(11) قيصر : ملك الروم
(12) الاسكندر : ملك الأغريق الذي حارب (دارا) ملك الفرس وانتصر عليه .
(13) أردشير : من ملوك الفرس ، وملوك الطوائف : هنا يراد بهم ملوك الفرس ، لا ملوك الأندلس
(14) ابن نباتة : سرح العيون ص : 25 وما بعدها ، وانظر الرسالة كاملة هناك .

هذه صفات ابن عبدوس كما جاءت في رسالة ابن زيدون ، وقد يكون الشاعر مبالغا فيها ، الا أنه لابد أن يكون لها صلة بالحقيقة ، وكان ابن عبدوس الى ذلك كبير السن متزوجا .

ويبدو أن ولادة في أول الأمر أرادت أن تثير غيرة ابن زيدون ، مظهرة الحب لصديقه القديم ، بعد أن لمست منه ازدراء أو خيانة ، ثم ما لبثت أن ركنت الى ابن عبدوس الذي كان يمدها بالمال ، ويساعدها في تدبير شؤونها الخاصة [1].

ولم تلبث علاقة ابن زيدون بولادة أن اشتهرت وطار صيتها على كل لسان ولم يكن ذلك في قرطبة فحسب ، بل في اسبانيا كلها ، ولم يعد الشاعر ، بعد ذلك في حاجة الى التستر مثل ما كان من قبل ، فقال :

يامن غدوت به — في الناس — مشتهرا قلبي عليك يقاسي الهم والفكرا
ان غبت لم ألق انسانا يؤنسني وان حضرت فكل الناس قد حضرا [2]

لكن ولادة كرهت منه هذا الاعلان ، وضاقت من أن تلوك ألسنة الناس خبرها مع ابن زيدون ، ووجد الحساد الفرصة سانحة للدّس والسعاية ، فأوغروا صدر ولادة على الشاعر ، فكتب اليها يعتذر :

والله ما ساءني أني خفيت ضنى بل ساءني أن سرّي بالضنى علن
لوكان أمري في كتم الهوى بيدي ما كان يعلم ما في قلبي البدن [3]

وما دام ابن زيدون لم يستطع كتمان سرها ، فقد انسحبت من الحياة الاجتماعية ، ثم أن بني جهور ضاقوا ذرعا بندوتها الأدبية [4] ، ولعلهم كانوا يخافون أن يتأثر الشعب بكلامها وأن تجعل من ندوتها مكانا للتآمر متدللة بارجاع الملك الى أسرتها [5] ، ويبدو أن ولادة كانت تخفي من وراء تأسيسها لندوتها الأدبية في قرطبة أفكارا سياسية ، ولذلك أصبحت تتحرج من تشهير ابن زيدون بها — وكانت من قبل لاتكترث لما يخدش شرفها ، وهي التي كانت تقول له : ترقّب اذا جر الظلام زيارتي ... الخ

(1) الخازن : ابن زيدون — أثر ولادة في حياته وأدبه ، ص : 49
(2) ابن زيدون : الديوان ، ص : 172 (تحقيق علي عبد العظيم)
(3) نفس المصدر ، ص : 131
(4) علي عبد العظيم : ابن زيدون ، ص : 173
(5) حسين سراج : غرام ولادة ، ص : 132 ، والمصدر السابق ، ص : 121

((اذ كيف يركن الشعب لفتاة لا همّ لها سوى تلبية دواعي قلبها ، وارواء شهواتها وعواطفها))[1].

أما صفاتها وأخلاقها ، فالمصادر القديمة حافلة بوصف جمالها وعفافها ، وأقرب مصدرين الى عصر ولادة بعد جذوة المقتبس هما كتاب الذخيرة لابن بسام ، وكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان ، فصاحب الذخيرة الذي بدأ صاحبه بتحريره وهو بقرطبة سنة 493 هـ ، وانتهى منه في حدود سنة 503 هـ[2] يقول في كلامه عن ولادة : ((. . . وكانت في نساء أهل زمانها ، واحدة أقرانها ، حضور شاهد ، وحرارة أوابد ، وحسن منظر ومخبر ، وحلاوة مورد ومصدر . . . يغشو أهل الأدب الى ضوء غرتها ، ويتهالك الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، الى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها ، تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم أنساب ، وطهارة أثواب على أنها — سمح اللّه لها ، وتغمد زللها — اطرحت التحصيل ، وأوجدت الى القول فيها السبيل بقلة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتها))[3] .

ونلاحظ تناقضا واضحا عند ابن بسام حين يقول : ((انها كانت تتمتع بطهارة أثواب)) ثم يشير بعد ذلك الى تبذلها واستهتارها بقوله : ((أنها اطرحت التحصيل ، وأوجدت الى القول فيها السبيل ، بقلة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتها)) ، وتحرر ولادة واقع قد أكّده أبو عبد اللّه بن مكي[4] شيخ ابن بشكوال ، فيما بعد حين قال : ((لم يكن لها

---

(1) الخازن : ابن زيدون ، ص : 43 — 42
(2) وألف ابن خاقان كتابه — القلائد — لأبي اسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين سنة 515 ، ويلاحظ أن الحميدي (420 — 488 هـ) في جذوة المقتبس لا يعرف شيئا عن ولادة ، وقد يرجع ذلك الى تأليفه كتاب الجذوة بالعراق بعيدا عن الأندلس (الدكتور احسان عباس : دراسات في الأدب الأندلسي ، ص : 194)
(3) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص : 429
(4) هو حفيد المقرئ المشهور مكي بن أبي طالب ، صحبه ابن بشكوال خمسة عشر عاما أو نحوها وكان عالما بالآداب واللغة ، توفي سنة 535 هـ (الدكتور احسان عباس : دراسات في الأدب الأندلسي ، ص : 92)

تهاون يطابق شرفها))[1]، وهو حكم أخلاقي يرجع الى التقييم العام المتناقل بين الناس[2]، وما نجده من لطف عند بعض المؤرخين في وصف ولادة (بطهارة الأثواب) كما عند ابن بسام ــ يعود الى طيبتهم وأخلاقهم وطهارة أقلامهم ، والا كيف نفسر تعفف ابن بسام من ذكر شعرها لأن أكثره هجاء[3]، والحقيقة أنّ ولادة لم تكن متهاونة ولا متعففة بل كانت مستهترة ومتحررة الى أقصى الحدود ، ولذلك فهي لم تتزوج لأن الزواج سيكون على حساب حريتها ، ولم تعر اهتماما لعشاقها كابن زيدون وابن عبدوس[4]، ولم تكن تلتزم التّقية في اقتراف الملذات ، فكانت تجاهر بلذاتها ، وتنقاد وراء نزواتها ، غير مبالية لما يخدش شرفها وكرامتها ، فمن جملة أخبارها أنّها كتبت بالذّهب على عاتقها الأيمن :

أنا واللّه أصلح للمعالي   وأمشي مشيتي وأتيه تيها

وكتبت على العاتق الأيسر :

وأمكن عاشقي من صحن خدي   وأعطي قبلتي من يشتهيها[5]

فبالرغم من هذه الاباحية المتناهية الاّ أننا نجد بعض المؤرخين يصفونها بالصيانة والعفاف ، ففي تمام المتون يقول الصفدي عن ولادة ((وكانت مشهورة بالصيانة والعفاف[6]، ثم يورد البيتين السابقين مباشرة وكأنه يستشهد بهما على صيانتها وعفافها ؟؟؟ أمّا المقّري في النفح فيعلق على البيتين بقوله :((وكانت مع ذلك مشهورة بالصّيانة والعفاف))[7]، ونعتقد أن هؤلاء

---

(1) ابن بشكوال : الصلة ، ص : 693 ، وألف كتابه سنة 534 هـ ، (المرجع السابق ، ص : 192)

(2) الدكتور احسان عباس : دراسات في الأدب الأندلسي ، ص : 193

(3) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص : 432

(4) [illegible]

(5) ابن بسام الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص : 329 ــ 330 ، والصفدي : تمام المتون ، ص : 11

(6) الصفدي : تمام المتون ، ص : 11

(7) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 205

المؤرخين المتأخرين نقلوا عن المصادر القريبة من عصر ولادة كالذخيرة والقلائد والصلة ولذا فهم يكررون ما قاله ابن بسام عن ولادة ، حين وصفها (بطهارة الأثواب) دون أن يتفطنوا الى التناقض الموجود في كلامه عنها . وهكذا كان المؤرخون ينقلون دون تمحيص أو تدقيق ، فولادة فتاة ثارت على التقاليد والعادات الاجتماعية ، وأرادت أن تبقى لها حريتها ، تتصرف بها بقطع النظر عن المجتمع وما يفرضه عليها من قيود كأنثى[1] ، وأخبارها مع ابن زيدون طويلة ، يفوت إحصاؤها ، ويشق استقصاؤها كما يقول ابن بسام[2] ، ابن بسام الذي وصف لنا على لسان ابن زيدون أول لقاء له مع ولادة في مقطوعة نثرية ، فقال ابن زيدون : ((كنت في أيام الشباب ، وغمرة التصاب هائما بغادة ، تدعى ولادة ، فلما قدر اللقاء ، وساعد القضاء ، كتبت الي :

ترقب اذ جنّ الظلام زيارتي فاني رأيت الليل أكتم للسّرّ

وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يسر

فلما طوى النهار كافوره ، ونشر الليل عنبره . . . ، فطلنا الى روض مدبّج ، وظلّ سجسج)) الى أن يقول : ((وبتنا بليلة نجني أقحوان الثغور ، ونقطف رمان الصدور[3]))

في هذه القطعة النثرية يصف ابن زيدون لقاءه بولادة تحت جناح الليل ، حيث قضى معها ليلة مزهرة عذبة يتبادلان القبلات ، هذه القطعة التي أوردها ابن بسام الذي وصف ولادة (بطهارة الأثواب) ، وكما يبدو من النص أن ولادة هي التي طلبت من ابن زيدون أن يترقب زيارتها (ترقب اذا جنّ الظلام زيارتي) ومع ذلك تصفها المصادر بأنها كانت ((ذات خلق جميل[4])) .

---

(1) الخازن : ابن زيدون ، أثر ولادة في حياته وأدبه ، ص : 52

(2) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص : 430

(3) المصدر السابق ، نفس الصفحة

(4) ابن نباتة : سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، ص : 22

غير أن الدكتور محمود صبح يعتقد أن ما رواه ابن بسام على لسان ابن زيدون عن لقائه الأول بولادة هو من وضعه وانتحاله[1]، ويشير الى التناقض الموجود في النص اذ يقول ابن زيدون : ((... فطلنا الى روض مدبّج ، وظلّ سجسج ...)) فيرى الدكتور محمود صبح أنّ ((هذا حصيلة سجع ابن بسام ونتيجة تأليفه وتركيبه والا فما هذا الظل السّجسج في الليل[2]، لأنه كان قال : ((فلما طوى النّهار كافوره ونشر الليل عبيره ...)) ، ثم يخلص الى أنّ هذه القصة قد حبكت وحيكت حتى تربط حوادث وابيات شعر متفرقة[3]، ونحن نتفق مع الدكتور بأنّ القطعة مسجوعة ، ونسجها بعيد عن أسلوب ابن زيدون[4]، وأنّ السّجع جرّ صاحبها الى التناقض أحيانا ، لكننا نختلف مع الدكتور في اتهامه ابن بسام بتأليف القطعة وروايتها على لسان ابن زيدون ، لأنّ في القطعة فحشا واباحية سافرة لا تتفق مع طبيعة ابن بسام التي منعته من أن يورد شعر ولادة في الذخيرة لأن أكثره هجاء[5]، فكيف اذن تسمح له نفسه بأن يضع القصة بمعجمها البذيء ، ويرويها على لسان ابن زيدون ؟ انّما غير مستبعد أن يكون شخص آخر نسج القصة ووضعها في الذخيرة .

ومهما يكن من أمر ، فسواء ألف القصة ابن زيدون ، أو نسجها شخص آخر على لسانه ، فان للقصة جذورا لأنّ ولادة لبست تلك المرأة العفيفة الحصان التي تتصوّن[6]، وشعرها الاباحي الذي يمتاز بالفظاظة والخشونة والبذاءة دليل على

---

(1) الدكتور محمود صبح : ابن زيدون شاعر قرطبة ، ص : 54 طبعة مدريد 1979

(2) نفس المرجع ، ونفس الصفحة .

(3) نفس المرجع ، ونفس الصفحة

(4) الدكتور احسان عباس : دراسات في الأدب الأندلسي ، ص : 203 (هامش 2)

(5) ابن بسام : الذخيره ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص : 432

(6) الدكتور محمود صبح : المرجع السابق ، ص : 58

استهتارها بالقيم ، ولعل شعرها أحسن من سلوكها الغريب الأطوار والشـــاذ[1]، سلوكها الذي حار فيه معاصروها ، فوصفوها بالتصون والعفاف ، ثم نعتوها ((بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها)) كما حار فيها المستشرقون فرموها بالجنسية المثلية[2]، وهي ميل المرأة الى بنات جنسها ، وميل الرجل الى أبناء جنسه[3]، واتهموهـــا بمهجة بنت التياني القرطبية ، ومصدر هؤلاء المغرب لابن سعيد الذي أقر تعلق ولادة بمهجة حين قال :((... وكانت من أجمل نساء زمانها ، وأخفهن روحا ، فعلقت بها ولادة ، ولزمت تأديبها [4]، ونفس الخبر نجده عند المقري[5]، ويؤكد هـــذه العلاقة المستشرق الفرنسي ((هنري بيرس)) عندما يقول : أنّ العلاقة التي كانـــت تربط ولادة بمهجة والتي ليس فيها شك ، تلك العلاقة تبيّن بأنها كانت تسخر مـــن التقاليد ... ثم يصفها بالمسترجله[6]، ونفس الاتهام نجده عند المستشرق الأسباني ((غرسيا غومس)) حين يقول : ((ولكنها كانت امرأة مسترجلة))[7]، ويحدثنا عنهـــا نيكل فيقول : ان نزواتها لاتكاد تختلف عن النزوات التحرّرية بين النساء الجامعيات ، ونجوم المسرح والخيالة في العصر الحديث ، ويشبهها بجورج صاند في مغامراتهـــا العاطفية[3]، كما شبهها المستشرقـون بالشاعرة الأغريقيـة (سـافـو) ....

ويطلق على النّساء المصابات بداء الجنسية المثلية اسم( ) باللغة الفرنسيـة .

---

(1)

(2) ابن زيدون : الديوان ، ص : 33 (تحقيـق علي عبد العظيـم)

(3) وليم ، ك : ومنجر منروليف : أضواء الطب النفسي على الشخصية والسلوك ، ص: 30 ترجمة الدكتور محمـد أحمد غالي ، طبعة القاهرة ، سنـة 1966

(4) ابـن سعيـد : المغـرب ، ج 1 ، ص : 143

(5) نفـح الطيـب ، ج 4 ، ص : 203

(6)

(7) غرسيا غومس : الشعر الأندلسي ، ص : 42 ترجمة الدكتور حسيـن مؤنس طبعـة مصـر ، 1952

(3) ابن زيدون : الديوان ، ص : 31 (تحقيـق علي عبد العظيـم)

وتطلق كلمات مشابهة لها في اللغات الأخرى[1]، وتطلق باللغة العربية على هؤلاء الشاذات اسم ((السحاقيات)) .

ويدفع هذه التهمة عن ولادة علي عبد العظيم عندما يقول : أن مهجة هجت ولادة واتهمتها بالجنسية المغايرة . . . ثم أن صلاتها بابن زيدون تقطع بأنوثتها الطبيعية[2]، ونحن نرى أن هذا التعليل غير مقنع لدفع هذا الاتهام عن ولادة ، فمهجة عندما هجتها واتهمتها بالجنسية المغايرة ((ولادة قد صرت ولادة من غير بعل . . .)) لا يعني أنّها صارت ولادة فعلا ، فمهجة هذه كانت شاعرة ماجنة ، خالية من كل لياقة وحياء كصد يقتها ولادة ، وهذا البيت كان نتيجة لتبادل الأقوال القذرة بين الشاعرتين المسترجلتين[3]، أمّا عن صلاتها بابن زيدون فبالعكس تؤكد التهمة أكثر مما تنفيها ، فعلاقتها به لم تكن خالصة من الشوائب ، ولم تدم الا مدة قصيرة[4]، ثم هجته هجاء فاحشا وانصرفت عنه ،ورغم كثرة المعجبين بها فلم تتزوج قط ، وماتت عزباء ، ويبدو أن ولادة بعد أخفقت في تجربتها الأولى مع الرجال مالت الى صديقتها مهجة ، فتولدت بينهما صحبة جنسية ، ولكن الى حين وانصرفت عنها مهجة بعد أن هجتها .

---

(1) وهذه اللفظة ليست مشتقة من لفظ لاتيني ، ولكنها نسبة الى مدينة يونانية قديمة كان يسكنها جنود وضباط الجيش . . . وكان هؤلاء الجنود والضباط اذا خرجوا للحرب ظلوا شهورا طويلة بعيدين عن زوجاتهم . . . فكانت كل زوجة تختار عشيقة لها لتقضي معها حاجتها في أثناء غياب زوجها (محمد كامل حسن المحامي : الحب والجنس ــ دراسة نفسية علمية . . . ص : 69 ــ 70 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1974 م) .

(2) ابن زيدون : الديوان ، ص : 33 (تحقيق علي عبد العظيم)

(3) [illegible]

(4) الدكتور محمود صبح : ابن زيدون شاعر قرطبة ، ص : 61

ويمكننا أن نوجه اتهاما آخر لولادة ، نتيجة لبعض تصرفاتها وهو أنها مصابة بالسادية !!!

وهي مصطلح حديث في علم النفس ، يتعلق باللذة الجنسية التي يجدها الانسان في الانحراف الجنسي الذي يصطبغ بالقوة والاضرار بمن يعشقه[1] فيوقع به آلاما مبرحة ويعامله معاملة فظة ، وسمي المصطلح كذلك نسبة الى الكونت دوساد (1740 — 1814) الذي عاش في القرن الثامن عشر وهو أول من وصف هذا الشذوذ ببذاءة[2] ، ويتأصل هذا الداء في المرأة منذ الطفولة عندما تشعر بأنّ بعض أعضائها تنقص عن الطفل ، فتحس بغيرة وحسد يسمى حسد (الذكورة) ويستمر معها هذا الحسد ينمو ويتطور حتى يصبح سادية ، وقد يكون هذا الدّاء وراثيًا بسبب فساد النطفة الناتج من تعاطي الخمر ، ونحن نعلم أن والد ولادة — المستكفي — كان مدمنا على الخمر ، وأن أمها كانت مسيحية لا يحرم دينها الخمر ، وما دام للوراثة أثرها المحتوم ، فلا عجب أن ترث ولادة عن أبويها هذا المرض الخطير الذي من سماته أن تفتش المرأة في حياتها السادية عن السيطرة فتنصب شراكها للرجال حتى اذا وقعوا في

---

(1) مجدي وهبة وكامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص : 110 مكتبة لبنان ، بيروت ، 1979 .

(2) جماعة من أهل الاختصاص (تأليف وترجمة) حياتنا الجنسية ، ص : 247 دار مكتبة الحياة — بيروت — 1971 .

مواهما صدت عنهم وأذاقتهم أنوع العذاب ، وصنوف الحرمان ، وهي عندما تلتذ بهم تتمتع برؤيتهم وهم يتألمون ، وقد فعلت ولادة هذا مع ابن زيدون وابن عبدوس والأصبحي وغيرهم ، وذلك ما يبين بوضوح النزعة السادية عندها ، ومن سمات السادية أيضا حب التلويث ، وقد لوثت ولادة سمعة ابن عبدوس ، فكانت تعبث به وتسخر منه في أحاييين كثيرة ، وقد أشرنا الى ذلك ، ولوثت سمعة ابن زيدون وغلامه علي بهجائها الفاحش لهما ، وسنعرض له بعد قليل ، وكذلك فعلت مع الأصبحي وابنه ...

وهكذا كانت ولادة تلوث سمعة عشاقها ، فتؤلمهم وتعذبهم لتيجة ذلك لتحصل على السعادة التي ينشدها الساديون والتي لا يجدونها الا في التنكيل والحاق ضروب الأذى بمن يحبون ، والمرأة السادية لا تدوم علاقتها الا برجل ذي شذوذ جنسي معاكس لشذوذها يشعر باللذة عندما يمارس العذاب عليه من قبل شخص آخر ، وهو انحراف جنسي بعكس السادية ويسمي ((الماسوشية)) نسبة الى أديب نمساوي يدعى ليبولد ه شيرو (1835 — 1395) وأبطال روايته يشعرون باللذة الكبرى عندما تضربهم المرأة التي يعشقونها ، ولعل ولادة وجدت هذا الشخص في ابن عبدوس الذي مر معنا وكيف كانت تعبث به فيرضى بعبثها وتسخر منه فيرضى بسخريتها ، ولنصرف الى ابن زيدون فيظل مترامياً على قدميها راضياً مغتبطاً[1] .

---

(1) باختصار عن ابن زيدون : الديوان ، ص : 29 — 38 — 39 — 40 ، (تحقيق علي عبد العظيم) والدكتور خير الله عصار : مقدمة لعلم النفس الادبي ، ص : 105 — 106 — 107

وجماعة من أهل الأختصاص : حياتنا الجنية ، ص : 246 وما بعدها

بالرغم من الرسالة التهكمية التي أنشأها ابن زيدون فيه على لسان ولادة ، وما فيها من هجو مقذع ولفظ نابئ وتعبير فاحش حيث جعلته أضحوكة في المجتمع القرطبي ، ومع ذلك لم يزدجر ، وظل متعلقا بها حتى وافته المنية .

ومن خلال ما تقدم من الآراء والأدلة يبدو أن سلوك ولادة كان فعلا شاذا بدليل أنها لم تتزوج قط ، وأنها نفرت من ابن زيدون لأنه قوي الشخصية ، ومالت الى ابن عبدوس الذي كانت تعبث به فيرضى بعبثها وتسخر منه فيرضى بسخريتها ، وهذه طبيعة المرأة السادية التي لا تدوم علاقتها الا بوجل ذي شذوذ جنسي مماكس كما مرّ .

وما دام قد اتفق القدماء والمحدثون في وصفها ((بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها)) و ((بالجنسية المثلية)) كما سبق ، فنحن أيضا نشاطرهم الرأي لأنه ليس لدينا ما يدفع عنها هذه التهمة ، بل لدينا ما يؤكدها ، وذلك من خلال شعرها الاباحي ، وسلوكها الغريب الأطوار الشاذ .

أما جمالها وصفاتها الجسمية ، فقد اختلفت المصادر في وصفها ، يقول ابن بسام في حديثه عن ولادة انها ((كانت في نساء أهل زمانها ، واحدة أقرانها حضور شاهد وحرارة أوابد ، وحسن منظر ومخبر))[1] ، ويقول ابن خاقان في القلائد : ((وكانت من الأدب والظرف وتتميم السّمع والطرف ، بحيث تختلس القلوب والألباب ، وتعيد الشيب الى أخلاق الشّباب))[2] ، بينما يقول صاحب المغرب عنها

---

(1) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص : 429

(2) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان في محاسن الأعيان — مصورة من طبعة باريس ، قدم له ووضع فهارسه ، محمد العنابي — بدار الكتب الوطنية ، نشر المكتبة العتيقة — تونس 1966

بعد كلام : ((أنها بالغرب كعليه بالشرق إلا أن هذه تزيد بمزية الحسن الفائق . . .))(1) .

هذه الأخبار المتصلة بجمال ولادة والتي وصلتنا من المصادر القديمة ، غير أننا اذا دققنا النظر فيها وجدنا صورة ولادة ليست واضحة الملامح عند المؤرخين القدماء ، ويرى الدكتور احسان عباس : ان ولادة في الأخبار ليست على جمال بارع ، وان أوهمت بعض المصادر بغير ذلك ، والدّليل على ذلك ما جاء في المغرب لابن سعيد عندما أجرى فيه موازنة بينها وبين علية بنت المهدي ، ثم ميزت عليه على ولادة ((بمزية الحسن الفائق))(2) ، ويفهم الدكتور مصطفى الشكعة من نص المغرب السالف الذكر أنّ ولادة هي التي ميزت ((بمزية الحسن الفائق))(3) ، ولكن اذا دققنا النّظر في النص ، أرجعنا اسم الاشارة الى أقرب مذكور ، وأعملنا فيه قواعد اللغة ، وعلية هي الأقرب في النّص ((انها بالغرب كعلية بالشرق : الا أنّ هذه تزيد بمزية الحسن الفائق . . .)) .

---

(1) نفح الطيب ، ج 4 ص : 203 نقلا عن ابن سعيد في المغرب غير أن النّسخة المطبوعة من المغرب بتحقيق الدكتور شوقي ضيف لا يوجد فيها كلام عن ولادة ، ولعل المقري نقل عن نسخة أخرى من المغرب لم تصل الينا .

(2) الدكتور احسان عباس : دراسات في الأدب الأندلسي ، ص : 206

(3) الدكتور مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي — موضوعاته وفنونه — ص : 172

ولهذا نرجّح رأي الدكتور احسان عباس في هذه المسألة ، غير انه يبدو من خلال المصادر الأخرى ، أنّ ولادة كانت جميلة ، وان لم تكن على جمال فائق كما يستشف من المغرب .

بينما وصفها لنا ابن زيدون في ديوانه بالجمال الفائق ، والسحر الخلاب ، وقد بهرت بصره بجمالها الرائع ، وكان ذلك من بواعث حبه لها ، وان كنا في الحقيقة لا نعرف شعره الذي ينصرف الى ولادة ، وشعره الذي ينصرف الى غيرها ، لأن قصائد الديوان غير مرتبة ترتيبا تاريخيا [1]، باستثناء بعض القصائد التي نجد فيها بعض الأمارات تدل على انها قيلت في ولادة [2]، لقد وصفها ابن زيدون في نونيته المشهورة بالرقة المترفة ، فالله صاغها من فضة خالصة ، وتوّج رأسها بشعر أشقر فضيّ :

ربيب ملك كأنّ الله أنشأه ... مسكا وقدّر انشاء الورى طينا
أوصاغه ورقا محضا وتوّجه ... من ناصع التّبر ابداعا وتحسينا
اذا تأوّد [3] آدته رفاهية ... توم [4] العقود ، وأدمته البرى [5] لينا [5]

(1) انظر : الدكتور احسان عباس : دراسات في الأدب الأندلسي — ص : 207 وما بعدها .
(2) كذكر اسمها أو أنّ المصادر القديمة ذكرتها بأنّها في ولادة ، أو ذكر بعض الصفات التي نعرفها في ولادة من خلال أخبارها في التراجم .
(3) تأوّد : تمايل
(4) توم العقود : عقود مزدوجة من اللؤلؤ
(5) البرى : الخلاخيل ، جمع برة
(5) ابن زيدون : الديوان ، ص : 144 — 145 (تحقيق علي عبد العظيم)

وهي بعيدة مهوى القرط ، ممشوقة القوام ، بارزة الصّدر ، دقيقة الخصر ، رابية الردف ، رقيقة البشرة ، فاترة العينين :

وفي السّيراء(1) الرّقم وسط قبابهم بعيد مناط القرط أحور أوطف(2)

تباين خلقاه : فعبل(3) منعم تأوّد في أعلاه لدن(4) مهفهف

فللعاتك(5) المرتج ما حاز مئزر وللغصن المهتز ما ضم مطرف(5)

أضف إلى هذا الجمال خالا أسود عنبريا في خدها :

مفضّض الثّغر له نقطة من عنبر في خده المذهب(7)

وإذن فصفات ولادة في المصادر القديمة جميلة وإن كانت ليست على جمال فائق كما في خبر المغرب السالف الذكر ، وفي ديوان ابن زيدون فائقة الجمال وساحرة ، وإن كنا لا نأخذ بوصف ابن زيدون لها ، لأنّ العاشق لا يرى في معشوقته إلاّ السّحر والجمال الرائع ، بل هي في نظر ابن زيدون من طينة أخرى : فالله صاغها من فضة خالصة وتوّج رأسها بشعر من التّبر الناصع .

---

(1) السيراء : نوع من الثياب فيه خطوط صفراً وُيخالطه الحرير أو الذهب الخالص .

(2) أوطف : طويل أهداب العينين

(3) عبل : ضخم والمراد هنا الردف

(4) لدن : طري ، ومهفهف : ضامر البطن

(5) العاتك : المرأة السمينة ، والمطرف : رداء مربع من الخزّ

(6) ابن زيدون : الديوان ، ص : 431 — 432

(7) نفس المصدر ، ص : 125

أما شعرها فيقول فيها الضبي : ((أديبة شاعرة جزلة القول ، مطبوعة الشعر ، وكانت تخالط الشعراء ، وتساجل الأدباء ، وتفوق البرعاء[1]))، ونفس هذا الكلام نجده عند ابن بشكوال[2]، ويقول ابن نباتة :((وكانت تجلس للشعراء والكتاب وتعاشرهم وتحاضرهم ... وكانت ذات نظم جيد ...))[3]،

وشعرها الذي وصلنا ينقسم الى قسمين : شعرها الغزلي وهو جميل الصياغة ، عذب الألفاظ ، سلس الأسلوب ، حسن الدّيباجة ، أما شعرها الهجائي فسقيم لأنه عبارة عن فحش وقبح وهو أقرب الى كلام السوقة من الناس منه الى الشعر .

ومن شعرها في الغزل هذه الأبيات التي كتبتها الى ابن زيدون ، وهي راضية عنه ، تخبره بزيارتها له ، على شرط أن تكون هذه الزيارة في الليل ، لأن الليل أكتم للسّر .. تقول :

ترقب اذا جنّ الظلام زيارتي ... فانّي رأيت الليل أكتم للسّرّ
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح ... وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر[4]

ولبّى ابن زيدون دعوتها ، ووفت هي بوعدها
ولما أرادت الانصراف ودعته بهذه الأبيات حسب رواية المقري :

ودّع الصّبر محبّ ودّعك ... ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن ... زاد في تلك الخطى اذ شيّعك
يا أخا البدر سناء وسنا ... حفظ اللّه زمانا أطلعك

---

1) بغية الملتمس . ص : 531
2) الصلة : ج 2 . ص : 696
3) سرح العيون . ص : 22
4) النفح : ج 4 . ص : 205 . ويروى البيت الثاني بطريقة أخرى كما في رواية الذخيرة (1/1 . ص : 430) :

وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا ... وبالليل ما ادجى وبالنجم لم يسر

ان يطل بعدك ليلي فلكم بتّ أشكو قصر اللّيل معك[1]

وقد نسب هذه الأبيات ابن بسام[2] وصاحب قلائد العقيان[3]، الى ابن زيدون ، بينما المقري في النفح نسبها لولادة ، ونحن نرجح نسبتها لابن زيدون ، لأن ابن بسام وصاحب القلائد أقرب عهدا بالشاعر من المقري ، وكذلك فهي مثبتة في ديوان ابن زيدون الذي بين أيدينا[4].

ويبدو أنّ جفوة حدثت بين العاشقين في المرحلة الأولى من حبهما ، وان كانت لفترة قصيرة ، كان فيها ابن زيدون يتدلل ويتمالى على ما يبدو ، فكتبت اليه ولادة مبدية مشاعرها نحوه :

ألا هل لنا من بعد هذا التّفرّق سبيل فيشكو كلّ صبّ بما لقي
وقد كنت أوقات التزاور في الشتا أبيت على جمر من الشوق محرق
فكيف وقد أمسيت في حال قطعة لقد عجّل المقدور ما كنت أتقي
تمرّ اللّيالي لا أرى البين ينقضي ولا الصّبر من رقّ التشوّق معتقي
سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا بكلّ سكوب هاطل الوبل مغدق[5]

فأجابها بقوله :

لحا اللّه يوما لست فيه بملتق محياك من أجل النّوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرّة وأيّ سرور للكئيب المؤرّق[6]

---

1) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 206
2) الذخيرة 1/1 ، ص : 430 — 431
3) قلائد العقيان ، ص : 80
4) ابن زيدون الديوان ، ص : 779 «تحقيق علي عبد العظيم» ، ويرى الرأي نفسه الدكتور جودت الركابي في كتابه ، في الأدب الأندلسي ، ص : 170
5) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 205 — 207
6) نفس المصدر ، ص : 207

أنّ رد ابن زيدون ببيتين اثنين فقط على مقطوعة حبيبته التي بعثت بها السيه دليل على دلاله ، وشعوره بالتعالي والتفوق وهو ذو الشهرة الكبيرة في دنيا الشعر في الأندلس ، وقد أصبح يملك زمام قلب ولادة التي كانت تعتبره أستاذا لها (1)، وكانت كثيرا ما تطلب منه أن ينتقد شعرها ((وكنت ربما حثثتني على أن أنبهك على ما أجد فيه عليك نقدا))(2)، ولذلك فقد ذيل ابن زيدون بيتيه السالفي الذكر بنقد لبيتها الأخير :

سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا   بكلّ سكوب هاطل الوبل مغدق

فعاب عليها هذا البيت لأن الوبل المغدق قد يغرق منزله ، وقال :((فان ذا الرمة قد انتقد عليه قوله من تقديم الدّعاء بالسّلامة :

ألا يااسلمي يادار ميّ على البلى   ولا زال منهلّا بجرعائك القطر

اذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له ، وأما المستحسن فقول الآخر :

فسقى ديارك غير مفسدها   صوب الربيع وديمة تهمي))(3)

وكانت لقاءات ولادة مع ابن زيدون كثيرة في أحضان الطبيعة الجميلة حيث ((كانت حدائق قرطبة وبساتينها مرتعا لحبهما ، وفي خمائلها أخذا يتساقيان كؤوس الهوى ويحيان من شذى النعيم تغمرهما ظلال الحب رفوه))(4).

وكان صالون ولادة مجلس أدب يستمع فيه العاشقان لقراءة الشعر ، وعزف الموسيقى ، وغناء القيان، وكانت ولادة نفسها لها صنعة في الغناء(5)، وكان لها جارية سوداء اسمها عتبة ، جميلة الصوت غنّت ذات ليلة البيتين التاليين بحضور ابن زيدون :

أحبتنا انّي بلغت مؤملي   وساعدني دهري وواصلني حبّي

وجاء يهنيني البشير بوصله   فأعطيته نفسي وزدت له قلبي(6)

(1) الدكتور مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي ، ص : 185
(2) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 207
(3) المصدر السابق ، والصفحة نفسها
(4) الدكتور جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص : 170
(5) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 203
(6) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص : 431

فأعجب الشاعر بصوت عتبة ، وسألها الإعادة من غير اذن ولادة ، فظنت أنّه يغازلها ، وتحركت في نفسها غيرة المرأة العاشقة ، وغضبت غضبا شديدا ، وفي فورة غضبها تناست كونها أميرة فضربت عتبة وبكت [1]، ثم كتبت تدافع عن جمالها وتعاتب ابن زيدون :

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا لم تهو جاريتي ولم تتخيّر
وتركت غصنا مثمرا بجماله وجنحت للغصن الذي لم يثمر
ولقد علمت بأنّني بدر السّما لكنّ دهيت لشقوتي بالمشتري [2]

ولم تلبث أن تبدلت لابن زيدون رأذاقته بعد نعيم قربها جحيم هجرها [3]، وهكذا كانت الغيرة سببا من أسباب جفاء ولادة لعاشقها الذي ظل يبكي ويئن دون أن يستعيد عطفها ، وليس هذا السبب وحده الذي أدى الى الجفاء ثم الهجران ، وانما هناك أسباب أخرى ، من بينها :

انضمام ابن زيدون لحركة الجهاورة كان قد ترك في نفس ولادة أثرا سيئا ، ولا سيما وهي بنت خليفة أموي [4]، وان كان هناك من يخالف هذا الرأي حيث أن ابن زيدون اتهم بالتحزب السياسي للأمويين ، وبالعمل على اعادة المملكة الى أربابها وبسبب هذه الوشاية أدخل السّجن [5].

ويبدو أن اتهام ابن زيدون بالتحزب السياسي للأمويين كان اتهاما باطلا ، دبره له منافسه ابن عبدوس في حبّ ولادة لكي يبعده عنها ، ولم يكن ابن زيدون متحزبا للأمويين وانما كان منضما لحركة الجهاورة كما ذكر الدكتور جودت الركابي .

---

(1) قال ابن زيدون في ذلك : وما ضربت عتبة لذنب أتت به * ولكنما ولادة تشتهي ضربي
فقامت تجر الذيل عاثرة * وتمسح طل الدمع بالعنم الرطب

(2) المصدر السابق ، ص : 131 — 132 . (المصدر السابق والصفحة نفسها)

(3) الدكتور شوقي ضيف : ابن زيدون ص : 21 — دار المعارف بمصر ط 3 سنة 1975

(4) الدكتور جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص : 171

(5) فؤاد أفرام البستاني : ابن زيدون (الروائع 51) ص : 17

أثر ولادة الكبير عندما انتقد ابن زيدون — شعرها وندد مرمضا
شهيره بها ولا سيما في رسالته الهزلية التي صورها فيها بصورة البغي المهلوك ،
وقد وضع في الرسالة على لسانها من فحش القول ، ونابي اللفظ ، ومقذع الهجو ما جعلها
تنفر منه ، وقد شهر بها في أشعاره أيضا ، حين قال :

عيرتمونا بأن صار يخلفنا فيمن نحب ، وما في ذاك من عار
أكل شهي أصبنا من أطايبه بعضا ، وبعض قد صفحنا عنه للفار (1)

وكذلك في قصيدته لابن القلاس التي يعاتبه فيها ويحذّره ، منها :

أصغ لمقالتي واسمع وخذ — فيما ترى — أودع
وأقصر — بعدها — أوزد وطر — في أثرها — أوقع (2)

ومن أسباب الجفاء أيضا الوشاة الذين لعبوا دورا كبيرا في الدّس والسعاية، وأذكاء
حفيظة ولادة عليه ،،،وفي احدى فورات غضبه الجنونية اعتدى عليها بالضرب ، ثم ندم
على ما فعله ، فاعتذر لها :

ان تكن نالتك بالضّرب يدي وأصابتك بما لم أرد
فلقد كنت لعمري فاديا لك بالمال وبعض الولد
فثقي منّي بعهد ثابت وضمير خالص المعتقد
ولئن ساءك يوم فاعلمي أن سيتلوه سرور بغد (3)

لكن ولادة استمرت في تدللها وجفائها ، فيئس الشاعر من قربها وثارت ثائرته
فهجاها واتّهمها بالابتذال والاباحية ، وصرف هواه الى غيرها :

قد علقنا سواك علقا نفيسا وصرفنا اليه عنك النفوسا
ولبسنا الجديد من خلع الحب ولم نسأل أن خلعنا اللبيسا
ليس منك الهوى ولا أنت منه اهبطي مصر أنت من قوم موسى (4)

---

(1) ابن زيدون : الديوان ، ص : 196 (تحقيق علي عبد العظيم)
(2) انظر القصيدة كاملة في ديوانه ، ص : 379 وما بعدها
(3) ابن زيدون : الديوان ، ص : 37
(4) المصدر السابق ، والصفحة نفسها ، والبيت الأخير كناية عن أنها مبتذلة مباحة ،
ويشير فيه الى قول أبي نواس :
أظنك من بقية قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام(الديوان ، ص : 542
دار الكتاب العربي — بيروت 1982)

والحقيقة أن ولادة وابن زيدون بالرغم من تقاربهما في الميول والأهواء الا أنهما ((كانا على أهبة للجفاء ، فكلاهما كان طاغي الشخصية عارم الغضب مندفعا ، وهذه الصفات تجعل صاحبيها متوازيين لا متكاملين))[1]، ولذلك فعلاقتهما لم تدم الا مدة قصيرة ، وربما انتهت بدخول ابن زيدون الى السّجن ، وكيف تدوم هذه العلاقة بعد أن هجاها وهجته هجاء فاحشا[2]، بل انه استعاض عنها بغيرها ، واستعاضت عنه بغيره .

وكانت ولادة هجاءة سليطة اللّسان ، فاحشة اللفظ حتى أنّ الرّجل ليخجل من رواية شعرها الهجائي ، فما بالك اذا علمت أنه لامرأة .

قالت تهجوابن زيدون وفتاه علي :

ان ابن زيدون على فضله   يغتابني ظلما ولا ذنب لي
يلحظني شزرا اذا جئته   كأنني جئت لاخصي علي[3]

أنّ هذا الهجاء الفاحش والكلام البذيء لا تكاد تصدّق أنه لرجل من دهماء الشعب وسوقة الناس فضلا عن كونه لامرأة أميرة من البيت الأموي ، وهو من الناحية الفنية سقيم وقريب من العامية .

ولقّبت ابن زيدون بالمسدس ، تعني أنه جمع من خصال الذم ست خصال وفيه تقول :

ولقّبت المسدس وهو نعت   تفارقك الحياة ولا يفارق
فلوطي ومأبون وزان   وديوث وقرنان وسارق[4]

---

(1) ابن زيدون الديوان ، ص : 37 (تحقيق علي عبد العظيم)
(2) الدكتور محمود صبح : ابن زيدون شاعر قرطبة ، ص : 51
(3) نفح الطيب ، ج 4 ، ص 206 والصفدي : تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، ص : 11
(4) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 205

وقالت فيه أيضا :

إنّ ابن زيدون له فقحة | تعشق . . .[1] السراويل
لو أبصرت . . .[2] على نخلة | صارت من الطير الأبابيل[3]

ولم تقف ولادة عند هجاء ابن زيدون فحسب ، بل هجت الأصبحي وابنه هجاء مرّا فلطخت سمعتها ، حيث قالت فيهما :

يا أصبحي اهنأ فكم نعمة | جاءتك من ذي العرش ربّ المنن
قد نلت . . .[4] ابنك ما لم ينل | . . .[5] بوران أبوها الحسن[6]

إنّ هذه البذاءات الفاحشة ، وهذا الاسفاف في شعرها الهجائي الذي ربما يقبله غيرها ، ليجعلنا نقر بأنّ ولادة امرأة جاوزت الحد في استعمال الشعر وتسخيره لهواها وأنّ كثير من أخبارها ومغامراتها ونزواتها وشذوذها كان أمرا واقعا : ونستطيع القول بأنها أهجى شواعر الأندلس على الاطلاق ، اذا لم نقل أهجى شعراء الأندلس سيما وهي امرأة وأميرة ، وينتظر من المرأة الحشمة والحياء ، وكذلك فهجاؤها تنالته في حبيبها الذي سجن وشرّد من أجلها ، وقال فيها أعذب شعره الغزلي .

واذن فلا نستغربنّ ما قاله العمري عنها : ((وكانت ولادة ذات بوادر يشيب لها رأس الوليد[7] ، وأنّ شعرها الذي وصلنا أقل بكثير من شهرتها التي شرّقت وغرّبت ، حتى أصبحت قصتها مع ابن زيدون أسطورة من الأساطير يرويها الناس ويتناقلها الباحثون والدارسون[8] .

---

(1) كلمة تذكر عضو التذكير بدون تكنية رأيت حذفها
(2) كلمة مرادفة للكلمة السابقة . . .
(3) الصفدي : تمام المتون . . . ص : 12
(4) كلمة فاحشة تنسجم سجعة مع الكلمة السابقة . . .
(5) كلمة تذكر عضو التأنيث بدون تكنية رأيت حذفها
(6) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 205
(7) العمري : مسالك الأبصار ، ج 10 ، ص : 230 (عن الدكتور محمود صبح : ابن زيدون ، شاعر قرطبة ، ص : 51)
(8) الدكتور محمود صبح : ابن زيدون ، شاعر قرطبة ، ص : 54

وحتى لا نظلم ولادة يجب أن نشير الى أن بعض أشعارها في الغزل جيدة تصافح الآذان في لذة ومتعة وارتياح[1]، ولا تنقص شاعريتها عن كثير من فحول الشعراء الذين اشتهروا في الغرب الاسلامي[2]، وكانت ندوتها الأدبية بقرطبة مدرسة للنقد، وجامعة للأدب، يغشاها الأساتذة والأدباء، وكبار القوم، وهي تعطينا صورة واضحة عن حرية المرأة في الأندلس وثقافتها، وفكرها، وأدبها، وعمرت عمرا طويلا كما رأينا، وتوفيت عزباء لليلتين خلتا من صفر، سنة (484 هـ /1091م)[3]

---

(1) الدكتور مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي ... ص: 180، وقد ضرب لنا مثلا شعرها الغزلي.

(2) الدكتور ابراهيم أبو الخشب: تاريخ الأدب العربي في الأندلس ص: 232، الطبعة الأولى، سنة 1966 م نشر وطبع دار الفكر العربي —

(3) ابن بشكوال: الصلة، القسم الثاني، ص: 696، الدار المصرية للتأليف والترجمة، سنة 1966م والضبي: بغية الملتمس، ص: 531

مهجة بنت التياني القرطبية :

وهذه شاعرة أخرى صديقة ولادة — مهجة بنت التياني القرطبية — وهي من طبقة العامة ، كان أبوها يبيع التين كما ذكر ابن سعيد عن صاحب المسهب [1]، ولذلك عرفت باسم مهجة بنت التياني (نسبة الى أبيها الذي كان بائع تين) ((وكانت من أجمل نساء زمانها ، وأخفّهن روحا ، فعلقت بها ولادة ، ولزمت تأديبها ، الى أن صارت شاعرة[2])) ، لكن علاقة مهجة بولادة لم تدم الا قليلا وساءت ، وكانت ولادة أستاذتها التي علمتها قول الشعر البذيء والعنف والشراسة[3]، فهجتها هجاء فاحشا ، حيث اتهمتها بأنها ولدت وليس لها بعل :

ولادة قد صرت ولادة   من غير بعل ، فضح الكاتم
حكت لنا مريم لكنه   نخلة هذي . . . [4]

أنّ مهجة من خلال هذين البيتين تبدو سليطة اللّسان بذيئة اللّفظ ، فهي لم تتورع من ذكر عورات الرّجال في شعرها سيما وهي امرأة والأصل في طبيعة الأنثى الحشمة ، لكننا لا نستغرب منها ذلك اذا علمنا أنّها تلميذة ولادة التي علمتها فحش القول ، وما فعلته مهجة مع ولادة يذكرنا بالقول المأثور :

وكم علّمته نظم القوافي   فلما قال قافية هجاني

وقد علّق النّقاد القدامى على البيتين السالفي الذّكر بقولهم :((لو سمع ابن الرّومي هذا لأقر لها بالتقديم[5])) .

---

(1) ابن سعيد : المغرب ، ج 1 ، ص : 143
(2) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(3) .
(4) ابن سعيد : المغرب ، ج 1 ،ص : 143 ، ونفح الطيب ،ج 4 ،ص : 293
وحذفت الكلمتين الأخيرتين لبذاءتهما .
(5) نفح الطيب : ج 4 ، ص : 293

ولم تكن مهجة سليطة اللّسان مع بنات جنسها فحسب ، بل استعملت الحنف نفسه والشراسة مع الرجال أيضا ؟ لقد أهدى لها أحد عشاقها خوخا ، فقالت فيه :

يامتحفا بالخوخ أحبابه ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ أهلا به من مثلج للصّدور

حكى ثدبي الغيد تفليكه ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ لكنّه أخزى رؤوس...(1)

هذا كان جزاء من أهداها خوخا ، فبدلا من أن تشكره وتمدحه على الهدية اللطيفة ، هجته هذا الهجاء المرّ ، غير أن لمهجة بيتين جميلين يعتبران من أحسن شعرها الذي وصلنا وهما :

لئن حلأت عن ثغرها كل حائم(2) ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فما زال يحمي عن مطالبه الثغر

فذلك تحميه القواضب والقنا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وهذا حماه من لواحظها السحر(3)

وقد أعجب النقاد في عصرها بهذين البيتين ، فقال فيها صاحب المسهب : لقد تقدمت بهما فحول الذكران(4) .

هذا ماجادت به علينا المصادر من شعر مهجة ، وهو قليل لا نستطيع من خلاله أن نحكم على شاعريتها ، غير أننا نستطيع القول أن شعرها الهجائي كان بذيئا وكان مسفا وما وصلنا من شعرها في غير الهجاء على قلته كان أجود مقبولا .

---

(1) المصدر السابق ، والصفحة نفسها ، حذفت الكلمة الأخيرة لبذاءتها

(2) في النفح ، قد حمي ، وحلأت طردت ومنعت

(3) المغرب ، ج 1 ، ص : 143

(4) نفس المصدر ، ونفس الصّفحة

نزهون بنت القلاعي الغرناطية

ومن الأديبات الشّاعرات في القرن الخامس — أيضا — ((نزهون بنت القلاعي الغرناطية)) : وهي شاعرة من شواعر غرناطة ، خفيفة الروح جميلة ، ذكرها ابن سعيد في المغرب وقال انها :((شاعرة ماجنة كثيرة النوادر))(1) ووصفها الحجاري في ((المسهب)) : ((بخفة الروح ، والانطباع الزائد ، والحلاوة ، وحفظ الشعر ، والمعرفة بضرب الأمثال ، مع جمال فائق ، وحسن رائق))(2)، وكانت تجالس الوزراء وتساجل الشعراء وتهاجيهم ، ولها مهاجاة ومشاعبات ، ومساجلات مع مشاهير شعراء ووزراء عصرها ، كالأعمى المخزومي الهجاء(3)، وابن قزمان الشاعر الزجال(4)، والوزير أبي بكر بن سعيد ، ومما يروى أنها كانت يوما جالسة في دار الوزير أبي بكر بن سعيد في غرناطة عندما دخل الشاعر أبوبكر المخزومي الأعمى يقوده غلام صغير ، فلما استقر به المجلس وأفعمته روائح الند والعود والأزهار ، وهزّت عطفه الأوتار)) قال :

دار السعيديّ ذي أم دار رضوان ؟ ما تشتهي النّفس فيها حاضر داني

سقت أباريقها للنّد سحب ندى تحدى برعد لأوتار وعيدان

---

(1) ابن سعيد : المغرب ، ج 2 ، ص : 121

(2) النفح ، ج 4 ، ص : 295

(3) أبوبكر المخزومي الأعمى المدوري (نسبة الى الحصن المدور بقرب قرطبة) كان أعمى شديد الشر معروفا بالهجاء مسلطا على الأعراض ، سريع الجواب ذكي الذهن فطنا للمعاريض ، سابقا في ميدان الهجاء ، فاذا مدح ضعف شعره ، وكان يلقب ببشار الأندلس ، كان حيا سنة 540 هـ . (لسان الدين بن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج 1 ، ص : 432 — 435) . دار المعارف بمصر .

(4) هو محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان ، وكنيته أبوبكر ولد نحو سنة 480 بقرطبة وتوفي سنة 554 هـ ، وهو امام الزجالين بالأندلس . . . وكان يحب اللذات ويقبل عليها بنهم فيشرب الخمر ويفتتن على المغامرات مع النساء . . . ((الدكتور احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي — عصر الطوائف والمرابطين ص : 255 — 267 — وغرسية غومث : مع شعراء الأندلس والمتنبي ، ترجمة الدكتور الطاهر احمد مكي ، ص : 192) . وانظر عنه أيضا : الدكتور عبد العزيز الأهواني : الزّجل في الأندلس ص : 57 وما بعدها ، طبعة القاهرة . 1957 م .

والبرق من كل دنّ ساكب مطرا   يحيا به ميت أفكار وأشجان
هذا النعيم الذي كنا نحدثه   ولا سبيل له الاّ بآذان (1)

فعلق الوزير أبوبكر على الشطر الثاني من البيت الأخير قائلا :
والى الآن لا سبيل له الا بالآذان ؟ فأحس الشاعر بأنه يعرض به لكونه أعمى ، فقال : حتى يعطف الله ولد زني كلما أنشدت هذه الأبيات قال انها لأعمى ، ويتدارك الوزير الموقف فيتراجع في أقواله خوفا من بذاءات هجوه ، فيقول : أمّا أنا فلا أنطق بحرف ، فيعلق على كلامه الشاعر الأعمى قائلا : من صمت نجا .

جرى كل ذلك على مسمع ومرأى الشاعرة نزهون الغرناطية ، صاحبة الروح العدوانية ، ولم تعر اهتماما لتحذيره السالف الذّكر ، وأقحمت نفسها في الحوار الذي كاد أن ينتهي بسلام ، لولا تدخلها ، فقالت للشاعر الأعمى : وتراك ياأستاذ قديم النّعمة ، بند ونعيم وطيب شراب ، فتعجب من تأتيه ، وتشبّه بنعيم الجنة ، وتقول : ما كان يعلم الاّ بالسماع ولا يلغ اليه بالعيان ؟ ولكن من يجيء من حصن المدوّر ، وينشأ بين تيوس وبقر ، من أين له معرفة بمجالس النعيم ؟ فلما استوفت كلامها تنحنح الأعمى ، لكن نزهون تواصل تهكمها وسخريتها منه ، فتقول له : ذبحة ، فيتساءل الشاعر ، فيقول : من هذه الفاضلة ؟ فتجيبه بسخرية : عجوز في مقام أمّك ، وهنا يشعر الشاعر باهانة كبيرة ويرد عليها ببذاءة قائلا : كذبت ، ما هذا صوت عجوز ، انما هذه نغمة ... (2) محترقة تشم روائح كذا منها على فرسخ ، وهنا يتدخل الوزير أبوبكر لينقذ الموقف قائلا له : ياأستاذ ، هذه نزهون بنت القلاعي الشاعرة الأديبة ، فيرد عليه الشاعر المخزومي في غضب : سمعت بها ، لا أسمعها الله خيرا ، ولا أراها الا ... (3) فقالت له : ياشيخ سوء تناقضت ، وأي خير للمرأة مثل ما ذكرت ، ففكر الشاعر المخزومي برهة ثم قال بيتين في هجائها :

---

(1) لسان الدين بن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة ج 1 ، ص : 433
ونفح الطيب ، ج 1 ، ص : 191 . والأمير شكيب أرسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، المجلد الأول ، ص : 227 — 223 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
(2) كلمة نابية رأيت حذفها .
(3) كلمة أخرى أكثر بذاءة تصلح سجعة مع الجملة السابقة .

على وجه نزهون من الحسن مسحة ... وان كان قد أمسى من الضّوء عاريا
قواصد نزهون توارك غيرها ... ومن قصد البحر استقلّ السواقيا (1)

لكن نزهون لم تقف مكتوفة اليدين أمام هجاء هذا الأعمى لها ، فأعملت فكرها ، وردت على الفور بشعر أكثر بذاءة ، فقالت :

قل للوضيع مقالا ... يتلى الى حين يحشر
من المدور أنشئت ... والخرا منه أعطر
حيث البداوة أمست ... في مشيها تتبختر
لذاك أمسيت صبّا ... بكل شيء مدور
خلقت أعمى ولكن ... تهيم في كل أعور
جازيت شعرا بشعر ... فقل لعمري من أشعر
ان كنت في الخلق أنثى ... فانّ شعري مذكر (2)

ولم يكن المخزومي ذلك الشاعر الذي يقبل الهزيمة أمام الوزير أبي بكر، وهو الهجاء السليط اللسان الذي لقب ببشار الأندلس لبذاءة لسانه فيقول لنزهون : اسمعي ثم يرد عليها ببيتين نابي اللفظ ، فاحشي التعبير : يقول :

---

(1) نفح الطيب ، ج 1 ص : 192 . والاحاطة ، ج 1 ، ص: 434 . والحلل السندسية . ق 1 ، ص : 223 . وقد استقى البيت الأول من بيت ذي الرمة في هجاء مبى)) الذي يقول فيه :
— على وجه مىّ مسحة من ملاحة * وتحت الثياب الخزي ان كان باديا
ذو الرمّة : الديوان ، ص : 675 . عني بتصحيحه وتنقيحه : كارليل هنري هيس مكارتني . واستوحى البيت الثاني من بيت المتنبي في مدح كافور معرضا بسيف الدولة في قوله :
— قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا
أي : أنه قصد كافور وترك غيره من الملوك لأنه كالبحر وغيره كالساقية .
(المتنبي :الديوان ، شرح أبي البقاء العكبري ، ج 4 ، ص : 423)
(2) نفح الطيب ، ج 1 ، ص : 192 — 193 . والاحاطة ، ج 1 ، ص : 434
والمغرب : ج 2 ، ص : 223 ، غيرأن البيت ما قبل الأخير جاء في المغرب :
— جاوبت هجوا بهجو * فقل لعمري من أشعر

ألا قل لنزهونة ما لها تجر من التّيه أذيالها

ولو أبصرت فيشة شمّرت كما عودتني سربالها [1]

وهنا يتدخل الوزير أبو بكر فيحلف ألّا يزيد احدهما على الآخر في هجوه كلمة ، ولكن الأعمى المخزومي يرد قائلا : أكون هجاء الأندلس وأكف عنهما دون شيء . فقال له الوزير : أنا أشترى منك عرضها فاطلب ، فطلب المخزومي العبد الذي كان قد قاده الى منزل الوزير [2] .

ويذكر المقري في مكان آخر من النفح نقلا عن المغرب لابن سعيد أبياتا رواها عن الحجاري في ((المسهب)) لنزهون ترد فيها على هجاء المخزومي لها تقول فيها :

ان كان ما قلت حقا من بعد عهد كريم

فصار ذكري ذميما يعزى الى كل لوم

وصرت أقبح شيء في صورة المخزومي [3]

وبالرغم من هذه المهاجاة بين الشاعرين فانه يبدو أن الجوّ قد صفا بينهما . وأصبحا صديقين ، ولعل نزهون كانت تلميذة المخزومي ، فقد روى أنها كانت تقرأ عليه

---

(1) النفح ، ج 1 ، ص : 193 . والاحاطة ج 1 ، ص : 135 . والمغرب ج 2 ، ص : 223
وفي الاحاطة وردت مكان كلمة ((فيشة)) ، ((بشة)) ولعل الصواب هو مع ((المغرب)) ((والنفح)) للمناسبة المفهومة من البيت لأن المحاورة بين نزهون والمخزومي عارية من الكنايات حتى على لسان نزهون ، ويرى الأستاذ كوريينطي أن كلمة ((بشة)) صحيحة أيضا ونحن نشايعه الرأي لكن ((فيشة)) صحيحة معنى ووزنا
(عبد اللطيف عبد الحليم :
نقد لكتاب الاحاطة ــ مجلة أوراق الاسبانية ــ العدد : 4 سنة 1981 ، ص : 52)

(2) انظر القصة مفصلة في : نفح الطيب ج 1 ، ص : 190 وما بعدها ، والاحاطة ج 1 ، ص : 432 وما بعدها

(3) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 295 . والمقتضب لابن الآبار ، تحقيق ابراهيم الأبياري ص : 217

يوماً فدخل عليهما أبوبكر الكتندي [1]، وأراد أن يداعب المخزومي الأعمى بالشّعر وأن يقول له ((ان تلميذته فتنة للناظرين ، وأن ندمة الابصار فوتت عليه تلك المتعة)) [2] فقال له أجز :

لو كنت تبصر من تجالسه

فأفحم وأطال الفكر ولم يستطع القول ، وكانت نزهون ترقب ، فلما رأت المخزومي عجز عن الجواب ، أسرعت الى الاجابة ، وكانت سريعة البديهة فقالت :

— لغدوت أخرس من خلاخله
البدر يطلع من أزرّته والغصن يمرح فى غلائله [3]

ولخفة روحها ، وجمالها الفائق ، وحسنها الرائق ، أعجب بها الوزير أبو بكر بن سعيد وكلف بها ، وظن أن غيره يشاركه فى حبها فكتب اليها هذين البيتين :

يا من له ألف خل من عاشق وصديق
أراك خليت للنا س منزلا فى الطريق [4]

لكن شاعرتنا تجيبه فتطمئنه على أنه الحبيب المفضل على غيره والذي تفرد له مكانة لا يعلوها أحد . وقد استعملت تورية معنوية طريقة فى الشطر الثانى من البيت الثانى وذلك فى قولها :

---

(1) أبوبكر الكتندي : هو محمد بن عبد الرحمن بن خليفة بن أبي العافية الأزدي من أهل غرناطة يكنى أبابكر ويعرف بالكتندي لأن أهله من كتندة وهي مدينة من كورة سرقسطة . . .كان أديبا شاعرا كاتبا ذا معرفة باللغة العربية . توفى سنة ثلاث أو أربع وثمانين وخمسمائة (أبو بحر بن صفوان : زاد المسافر ، ص : 95 عن ابن الأبار : التكملة . ج 1 . ص : 232 طبعة كوديرة)
(2) الدكتور ابراهيم أبو الخشب : تاريخ الأدب العربى فى الأندلس . ص : 238
(3) النفح . ج 4 . ص : 299 . والمغرب . ج 2 . ص : 121
(4) النفح . ج 4 . ص : 295 . وابن الأبار : المقتضب من كتاب تحفة القادم ص : 216 . دار الكتاب اللبنانى . ط. 2 . 1402هـ ، 1982م .

حللت أبا بكر محلا منعته   سواك ، وهل غير الحبيب له صدري
وان كان لي كم من حبيب فانما   يقدم أهل الحق حب أبي بكر (1)

فلفظ ((أبي بكر)) في البيت الثاني يمكن أن تدل ((أبا بكر)) الوزير عشيقها ، كما يمكن أن تدل أبا بكر الصديق صاحب الرسول (ص) .

وقد نقد القدماء الشطر الأول من البيت الثاني ، فقالوا : لو قالت ((وان كان خلاني كثيرا . . . الخ)) لكان أجود (2) .

ورآها رجل ثقيل الظل ، فأعجب بجمالها وأراد أن يعبر عن اعجابه بها ، لكنه خانه التعبير عما يريد أن يفصح به ، فقال لها : ما على من أكل معك خمسمائة سوط ؟ فقالت له :

وذي شقوة لما رآني رأى له   تمنيه أن يصلى مدى جاحم الضرب
فقلت له : كلها هنيئا فانما   خلقت الى لبس المطارف والشرب (3)

وكانت نزهون شاعرة ماجنة ، وقد أعطت الحرية الكاملة لنفسها لتتغزل في الرجل دون حشمة أو حياء وها هي تحدثنا عن ليلة قضتها بين احضان حبيبها ، وقد غفلت أعين الرقباء عنهما ، فقالت :

لله در الليالي ما أحيسنها   وما أحيسن منها ليلة الأحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت   عين الرقيب فلم تنظر الى أحد
أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمر   بل ريم خازمة في ساعدي أسد (4)

وقد أجادت الشاعرة في هذه الأبيات من الناحية الفنية سيما في بيتها الأخير الذي وصفت لنا فيه مفاتنها وصفات حبيبها .

وتقدم لخطبتها رجل ذميم الصورة ، لم ترضه زوجا لها ، فقالت تهجوه :

---

(1) المصدران السابقان . النفح ج 4 ، ص : 295 ، والمقتضب ، ص : 215
(2) النفح ، ج 4 ، ص : 295 .
(3) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 295 . وعبد البديع صقر : شاعرات العرب ، ص : 449
(4) نفح الطيب ج 4 ، ص : 295 . والمقتضب ، ص : 217 .

عذيري من عاشق أتــــوك ... سفيــه الاشـــارة والمنـــزع
يــروم الوصـــال بما لـــو أتـــى ... يروم بـــه الصفع لـــم يصفـــع
بـــرأس فقيـــر الــــى كيّـــة ... ووجـــه فقير الى بـــرقـــع (1)

ومن نوادرها التي رواها لنا ابن سعيد في طالعه أن ابن قزمان الشاعر جـــاء الى غرناطة واجتمع بجماعة من الأدباء من بينهم نزهون وأبوبكر الوزير ، ثم أنشـــد لهـــم بعض شعره البديع أرتجالا ، وكان يلبس غفارة صفراء على زي الفقهاء حينئذ ، ولمـــا انتهى من قراءة شعره قالت له نزهون ساخرة ـ وهي السليطة اللسان ـ :أحسنـــت يابقرة بني اسرائيل ، الّا أنّك لا تسر الناظرين ، فضحك الحاضرون ، وأثارت بذلك غضـــب ابن قزمان الشاعر الزجال ذي المكانة المرموقة في المجتمع الأندلسي حينئذ ، فقال لـــها : ان لم أسر الناظرين فأنا أسر السامعين ، وانما يطلب سرور الناظرين منك يافاعلـــة ، ياصانعة ،،، وتمكن السكر من ابن قزمان وأراد أن يؤدبها بالضّرب ، ولكن الجمـــاعـــة تداعوا عليه حتى رموه في البركة فلم يخرج منها الا وقد شرب منها كثيرا من الماء، وثيابه تهطل من البلل ، ولم يجد مخرجا من هذا الموقف الحرج الا قوله : اسمـــع ياوزير ، ثـــم أنشــــد :

ايه أبابكـــر ولا حول لــي ... بدفع أعيـــان وأنـــذال
....
غرّقتنـــي فـــي الماء ياسيـــدي ... كفّره بالتغريق في المال (2)

وقد استجاب الوزير أبوبكر لطلبه . فأمر بتجريد ثيابه المبللة ، وخلع عليـــه مـــا يليق به ، ثم أجزل عليـــه العطـــاء والاحـــسان (3) .

.. هذه هي نزهون الشاعرة ، التي استطاعت أن تقف أمام شعراء كبار كالأعمى المخزومي والكندي ، والوزير أبي بكر بن سعيد وابن قزمان ، تحاورهم ، وتجادلهم وتجيزهـــم وتهاجمهم ، وذلك بما احتوت عليه ثقافتها الواسعة ، لكنها كانت ماجنة ، ويتجلى ذلك

(1) المقتضب . ص : 215 . وعبد البديع صقر : شاعرات العرب . ص : 449
(2) النفح . ج 4 .ص : 297 . وقد حذفنا البيت الثاني لبذاءتـــه .
(3) انظـــر المصدر السابق . ص : 296 وما بعدهـــا .

في نوادرها مع الأعمى المخزومي وابن قزمان ، وكذلك في شعرها الهجائي الذي نجد فيه من البذاءات الفاحشة) والاقذاع في القول ، والذي يعتبر خروج عن المألوف ، وبالرغم من ذلك فقد كانت شاعرة مجيدة ، سيما في شعرها العاطفي .

بقي أن أشير الى أن شاعرتنا نزهون عاشت في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس ، أي : في عصر المرابطين ولعلها عاشت في ثلاثة عصور : عصر الطوائف والمرابطين والموحدين ، فصاحب المغرب يقول : انها من أهل المائة الخامسة [1]، ومن أخبارها ونوادرها مع الأعمى المخزومي المتوفى سنة 541 هـ[2]، وابن قزمان الزجال المتوفى سنة 535هـ [3]، وأبي بكر الكتندي المتوفى سنة ثلاث أو أربع وثمانين وخمسمائة[4] أنها كانت معاصرة لهم ، فهي اذن عاشت في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس ، ومن أشعارها وأخبارها نستنتج أنّها كانت امرأة متحررة ماجنة لا تكترث لما يخدش شرفها ، ولا تعرف حدا لحريتها ، وأخبارها مع الأعمى المخزومي وابن قزمان لدليل على تهورها ، ويتجلى ذلك في هجائها الفاحش ، وخروجها عن المألوف ، وهي بذلك تعطينا صورة واضحة عن المجتمع الأندلسي في تلك الفترة ، حيث المجون واللهو والابتذال والخمر والغلمان . . .

لكنها كانت شاعرة مجيدة ، ومثقفة ثقافة أدبية واسعة ، مع خفة الروح ، وسرعة البديهة ، وقد رأينا كيف استطاعت أن تجيز الكتندي بسرعة ، وقد عجز عن ذلك المخزومي الشاعر الكبير ، لكننا حينما ننظر الى شعرها الذي وصلنا نجد أن شعرها الغزلي أعذب من شعرها الهجائي لأنه خال من الصنعة والفحش والمجون .

هذه هي نزهون الشاعرة الماجنة .

---

(1) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 295 عن المغرب لابن سعيد ، ويبدو أن صاحب النفح نقل عن نسخة أخرى من المغرب غير النسخة المطبوعة . لأن الخبر غير موجود في النسخة المطبوعة بتحقيق . د . شوقي ضيف .

(2) الدكتور محمد مجيد السعيد ـ الشعر في عصر المرابطين والموحدين ، ص : 174 دار الرشيد للنشر ، العراق ، سنة 1980 .

(3) تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين ، ص : 255

(4) زاد المسافر ، ص : 95 . عن التكملة لابن الآبار طبعة كوديرة ، ج 1 ، ص : 252 .

حمدونة بنت زياد المؤدب :

ومن شاعرات الأندلس في هذه الفترة حمدة ويقال لها حمدونة بنت زياد المؤدب : من وادي آش [1]، كانت معاصرة لنزهون الغرناطية ، نشأت في مدينة وادي آش قرب غرناطة ، وهي مدينة جميلة ساحرة تتخللها الجداول والأنهار ، وكان أبوها زياد ابن بقّي الدوفي مؤدبا ، فنشأ ابنتيه حمدونة وأختها زينب على حب الأدب ، فكانتا شاعرتين شهيرتين كما يقول صاحب النفح [2]، غير أن حظ حمدونة كان أحسن من حظ أختها زينب التي لم يصلنا من شعرها شيء سوى ذكر اسمها مرتبطا باسم أختها ، فيقال : حمدونة بنت زياد وأختها زينب الشاعرتان ، وأحيانا تذكر زينب أولا ثم تقترن بها حمدونة فيقال : زينب بنت زياد الوادي آشي وأختها حمدة [3]، وكانت حمدونة أديبة نبيلة شاعرة ، ذات جمال ، ومال مع العفاف والصون ، الا أنّ حب الأدب كان يحملها على مخالطة أهله مع نزاهة وصيانة أخلاق ، وكانت تعلم النساء الأدب ، فذاع صيتها وعظمت منزلتها [4]، فلقبت بخنساء المغرب كما جاء في (المغرب [5] والنفح) [6] بالرّغم أن شعرها ليس في الرثاء وانما في الغزل ووصف الطّبيعة ، ولعل وجه الشبه بين الشاعرتين هو في الجودة وحسن الديباجة .

---

(1) مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة ، كبيرة خطيرة تطرد حولها المياه والأنهار ينحط نهرها من جبل شلير وهو في شرقيّها وهي على ضفته ،،،وهي كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون ، والقطن بها كثير ،، (صفة جزيرة الأندلس ص : 134)

(2) ج 4 ، ص : 289

(3) نفح الطيب ، ج 4 ، ص : 289

(4) عمر رضا كحالة ـ المرأة في عالمي العرب والاسلام ، ج 2 ، ص : 265 وعبد البديع صقر : شاعرات العرب ، ص : 203

(5) ج 2 ، ص : 145

(6) ج 4 ، ص : 287

وأما شعرها فهو مقطوعات مختلفة نظمتها الشاعرة في مناسبات شتى ، خرجت شاعرتنا حمدونة مرة الى وادي مدينتها مع بعض صواحبها ، فسبحن فيه جميعا ، وكان من بينهن فتاة تهواها ، ففكرت مليا ، ثم أخذت تصور تباريح حبها لهـا ، وكلفها بجمالها قائلة :

أباح الدمع أسراري بواد ، لــه للحسن آثار بـواد
فمن نهر يطوف بكل روض ومن روض يرف بكل وادي
ومن بين الظباء مهاة انس سبت لبي وقد ملكت فؤادي
لها لحظ ترقّده لأمر وذاك الأمر يمنعني رقادي
اذا سدلت ذوائبها عليها رأيت البدر في جنح الدآدي
كأنّ الصّبح مات لـه شقيق فمن حزن تسربل بالحداد (1)

وقد تأثرت الشّاعرة أيما تأثر بجمال النهر المنساب ، وروعة الطبيعة الخلابة ، وفتنة صواحبها يتلاعبن فوق صفحة الماء بخفة ورشاقة ، ومنهن واحدة كانت تهواها فأثارت عواطفها وهي تستحم في النّهر ، فوصفت مفاتنها ، في صور بيانية بديعة .

وهذه الظاهرة ، ظاهرة حب المرأة للمرأة والتغزل فيها خاصة بالأندلس ولم تعرف في المشرق (2) .

ومن شعرها هذه الأبيات الجميلة التي تتحدّث فيها عن الوشاة الذين فرقوا بينها وبين حبيبها ، فقالت :

ولمّا أبى الواشون الاّ فراقنا وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كلّ غارة وقلّ حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي ومن نفسي بالسّيف والسّيل والنّار (3)

(1) النفح ج 4 ،ص : 233 . والمغرب ج 2 ،ص : 146 . والمقتضب ،ص : 214 . والاحاطة ، ج 1 ، ص : 293 .
(2) الدكتور شوقي ضيف . فصول في الشعر ونقده ،ص : 150 .ط 1 .دار المعارف.د.ت
(3) النفح ، ج 4 ،ص : 287 . والمغرب ج 2 ،ص : 146 . والمقتضب ،ص : 215 والاحاطة ،ج 1 ، ص : 498 . وفوات الوفيات. ج 1 ،ص : 395

بن زياد المؤدب عندما نقل رسالة الشقندي في الدفاع عن الأندلس[1]، ويبدو أن ذلك كان سهوا من الشقندي الذي ربما كتب رسالته دون أن يعتمد على مصادره بخانته ذاكرته أو أنّه اعتمد على مصدر لم يطلعا ، بيد أن صاحب النّفح لم يعلق على هذه المسألة ، وقد نسب الأبيات لحمدة في مكان آخر من النّفح كما مر معنا، وهذا من باب التناقض الذي كثيرا ما نجده عند المقري .

وقد وصفت حمدة وادي آش وصفا جميلا بأبيات بديعة فاعتمدت في وصفها له على التصور والتخييل فجعلته صورة بهية الألوان والظّلال ، فحلت به لتنعم بظلال دوحاته ونسيمه ، فلمست منه حنو كحنو المرضعات على الفطيم ، وأن ماء الوادي الزلال الجاري في جداوله والذي هو أشد من خمر الندامة يروي ظمأها وظمأ رفيقاتها . وأن دوحه الظليل يصد الشمس ويسمح للنّسيم ، وأن حصاه الذي يشبه حبات اللؤلؤ ليروع العذارى الحاليات فتلمس عقودهن في ذعر خشية أن تكون قد انفرطت عقودهن ، فتقول :

---

(1) سبب انشاء هذه الرّسالة كما رواه ابن سعيد ، قال : أخبرني والدي فقال : كنت يوما في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى بن أبي زكريا صهر ناصر بني عبد المؤمن فجرى بين أبي الوليد الشقندي وبين أبي يحيى بن المعلم الطنجي نزاع في التفضيل بين البرين ، فقال الشقندي : لولا الأندلس لم يذكر بر العدوة ، ولا سارت عنه فضيلة ، ولولا التّوقير للمجلس لقلت ما تعلم ، فقال الأمير أبو يحيى : أتريد أن تقول كون أهل برنا عربا وأهل بركم بربر ؟ فقال : حاش لله ؟ . . . وكاد أن يشتد النّزاع بين الشقندي وابن المعلم ، لكن الأمير تدخل ، وقال : الرأي عندي أن يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل بره ، فالكلام هنا يطول ويمر ضياعا ، وأرجو اذا أخليتما له فكركما يصدر عنكما ما يحسن تخليده ففعلا ذلك . فأنشأ الشقندي هذه الرسالة الطويلة في تفضيل أهل الأندلس على أهل العدوة (انظر الرسالة كاملة في النفح ، ج 3 ، ص : 186 وما بعدها)

وقانا لفحة الرّمضاء واد — سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا — حنوّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا — ألذّ من المدامة للنّديم
يصدّ الشّمس أنّى واجهتنا — فيحجبها ويأذن للنّسيم
يروع حصاه حالية العذارى — فتلمس جانب العقد النّظيم[1]

حول الأبيات :

إنّ بعض المؤرخين المشارقة نسبوا هذه الأبيات الجميلة إلى شاعر مشرقي اسمه أحمد بن يوسف المنازي[2]، ومنهم الصفدي في (الوافي بالوفيات[3]) وابن خلكان في (وفيات الأعيان)[4]، وابن العماد الحنبلي في (شذرات الذّهب)[5]، وابن عبيد في (سمط اللآلي)[5]، إلا أنّ أبا جعفر الأندلسي الغرناطي، نزيل حلب، المعروف بالرّعيني جزم بأن الأبيات لحمدة فقال: ((إن مؤرخي بلادنا نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المنازي الذي ينسبها له أهل المشرق ... وكانت حمدة من ذوي الألباب، وفحول أهل الآداب، حتى أن بعض المتحلين تدلى بهذه الأهداب، وادعى نظم هذين البيتين – يعني: ولما أبى الواشون، إلى آخره – لما فيهما من

---

(1) النفح ج 1، ص: 232، وعبد البديع، شاعرات العرب، ص: 209. ويموت بشير، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص: 215.

(2) أحمد بن يوسف أبو نصر المنازي الكاتب الشاعر الوزير، وزر لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين ... وترسل إلى القسطنطينية مرارا، وجمع كتبا كثيرة ثم وقفها على جامع آمد وميافارقين ... واجتمع بأبي العلاء فشكا إليه أنه منقطع عن الناس وهم يؤذونه، فقال له: مالك ولهم وقد تركت لهم الدنيا والآخرة فتألم أبو العلاء وأطرق مغضبا، وللمنازي ديوان شعر، وهو منسوب إلى منازكرد، توفي سنة 437 هـ (الصفدي: الوافي بالوفيات ج 3، ص: 235 الترجمة ر: 3703 مطبعة دار صيدا – بيروت

(3) ج 3، ص: 235.

(4) ج 1، ص: 143

(5) ج 3، ص: 259 – 260 – منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت – د.ت

(5) ج 1، ص: 227، تحقيق عبد العزيز الميمني، طبعة مصر – 1936

المعاني والألفاظ العذاب ، وما غره في ذلك الابعد دارها ، وخلو هذه البلاد المشرقية من أخبارها ، وقد تلبس بعضهم أيضا بشعارها ، وادعى غير هذا من أشعارها ، وهو قولها : ((وقانا لفحة الرمضاء واد ،)) الى آخره ، وانّ هذه الأبيات نسبها أهل البلاد للمنازي من شعرائهم ، وركبوا التعصب في جادة ادعائهم ، وهي أبيات لم يخلبها غير لسانها ، ولا رقم بروديها غير احسانها ، ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا وهي الأندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازي من العدم الى الوجود ، ويتصف بلفظة الموجود))[1]، ونقل المقري عن رواية ابن العديم في تاريخ حلب قوله : وبلغني أن المنازي نظم هذه الأبيات ليعرضها على أبي العلاء المعري ، فلما ذهب اليه أنشده الأبيات ، فكان المنازي كلما أنشده المصراع الأول من كل بيت سبقه أبو العلاء الى المصراع الثاني ، ولما أنشده قوله :

نزلنا دوحه فحنا علينا .

فقال أبو العلاء :

حنو الوالدات على الفطيم

فقال المنازي : انّما قلت ((على اليتيم)) ، فقال أبو العلاء : الفطيم أحسن[2]

وهذه الرواية ان صحت لدليل على أن الأبيات — السالفة الذكر — قيلت قبل المنازي حتى أن أبا العلاء المعري حفظها عن ظهر قلب .

غير أنّ هناك رواية أخرى ذكرها الحنبلي ، وهي أن المنازي عرض هذه الأبيات في جماعة من الشعراء على أبي المعري ، فقال له : أنت أشعر من بالشام ثم بعد خمس عشرة سنة عرض عليه أبياتا أخرى[3]، فقال له

(1) النفح ، ج 4 ، ص : 238 — 239
(2) المصدر السابق ، ص : 239

(3) وهي : لقد عرض الحمام لنا بسجع * اذا أصغى له ركب تلاحى
شجى قلب الخلي فقيل غنى * وبرح بالشجي فقيل ناحا
وكم للشوق في أحشاء صب * اذا اندملت أجد لها جراحا
ضعيف الصبر عنك وان تقاوى * وسكران الفؤاد وان تصاحى
كذاك بنو الهوى سكرى صحاة * كأحداق المها مرضى صحاحا

أبو العلاء ومن بالعراق أيضا عطفا على قوله ((أنت أشعر من بالشام[1])) . ونلاحظ الاختلاف في الروايتين ، فرواية ابن العديم تشكك في كون الأبيات للمنازي بدليل أنّ أبا العلاء كان يسبق المنازي الى المصراع الثاني عندما كان يقرأ عليه الأبيات ، ورواية الحنبلي تدفع الشك . . . فهو عندما قرأ الأبيات على أبي العلاء — حسب الرواية الثانية — أعجب بها ، وقدمه على جميع شعراء الشام .

ومهما يكن من أمر فسواء أصحت الرّواية الأولى أم الثانية ، يبقى من الصعب علينا أن نجزم برأي في الخلاف القائم في هذه المسألة ، لأننا لا نعرف بالضّبط تاريخ ولادة حمدة ولا تاريخ وفاتها ، فما نعرفه عن حياتها من المؤرخين أنها عاصرت نزهون أو قاربت عصرها ، ونزهون — كما مر معنا — عاشت في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس ، واذن فحمدة حسب الخبر عاصرت نزهون أو قاربت عصرها — أي : أنّها عاشت في عصرها أو تقدمت عنها قليلا أو تأخرت ، ولنفرض أن حمدة عاشت في عصر سابق لنزهون ، على رواية الرعيني الذي يقول :((انّ مؤرخي بلادنا نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المنازي الذي ينسبها له أهل المشرق))، والمنازي توفي سنة (437هـ)[2]، فهل عاشت حمدة فعلا قبل أن يوجد المنازي كما في رواية الرعيني ؟؟

نحن نشك في ذلك لأنه ليس لدينا دليل قاطع ، وقد يكون الرعيني الذي تحدث عن تعصب المشارقة فنسبوا الأبيات للمنازي ، قد ركبه التّعصب هو الآخر للأندلسيين فادعى بأن مؤرخي بلاده نسبوها لحمدة قبل أن يوجد المنازي دون أن يحدد لنا بدقة تاريخ ميلادها ووفاتها .

---

(1) انظر : الشذرات . ج 3 . ص : 260

(2) المصدر السابق . والصفحة نفسها .

— والوافي بالوفيات . ج 3 .ص : 235 . ووفيات الأعيان .ج 1 . ص : 144

وحسب ما يبدو أن المنازي كان أسبق وجودا من حمدة ولذلك فالأبيات قد تكون له ، وحمدة عندما مرت بنفس التجربة ، نظمت الأبيات وادعتها ، وربما لم تطلع على النص الشعري الذي نظمه المنازي اطلاقا ، وحينما مرّت بالتجربة نفسها نظمت هذه الابيات فجاء هذا التشابه بين النصين عفويا ، وهذا التطابق يسمى في عرف النقّاد بوقع الحافر على الحافر ، وبذلك تصدق رواية المشارقة الذين نسبوا النّص الشّعري للمنازي كما تصدق رواية الأندلسيين الذين نسبوه لحمدة .

ومهما يكن من أمر فلا نستطيع أن نجزم في نسبة الأبيات لحمدة ، مادمنا لا نملك حججا دامغة ، ولعل الأيام في المستقبل ستكشف لنا عن مصادر مخطوطة تكون قد فصلت في الخلاف ، وبذلك ينتهي الإشكال .

أم العلاء بنت يوسف الحجارية

وهذه شاعرة أخرى من شواعر القرن الخامس — أم العلاء بنت يوسف الحجارية : نسبة الى وادي الحجارة ، وهي شاعرة مجيدة ، وأنها ممن تفخر به بلدها وقبيلتها كما ذكر صاحب المغرب [1] ، وهو من نفس بلدها — هذا البلد الذي قدم لنا عددا وافرا من الشعراء والعلماء كحفصة بنت حمدون الحجارية التي مرّ ذكرها ، والحسن بن حسان السناط وأبي محمد عبد الله وغيرهم [2] .

وأم العلاء من أرومة بربرية صقلت موهبتها البيئة الأندلسية الندّية ، وطبيعتها الجميلة ، فجادت قريحتها بشعر رقيق ، فمن شعرها الذي وصلنا في وصف الطبيعة هذه المقطوعة التي تصف فيها بستانها ، اذ تقول :

لله بستاني اذا يهفو به القصب المندّى
فكأنما كفّ الريا ح قد أسندت بندا فبندا [3]

لقد رسمت لنا أم العلاء هذه الصورة الجميلة لبستانها الذي يهفو به القصب الندي في كف الرياح فيبدو كالأعلام ترفرف على خفقات النّسيم ، وبالرغم من أن مدينة وادي الحجارة بها نهر تحف به بساتين وجنات وكروم وزراعات مختلفة كما يصفها الحميري [4] ، الا أنّه لم يصلنا من شعرها في وصف طبيعة واديها الا هذه المقطوعة في وصف بستانها ، وقد وصلتنا مقطوعات أخرى من شعرها في الغزل ، فلنستمع اليها في هذه المقطوعة التي تتحدث فيها عن نعيم القرب الذي بدونه لا لذة للحياة :

كل ما يصدر عنكم حسن وبعلياكم تحلّى الزّمن
تعطف العين على منظركم وبذكراكم تلذّ الأذن
من يعش دونكم في عمره فهو في نيل الأماني يغبن [5]

(1) المغرب ، ج 2 ، ص : 33
(2) انظر عن شعراء وعلماء وادي الحجارة المصدر السابق ، ص : 25 وما بعدها
(3) المغرب ، ج 2 ، ص : 33
(4) صفة جزيرة الأندلس ، ص : 193
(5) المغرب ، ج 2 ، ص : 33 ، والنفح ، ج 4 ، ص : 169

إننا لنلمس رقة وجمالا في هذه الأبيات الثلاثة التي تمدح فيها حبيبها الذي كل مايصدر منه حسن ، وأن ذكراه جميلة ، وبعده غبن . . . .

وكتبت اليه تعتذر :

افهم مطارح أحوالي وما حكمت	به الشّواهد واعذرني ولا تلم
ولا تكلني الى عذر أبينه	شرّ المعاذير ما يحتاج للكلم
وكل ما جيئته من زلة فبما	أصبحت في ثقة من ذلك الكرم (1)

ولم تكن أم العلاء مستهترة كولادة ومهجة ونزهون اللائي أبحن لأنفسهن حضور مجالس اللهو والاستمتاع بالطرب والغناء والخمرة ، فقد فكرت أم العلاء في ذلك لكن مروءتها منعتها ، فأحجمت وفي ذلك تقول :

لولا منافرة المدا	مة للصّبابة والغنا
لعكفت بين كؤوسها	وجمعت أسباب المنى (2)

وعشقها رجل أشيب ، وتقدّم لخطبتها ، فامتنعت ، ولكن الرجل ألحّ وحاول اغراءها بشتى الأساليب ، فكتبت اليه قائلة :

الشيب لا يخدع فيه الصّبا	بحيلة فاسمع الى نصحي
فلا تكن أجهل من في الورى	يبيت في الجهل كما يضحي (3)

هذه هي أم العلاء بنت يوسف الحجارية شاعرة غزلة من الطبقة المتوسطة ، الا أنها ذات مروءة تفاخر بحسبها ونسبها ، ولم يعرف عنها ما يسيء الى سمعتها .

---

(1) النفح ، ج 4 ، ص : 169

(2) المغرب ، ج 2 ، ص : 33

(3) النفح ، ج 4 ، ص : 169 .

العبادية جارية المعتضد :

ومن شاعرات الأندلس في القرن الخامس — العبادية جارية المعتضد — والد المعتمد :

أهداها إليه مجاهد العامري من دانية ، وكانت — كما في النفح[1] ، أديبة ، ظريفة ، كاتبة ، شاعرة ، ذاكرة لكثير من اللغة ، وكان المعتضد عباد كلفا بالنساء ، فاتخذ منهن عددا وافرا ، وخلط في أجناسهن ، حتى أنه عند وفاته خلف نحوا من سبعين جارية ، وكانت العبادية حظية لديه ، وسهر المعتضد عباد ليلة لأمر ألم به ، وهي نائمة ، فقال :

تنام ومدنفها يسهر وتصبر عنه ولا يصبر

فأجابته بديهة بقولها :

لئن دام هذا وهذا له سيهلك وجدا ولا يشعر[2]

ولا شك أن للشاعرة العبادية أشعارا أخرى كثيرة لم تصلنا ، وإلا لما وصفت بأنها كانت شاعرة ، أديبة ، كاتبة .

---

(1) النفح ، ج 1 ، ص : 233

(2) نفس المصدر ونفس الصفحة .

اعتماد الرميكية جارية المعتمد :

ونذكر من شواعر اشبيلية في القرن الخامس : اعتماد الرّميكية جارية المعتمد :

شاعرة من شواعر الأندلس اسمها ((اعتماد)) وتلقّب بالرّميكيّة نسبة لمولاها رميك ابن الحجاج ، ومنه اشتراها المعتمد في حياة أبيه المعتضد عباد ، وهي أم الربيع ، وتعرف أيضا بالسّيدة الكبرى لأنها أم أولاده [1]، وكان المعتمد مفرط الميل اليها يأنس بها ويستظرف من نوادرها بالرغم أنها لم تكن لها معرفة بالغناء ، وانما كانت جميلة الوجه ، حسنة الحديث ، حلوة النادرة ، كثيرة الفكاهة ، لها في كل ذلك نوادر محكية[2]، واذا كان أول ما قاد المودة بين جميل وبثينة وادي بغيض ، فان أول ما قاد المودة بين اعتماد والمعتمد وادي الكبير الذي يتوسط مدينة اشبيلية ، لقد خرج المعتمد يوما برفقة وزيره وصديقه ابن عمار للنزهة في نهر اشبيلية ، فركبا زورقا وراحا يرفهان فيه عن نفسهما ، فهبّ نسيم عليل فكوّن زردا في النهر ، فقال المعتمد لصديقه ابن عمار : أجز :

صنع الرّيح من الماء زرد

فأطال ابن عمار الفكرة ، ولم يسعفه الحظ في الاجازة ، وكانت نسوة من المدينة يغسلن بجانب النهر ، فقالت احداهنّ :

أيّ درع لقتال لو جمد [3]

فأعجب ابن عباد من حسن ما سمع ، مع عجز ابن عمار وهو الشاعر المفلق ، فنظر الى حيث انبعث الصوت ، فاذا بصاحبته في صورة جميلة ، تخلب الأنظار ، فسألها : أذات بعل هي ؟ فقالت : لا . . . ثم ابتاعها من صاحبها رميك ابن الحجاج وتزوجها وولدت له أولاده الملوك النجباء[4] . . .

(1) وهؤلاء أبناء المعتمد من الرميكية : عباد بن محمد أبو عمرو الملقب بسراج الدولة ، ويزيد أبو خالد الملقب بالراضي ، والفتح أبو نصر الملقب بالمأمون وعبيد الله أبو الحسين الملقب بالرشيد ، وعبد الله أبو بكر الملقب بالمعتد ، والربيع أبو سليمان تاج الدّولة والمدلى أبو هشام زين الدين وغيرهم (الحلة السيراء . ج 2 ، ص : 52)

(2) أعلام النساء ، ج 1 ، ص : 71 . والنفح ، ج 4 ، ص : 272

(3) النفح ج 1 ، ص : 211 . والمعتمد بن عباد : الديوان (تحقيق الدكتور رضا الحبيب السويسي ، ص : 76 ، الدار التونسية للنشر

(4) النفح ، ج 4 ، ص : 211

وتحكى الرواية بشكل آخر كما في النفح حيث يقول المقري : وحكى البعض ، يريد منهم صاحب ((البدائع)) ليسنده لبعض أدباء الأندلس وسماه ، ولم يحضرني الآن ، أنه هو الذي قال للمعتمد : ((أي درع لقتال لو جمد[1])) .

ويبدو أن الرواية الأولى أصح لأنها مشهورة ، رأن المقري نقلها كخبر صحيح ، أما الرواية الثانية فبدأها بكلمة ـ حكى البعض ـ وكلمة ((حكى)) تحتمل الصدق كما تحتمل الكذب ، وضمن الرواية أيضا جملة ((ولم يحضرني الآن)) ، وهذا دليل آخر على أن الرواية الثانية لم تكن واضحة عند المقري . الأمر الذي يجعل الرواية موضع شك .

وقد أعجب شعراء الأندلس بالشطر الثاني الذي نظمته اعتاد فضمنوه في أشعارهم قال ابن ظافر : وقد أخذت هذا المعنى ، أي : معنى الشطر الثاني ، فقلت أصف روضا :

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا ولو جمدت أنهاره كان بلّورا[2]

---

(1) النفح ، ج 4 ، ص : 211 . المعتمد بن عباد :الديوان ص : 77
(2) النفح ، ج 4 ، ص : 211 ـ 212 .

وتحكى الرواية بشكل آخر كما في النفح حيث يقول المقري : وحكى البعض ، يريد منهم صاحب ((البدائع)) ليسنده لبعض أدباء الأندلس وسماه ، ولم يحضرني الآن ، أنّه هو الذي قال للمعتمد : ((أي درع لقتال لو جمد [1])) .

ويبدو أنّ الرّواية الأولى أصح لأنها مشهورة ، وأنّ المقري نقلها كخبر صحيح ، أما الرّواية الثّانية فبدأها بكلمة — حكى البعض — وكلمة ((حكى)) تحتمل الصّدق كما تحتمل الكذب ، وضمّن الرواية أيضا جملة ((ولم يحضرني الآن)) ، وهذا دليل آخر على أن الرواية الثانية لم تكن واضحة عند المقري . الأمر الذي يجعل الرواية موضع شك ،

وقد أعجب شعراء الأندلس بالشّطر الثاني الذي نظمته اعتماد فضمنوه في أشعارهم قال ابن ظافر : وقد أخذت هذا المعنى ، أي : معنى الشطر الثاني ، فقلت أصف روضا :

فلو دام ذاك النّبت كان زبرجدا   ولو جمدت أنهاره كان بلّورا [2]

---

(1) النّفح ، ج 4 ، ص : 211 ، المعتمد بن عباد :الديوان ص : 77

(2) النفح ، ج 4 ، ص : 211 — 212 .

وكانت اعتماد حظية عند المعتمد حتى أنّه أختار لقبا يناسب اسمها هو ((المعتمد)) وكان يلقب من قبل ((بالظافر)) ، ومن كثرة هيامه بها أنه ضمّن اسمها في أوائل الأبيات التالية :

أغائبة الشخص عن ناظري ... وحاضرة في صميم الفؤاد
عليك السّلام بقدر الشجون ... ودمع الشؤون وقدر السّهاد
تملكت مني صعب المرام ... وصادفت مني سهل القياد
مرادي أعياك في كلّ حين ... فياليت أني أعطى مرادي
أقيمي على العهد في بيننا ... ولا تستحيلي لطول البعاد
دسست اسمك الحلو في طيّه ... وألفت فيك حروف ((اعتماد[1]))

وكان المعتمد لا يرد لها طلبا ، وهي التي أغرته على قتل ابن عمار صديقه ووزيره السابق وذلك لقوله هجوا متذعا معرضا بالرّميكية[2] ومما يروى عن تدللها أنّها رأت يوما نساء البادية باشبيلية يبعن اللبن في القرب ويمشين في الطين ، فاشتهت المشي في الطين هي وجواريها مثلهن ، فما كان من المعتمد الا أن أمر بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد ، وعجنت بالأيدي في ساحة القصر حتى صارت كالطّين ، ثم جعل لهن قربا وحبالا من ابريسم ، وخرجن يدسن في ذلك الطين ، وقيل أنه لما خلع المعتمد جرى بينهما حديث يوما فغضبت منه اعتماد وأقسمت أنها لم تر منه خيرا قط ، فقال لها :

---

(1) المعتمد بن عباد الديوان ، ص : 40 ، والحلة السيراء ، ج 2 ، ص : 51

(2) هجا ابن عمار المعتمد بن عباد بقصيدة لامية مشهورة ، وفي هذه القصيدة يقول معرضا بالرميكية :

تخيّرتها من بنات الهجان * رميكية لا تساوي عقالا
فجاءت بكل قصير الذّراع * لئيم النجارين عما وخالا

وقيل أنّ هذا الشعر ليس لابن عمار وانما نسبته اليه لكي توغل صدر المعتمد عليه (وفيات الأعيان ، ج 1 ، ص : 423 — 429 — والحلة السيراء ، ج 2 ، ص : 52 — 53)

ولا يوم الطين ؟ فاستحيت واعتذرت [1] . وعلّق صاحب النفح على هذه القطعة قائلا : وهذا مصداق قول نبينا صلى الله عليه وسلم في حق النساء ((لو أحسنت الى احداهن الدّهر كله ثم رأت منك شيئا قالت : ما رأيت منك خيرا قط [2])) .

والى هذه الحادثة يشير المعتمد بن عباد حين قال في بناته :

يطأن في الطّين والأقدام حافية   كأنها لم تطأ مسكا وكافورا [3]

ولما دخل وسجن بأغمات قالت له اعتماد يوما : ياسيدي لقد هنّا هنا ، فقال :

قالت لقد هنّا هنا   مولاي أين جاهنا

قلت لها الهنا   صيّرنا الى هناك [4]

هذه هي شاعرتنا الرّميكية التي لعبت دورا مهما في حياة المعتمد بن عباد الذي لم يكن — كما يقول الريسوني [5] — يعرف الا نفسه وترفه ومحبوبته الرميكية التي كان يؤثر دفء حضنها على شعب عربي بأكمله ، فيبدد الأموال الطائلة من أجل تلبية طلباتها الباهظة النازفة روح الأمة . . . ثم يسرع اليها مبتهجا ليهمس في أذنيها :

حبّ اعتماد في الجوانح ساكن   لا القلب ضاق به ولا هو راحل [6]

وتوفيت شاعرتنا بأغمات سنة 488 هـ قبل المعتمد بأيام ، ولم ترقأ له عبرة ولا فارقته حسرة حتى قضى نحبه أسفا وحزنا عليها .

---

(1) النفح ج 4 ، ص : 272 — 273 ، و ، ج 1 ، ص : 440
(2) ج 4 ، ص : 273
(3) المعتمد بن عباد : الديوان ، تحقيق الدكتور رضا الحبيب السويسي ، ص : 169 وسبب انشاد هذه الأبيات أن المعتمد وهو في سجنه بأغمات دخلت عليه بناته وهن في أطمار هن البالية ، يغالبن البكاء ويصارعن الذل ليرددن على مسامع أبيهن كلمات التهنئة بأول عيد يمر عليهن في السجن فاذا بالأب يحتضن بناته وينشد هذه القطعة التي منها هذا البيت (في الأدب الأندلسي ، ص : 93 وانظر أيضا ديوان المعتمد ، ص : 162) .
(4) ديوان المعتمد ، ص : 191
(5) محمد المنتصر الريسوني — ابن تاشفين في ميزان الحقيقة مجلة المعرفة العدد — 30 سنة 1964 ، ص : 173 .
(6) الديوان : ص : 93 . (م) — وفيات الأعيان ، ج 4 ، ص : 423 — 429 والحلة السيراء ، ج 2 ، ص : 63 . وأعلام النساء ، ج 1 ، ص : 71 .

جارية المعتمد بن عباد : (1)

وتذكر من الشواعر المغنيات — جارية المعتمد بن عباد :

أهداها اليه يوسف بن تاشفين عندما بدأ يتشوف الى الأندلس ، ولعلها كانت تنقل اليه ما يجري في قصر بني عباد ، فنسميها بلغة عصرنا مخبرة أو جاسوسة، وقد نشأت بالعدوة ، وأهل العدوة — كما يذكر صاحب المسهب[2]، بطبعهم يكرهون أهل الأندلس ، وعندما بدأ يوسف بن تاشفين ينتزع بلاد ملوك الطوائف منهم واحدة واحدة ، وعرف المعتمد بن عباد أن دوره آت لا محالة ، فاشتغل خاطره بالتفكير في ذلك ، فأراد أن يخلو بنفسه لاعمال الفكر ، فخرج من قصره واصطحب معه جاريته هذه ، متجها نحو قصر الزاهر على نهر اشبيلية ، وهناك جلس على الراح يفكر في مصير مملكته ، وعندما انتشى طلب منها أن تغني له ، فغنت من شعرها :

حملوا قلوب الأسد بين ضلوعهم ... ولووا عمائمهم على الأقمار

وتقلّدوا يوم الوغى هندية ... أمضى اذا انتضيت من الأقدار

ان خوفوك لقيت كلّ كريهة ... أو أمّنوك حللت دار قرار (3)

وبعد أن أنهت من انشادها الأبيات خطر ببال المعتمد أنّها تعرض بسادتها، فلم يتمالك غضبه ، فرمى بها في نهر اشبيلية ، فتوفيت في الحين ، وهكذا ظهر حقد هذه الجارية على ملك بني عباد في لحظة نشوة ، فبدلا من أن تعيد على المعتمد بعض أنسه وتدعو لملكه بالدّوام ، رهبته من الملثمين ، وقدّر له أن كان زوال ملكه على يدهم ، وقد صدقت الجارية في قولها :

ان خوّفوك لقيت كلّ كريهة .

---

(1) ولعلها ((جوهرة)) ذكرها المقري في مكان آخر من النفح ، فقال : وكانت له ، أي : المعتمد جارية اسمها ((جوهرة)) وكان يحبها ، فجرى بينهما عتاب ، ورأى أن يكتب اليها يسترضيها ، فأجابته برقعة لم تدونها باسمها فقال : . . . (انظر : النفح ، ج 4 ، ص : 93)

(2) النفح ، ج 4 ، ص : 276

(3) نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

بثينة بنت المعتمد بن عباد :

ومن شواعر اشبيلية أيضا — الأميرة : بثينة بنت المعتمد بن عباد :

شاعرة من شواعر الأندلس في القرن الخامس نشأت في قصر بني عباد في اشبيلية، كان أبوها المعتمد شاعرا، وأمها الرّميكية شاعرة، وجدها المعتضد عباد، وجدتها العبادية شاعرين، فلا عجب أن ترث بثينة الشّعر عن أسرتها التي كانت كلها شاعرة، وعن محيطها الشعري فقد كان قصر أبيها منتدى لأكبر شعراء الأندلس في عصرها، كابن زيدون وابن عمار وابن حمديس وابن اللّبانة وغيرهم .

وكانت بثينة الشاعرة كأمها الرّميكية ذات جمال بارع، وحسن باهر حاضرة الجواب، سريعة الخاطر حلوة النادرة [1]، عاشت في بيت مجد وسلطان وعز ورفعة واباء الى أن حلّت النكبة بأبيها المعتمد وأسر رحل الى أغمات [2]، بالمغرب، ووقع النهب والسّلب في قصره، وكانت بثينة من جملة من سبي من نسائه وجواريه، فوقعت في يد رجل من قراد المغرب فلبثت في داره أياما، ثم باعها في سوق النخاسة فاشتراها منه أحد تجار اشبيلية [3]، على أنّها جارية من الجواري ووهبها لابنه [4]، فلما أراد الدخول عليها امتنعت وأظهرت له اسمها ونسبها، وقالت : لا أحل لك الا بعقد الزّواج ان رضي أبي بذلك، وأشارت عليه وعلى أبيه بوجيه كتاب من قبلها الى أبيها وانتظار جوابه، فوافق الشّاب ووالده، وبعد ذلك كتبت الى أبيها كتابا تستشيره وتروي له قصتها فيه وهي هذه القصيدة التي تقول فيها :

---

(1) النفح، ج 4، ص : 284، وأعلام النّساء ج 1، ص : 117 وصقر : شاعرات المغرب، ص : 27

(2) أغمات : بلدة قرب مراكش بالمغرب الأقصى .

(3) يسميه شوقي في مسرحيته ((أميرة الأندلس)) — أبا الحسن — انظر ص : 35

(4) يسميه شوقي — حسون — انظر المرجع السابق، نفس الصفحة

اسمع كلامي واستمع لمقالتي ❊ فهي السّلوك بدت من الأجياد
لاتنكروا أنّي سبيت وأنّني ❊ بنت لملك من بني عبّاد
ملك عظيم قد تولّى عصره ❊ وكذا الزمان يؤول للافساد
لمّا أراد اللّه فرقة شملنا ❊ وأذاقنا طعم الأسى عن زاد
قام النّفاق على أبي في ملكه ❊ فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فحازني امرؤ ❊ لم يأت في اعجاله بسداد
اذ باعني بيع العبيد فضمّني ❊ من صانني الّا من الأنكاد
وأرادني لنكاح نجل طاهر ❊ حسن الخلائق من بني الأنجاد
ومضى اليك يسوم رأيك في الرّضى ❊ ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبتي تعرّفني به ❊ ان كان ممّن يرتجى لسوادي
وعسى رميكية الملوك بفضلها ❊ تدعو لنا باليمن والاسعاد (1)

وبعد أن وصلت القصيدة الى أبيها وهو بأغمات مكبّل في سجنه ، ((واقع في شراك الكروب والأزمات)) سر هو وأمها الرميكية سرورا عظيما ، بعد ما علما أنها لاتزال على قيد الحياة — وقد انقطعت أخبارها منذ أن استولى المرابطون على قصر المعتمد الى أن كتبت اليهما فرأيا أن زواجها من ذلك الشاب أحسن أمنية لها في ذلك الظرف ، فوافقا على زواجها منه ، وكتب اليها أبوها هذا البيت يأذن لها فيه بالزواج وينصحها قائلا :

بنيتي كوني به برّه ❊ فقد قضى الوقت باسعافه (2)

ولم يصلني من شعر الأميرة بثينة غير هذه القصيدة الرقيقة ، ويبدو أن لبثينة أشعارا أخرى كثيرة كانت مشهورة بالمغرب ولم يبرز منها الا هذه القصيدة التي بين أيدينا (3) .

(1) النفح ، ج 4 ، ص : 284
(2) نفس المصدر ، و ، ن ، ص .
(3) الأدب الأندلسي ، ص : 170

وفي ختام حديثنا عن شاعرات الأندلس في هذه الفترة يجدر بنا أن نسجل الملاحظات التّالية :

1 — ان عدد الشاعرات في هذه الفترة كان كثيرا جدا بالقياس مع الفترة التي سبقتها ، وكذلك مع الفترة التي تلتهما .

2 — أما الأغراض الشّعرية التي قلن فيها ، فأكثرها كان الغزل والهجاء ووصف الطبيعة .

3 — ونلاحظ غلبة روح الاباحية والمجون على غزل شواعر الأندلس في هذه الفترة ، وكان ذلك يعبّر أصدق تعبير عن التهتك المزري الذي يلف المجتمع الاندلسي في تلك الفترة .

— وفي هذا العصر شاع بين شاعرات الأندلس ((الغزل بالمؤنث)) أو الجنسية المثلية[1]، وكان ذلك نتيجة اعتلال المجتمع الأندلسي بأسره .

4 — كما نلاحظ أيضا غلبة الفحش والبذاءة على هجائهن ، وكان ذلك بسبب ضعف الوازع الديني لديهن ، وكذلك كثرة المثالب والفجور والمفاسد في المجتمع الأندلسي في هذه الفترة .

5 — وكان شعر الشاعرات من حيث قيمته الفنية في مجمله جيدا في وصف الطبيعة وموفقا في الغزل ، وضعيفا جدا في الهجاء .

---

(1) انظر في بحثنا هذا ولادة وحمدونة .

الفصل الثالث :

الشعر النسوي الأندلسي
بعد
القرن الخامس

تمهيد :

يشمل هذا الفصل شعر النّساء في القرن السادس الهجري ،وتنقسم هذه الفترة من الناحية السياسية الى عصرين : عصر المرابطين ، وعصر الموحدين . وقد ظهرت حركة المرابطين ، ولأول مرة في التاريخ ، في النصف الأول من القرن الخامس الهجري في صحراء شنجيط بموريتانيا ((وترجع هذه الدولة بأصلها الى قبيلة لمتونة من برابرة صنهاجة في المغرب . وكان من سنتهم أن يضربوا لثاما على وجوههم فلقّبوا بالملثمين))(1) .

وكانت هذه الدولة في بداية الأمر حركة دينية تزعمها الفقيه عبد الله بن ياسين الجزّولي (2)، الذي جاء به يحيى بن ابراهيم ليعلم قبيلته الدين وأحكام القرآن لما رأى الجهل فاشيا بينها ((ثم مات يحيى فتفرق الناس عن الفقيه ، فلم يفتّ في عضده بل جمع فئة منهم واعتزل بهم في جزيرة من السنغال ، وابتنى لهم رباطا فسموا بالمرابطين))(3) وما لبثت أن نفذت تعاليم الفقيه الى قلوب البدو البسطاء ، وما لبث أن رفعه أولئك المسلمون الى أعلى مقام ، واتخذوه سيّدا وحاكما ، ثم دانت له بعد ذلك معظم قبائل الصحراء ، واجتمعت تحت لوائه بالاقناع تارة ، والسّيف أخرى (4) .

---

(1) بطرس البستاني : أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ، ص : 25

(2) نسبة الى جزولة احدى قبائل صنهاجة .

(3) بطرس البستاني : المرجع السابق ،ص : 25، وقيل سموا بالمرابطين لملازمتهم الثغور لدفع الأعداء ، أخذا من قوله تعالى : ((ياأيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)) (سورة آل عمران ، الآية : 200) وقيل سموا بذلك لملازمتهم رابطة الفقيه عبد الله بن ياسين (الدكتور محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، ص : 11، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، سنة 1980)

(4) الدكتور أسعد حومد : محنة العرب في الأندلس ، ص : 75

((وجعل عبد الله قيادة الجيش ليحيى بن عمر وكانت له زعامة في قبيلته لمتونة ، فابتدأت به دولة المرابطين سنة 443 هـ))[1].

ولما استشهد ابن ياسين زعيم المرابطين سنة 451 هـ خلفه أبو بكر بن عمر اللمتولي لكنه ما لبث أن سلم القيادة الى ابن عمه يوسف بن تاشفين سنة 453 هـ ، وكان يوسف رجلا مقداما واسع الذكاء بعيد النّظر طموحا ، فألف لنفسه جيشا كبيرا ، وعمل على توطيد دعائم الدولة المرابطية وتثبيت أركانها الأساسية ، فاتسع ملكه حتى شمل جميع شمالي افريقيا من تونس الى موريتانيا ومن ((مدينة أفراغة من ناحية شرق الأندلس الى مدينة أشبونة على البحر المحيط من الغرب ، ومن عدوة المغرب من جزائر بني فرغنان الى طنجة ، الى آخر السوس الأقصى الى جبال الذهب من بلاد السودان[2] وبنى مدينة مراكش واتخذها عاصمة له .

ولما كانت الأندلس تعيش في اضطراب شديد ، وتداني من تهديد ملوك الأسبان الذين كان همهم استرجاع البلاد والأقطار والقلاع، والاستيلاء على الثغور : كصاحب قشتالة وليون وبرشلونة ، ولما ساءت حالة المسلمين في الأندلس ولم يستطيعوا رد العدو رأوا أن يستنجدوا بيوسف بن تاشفين فاستدعاه المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية كما رأينا[3]، فأسرع لنجدتهم وانتصر على النصارى في وقعة الزلاقة ثم عاد الى مراكش لكنه وجد أن ملوك الطوائف لن يقووا على الصمود في وجه الأسبان بسبب تنافرهم وتنافسهم واقتتالهم فيما بينهم واستعانتهم بالأسبان لمحاربة بعضهم

---

(1) بطرس البستاني : المرجع السابق ، ص : 26

(2) محمد كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ، ج 2 ،ص : 472، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، سنة 1959 .

(3) أنظر : مقدّمة الفصل الثاني .

البحر فقرر يوسف خلع ملوك الأندلس وتوحيدها تحت حكمه فتم له ذلك ، وتوفي سنة 500 هـ ، وولي بعده ابنه علي الذي باشر أمور الأندلس ورتّب أحوالها ، واستمر في اجتياز البحر مرات عديدة الى الأندلس لغزو النّصارى الذين انتصر عليهم أكثر من مرة ، ولا صلاح الأمور بقرطبة ، وتوفي سنة 533 هـ ، فخلفه ولده تاشفين ، وكانت سلطة المرابطين قد بدأت تضعف ، فاستقل الأمير تاشفين أمر الأندلس بعد موت أبيه بسبب ما واجهه من حروب النّصارى الذين احتلوا كثيرا من المواقع الأسلامية ، وبسبب حروب المهدي زعيم الموحدين في المغرب فلحقته الهزائم تلو الهزائم ، وقد توفي تاشفين هذا سنة 539 هـ ، فخلفه ابنه ابراهيم ، ثم خلع وبويع اسحاق بن علي بن يوسف بالامارة ، وفي عهده احتل الموحدون مراكش عاصمة المرابطين سنة 542 هـ على أشهر الأقوال[1] ، وقضوا على حكمهم قضاء مبرما ، بعد ما حكموا في الأندلس نحو ستين سنة .

وما كاد الموحدون يظهرون حتى تفرقت الكلمة من جديد وأصبحت الأندلس دار البوار لتعدد الثوار والمغامرون الذين أعلنوا استقلالهم كلّ في بلده وناحيته[2] .

---

(1) أنظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج 3 ، ص : 301 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1980 .
وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 7 ، ص : 127 . وابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 5 ، ص : 231 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، 1935 .

(2) الدكتور احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي — عصر الطوائف والمرابطين ، ص : 39
وانظر : الدكتور أسعد حومد : محنة العرب في الأندلس ، ص : 75 .
والفتح بن خاقان : كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس القسم الأول ، تحقيق : هدى شوكة بهنام ، مجلة المورد ، المجلد العاشر ، العدد الثاني ، ص : 125 سنة 1401 هـ — 1981 م .

ونذكر أنّ الموحدين من دولة أخرى ترجع في نشأتها الى قبيلة مصمودة ((وهي قبيلة شديدة البأس كثيرة العدد[1]، حيث أعلن زعيمها أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت (485 ـ 524 هـ) الثورة على المرابطين في قرية ((تينمل)) ، وكانت حركته هو الآخر دينية سرعان ما تحولت الى حركة سياسية .

ونشأ محمد بن تومرت في جبل السوس في بلاد المصامدة ، وخرج منها سنة 501 هـ طلبا للعلم والتفقه في شؤون الدين ، فسافر الى الأندلس ثم رحل الى مصر وبغداد وقابل في بغداد الامام الغزالي وأخذ عنه العلم وأصول الدين ، ثم رجع الى وطنه سنة 510 ، وشرع يدعو الناس الى التمسك بالدين الحق ، وكان يتصف بالزهد والورع والتدين والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، فالتفّ حوله جمع كبير من تلامذته ومريديه ، ثم أخذ يهاجم الحكام المرابطين وينعي عليهم ترفهم وفجورهم ويدعو الناس الى الزهد والتقشف ، فاكتشف المرابطون أمره فلاحقوه ففر ، وعاد فكثر أتباعه وبايعوه وتلقب بالمهدي وسمى جماعته بالموحدين ، أي : الداعين الى وحدانية اللّه[2].

ولما كثر أتباعه دعاهم الى جهاد المرابطين ((وأباح لهم دماءهم ، فبايعوه على الموت . . . فراحو يغزون في بلاد المغرب ، ويوقعون بالمرابطين حتى بلغوا مراكش فحصروها ، ولكنها امتنعت عليهم ، ومات المهدي سنة 524 هـ . قبل أن يفتحوها ، وكان قد أوصى بعده لعبد المؤمن بن علي أحب صحابته اليه))[3] فخلفه وتابع جهاده ، وانتصر على المرابطين في معارك عديدة حتى تمكن أخيرا من دخول مراكش عاصمة دولتهم سنة 542 هـ[4].

---

(1) بطرس البستاني : أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ، ص : 29 ، دار المكشوف دار الثقافة . ط 6 ، بيروت . 1962م .

(2) الدكتور أحمد حرمد : محنة العرب في الأندلس ، ص : 75

(3) بطرس البستاني : المرجع السابق ، ص : 29 ـ 30

(4) أنظر بالتفصيل خبر افتتاح مراكش في كتاب البيذق : أخبار المهدي بن تومرت ص : 113 تحقيق عبد الحميد حاجيات ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1395، 1975م

وقتل أميرها اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، واتخذ مراكش عاصمة لدولة الموحدين .

وجاءته الوفود من الأندلس تبايعه وتستنجد به ، فجهّز جيشا ضخما من الموحدين بقيادة أبي حفص عمر اينتي ، وأجازه اليها فتساقطت على يده مدن الأندلس الواحدة تلو الأخرى في خلال السنوات الخمس بعد الأربعين وخمسمائة ، ولم تتأخر عن ذلك سوى مرسية وبلنسية التي ظلت تحت حكم محمد بن سعد بن مردنيش وجزائر ميورقة ومنورقة ويابسة التي بقيت تحت حكم محمد بن علي ابن غانية[1] .

وبعد ما أصبحت الأندلس للموحدين عبر عبد المؤمن بن علي البحر الى الأندلس سنة 555 هـ[2] ، واستولى على كثير من مدنها التي بقيت تحت حكم المرابطين ، وضمها الى ملكه ، وكان ذلك نهاية المرابطين في الأندلس[3] ثم قسمها اداريا وولّى عليها أولاده وأبناء عمومته ، فجعل ابنه يوسف واليا على اشبيلية ، وأعمالها ، وابنه الثاني عثمان على غرناطة وأعمالهما وأبا حفص عمر اينتي على قرطبة وأعمالها[4] ، ثم عاد عبد المؤمن بعد ذلك الى مراكش ليعد جيشا آخر يجتاز به الى الأندلس ليغزو به النصارى ، وعند ما كان في طريقه اليها توفي سنة 558هـ بمدينة سلا[5] ، فخلفه ابنه أبو يعقوب يوسف الذي حكم من سنة 558 — 580 هـ)

---

(1) الشعر في عهد المرابطين والموحدين : ، ص : 30

(2) ابن أبي صاحب الصّلاة — تاريخ المن بالامامة على المستضعفين : ص : 138
تحقيق الدكتور الهادي التازي . دار الحرية للطباعة — بغداد . سنة 1979م .

(3) الدكتور عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، ص : 107 .

(4) عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي — المختار من التراث العربي — من كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب ((دولة الموحدين)) ص : 103 . ونرمز له : بالمختار من كتاب المعجب اختيار وتقديم الدكتور أحمد بدر — مطبعة وزارة الثقافة — دمشق — 1978

(5) المصدر السابق ، ص : 118

وكان حسن السيرة عادلا متحريا الحق في أحكامه ، حريصا على أداء شعائر الاسلام ، مجاهدا في سبيل الله ، فنعمت الأندلس في عهده بالدعة والأستقرار والهدوء ، ونشطت في عهده حركة العمران ، وازدهرت الآداب والعلوم[1]، وتوفي سنة 580 هـ ، فخلفه ولده أبو يوسف يعقوب المنصور (580 — 595 هـ) وفي عهده بلغت دولة الموحدين أوج عزها وقوتها ، وقد اتصف بالشجاعة والعدل والتدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واقامة الحدود على القريب والبعيد وبسط الأحكام الشّرعية[2]، وكانت له مواقف مشهودة في جهاد الأسبان وقد حقق انتصارا باهرا عليهم في معركة الأرك (أركوش)[3]، قرب بطليوس سنة 591 هـ .

وتوفي أبو يوسف يعقوب المنصور سنة 595 هـ فخلفه ولده محمد الناصر الذي دام حكمه الى سنة 610 هـ ، وفي عهده مني الموحدون بهزيمة ساحقة سنة 609 هـ في معركة العقاب[4]، لم تقم للمسلمين بعدها قائمة في بلاد الأندلس ، وتولى بعد الناصر ملوك ضعفاء فبلغ عددهم بعد الناصر الى سقوط اشبيلية سنة 646 هـ سبعة ملوك[5]، وعاشت البلاد في هذه المرحلة حالة

---

(1) الشعر في عصر المرابطين والموحدين ، ص : 31 — 32

(2) اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج 3 ، ص : 479 ، حيدر أباد ، مطبعة المعارف ، سنة 133[illegible]هـ . والنفح ، ج 4 ، ص : 380 .

(2) بالاسبانية : [illegible]

(3) تعرف هذه المعركة عند الاسبان باسم : [illegible]

(4) هم : المستنصر (610 — 620 هـ) ، وعبد الواحد المستضيء (620 — 621 هـ)، وعبد الله العادل (621 — 624 هـ) ، ويحيى بن محمد الناصر (624 — 624 هـ) وادريس المأمون بن يعقوب (624 — 629 هـ) والرشيد بن المأمون (629 — 640 هـ) والسعيد بن المأمون (640 — 646 هـ) وفي سنة 646 هـ زال حكمهم من الأندلس وانحسر نفوذهم في المغرب فاستمر حتى سنة 668هـ حيث انتهى من المغرب أيضا على يد المرينيين . أنظر : ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص : 150 وما بعدها والشعر في عهد المرابطين والموحدين ، ص : 35

(5) المرجع السابق ، ص : 35 .

من الرّعب والتوجس والاضطراب [1]، فاستغل الفرصة ملوك الأسبان واستطاعوا أن ينتزعوا من المسلمين كثيرا من المدن والقلاع ، فاستولوا على قرطبة سنة 633 هـ[2]، وبلنسية في نفس السنة[3]، وجيان سنة 643 هـ[4]، وجزيرة شقر سنة 639 هـ وشاطبة سنة 645 هـ ، وأخيرا سقطت مدينة اشبيلية سنة 646 هـ.[5] وبسقوطها تنتهي دولة الموحدين في الأندلس ، ولم يبق بيد المسلمين بعد فترة قصيرة غير امارة غرناطة التي بقيت خاضعة لمحمد بن الأحمر (ت 671 هـ) والتي استطاعت أن تقف في وجه الأسبان نحو قرنين ونصف حيث زال ملك المسلمين نهائيا من الأندلس سنة 898 هـ — 1492م.

أما الحياة الفكرية في عهد المرابطين ، فقد اختلف الدارسون في الحكم عليها، فبعضهم يزعم أن المرابطين كانوا شعبا خشنا بدويا محاربا لم يأخذ بنصيب من رقة الحضارة وتهذيبها ، وهذا التحامل على المرابطين نجده خصوصا عند المستشرقين أو عند بعض الدارسين العرب الذين ساروا على منوالهم[6].

وبعضهم يرى أن عناية المرابطين بالثقافة والأدب نثره وشعره لم تكن دون عناية ملوك الطوائف بهما[7].

(1) الشعر في عهد المرابطين والموحدين . ص : 35
(2) النفح . ج 1 ص : 472
(3) المصدر السابق . ص : 469
(4) ابن الخطيب . تاريخ اسبانيا الاسلامية . ج 1 . ص : 272
(5) النفح . ج 1 . ص : 473
(6) من بين هؤلاء المتحاملين على المرابطين المستشرق يوسف أشباخ في كتابه تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين . ص : 433 وما بعدها .
ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1940
وانظر أيضا : رد الدكتور محمود علي مكي في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد : المجلدين 7و 8 . ص : 121 و 122 سنة 1959 / 1960 .
(7) أنظر: محمود علي مكي . المرجع السابق . ص : 123

من الرّعب والتوجس والاضطراب [1]، فاستغل الفرصة ملوك الأسبان واستطاعوا أن ينتزعوا من المسلمين كثيرا من المدن والقلاع، فاستولوا على قرطبة سنة 633هـ، [2] وبلنسية في نفس السنة [3]، وجيان سنة 643 هـ [4]، وجزيرة شقر سنة 639 هـ وشاطبة سنة 645 هـ، وأخيرا سقطت مدينة اشبيلية سنة 646 هـ [5] وبسقوطها تنتهي دولة الموحدين في الأندلس، ولم يبق بيد المسلمين بعد فترة قصيرة غير امارة غرناطة التي بقيت خاضعة لمحمد بن الأحمر (ت 671 هـ) والتي استطاعت أن تقف في وجه الأسبان نحو قرنين ونصف حيث زال ملك المسلمين نهائيا من الأندلس سنة 898 هـ — 1492م.

أما الحياة الفكرية في عهد المرابطين، فقد اختلف الدارسون في الحكم عليها، فبعضهم يزعم أن المرابطين كانوا شعبا خشنا بدويا محاربا لم يأخذ بنصيب من رقة الحضارة وتهذيبها، وهذا التحامل على المرابطين نجده خصوصا عند المستشرقين أو عند بعض الدارسين العرب الذين ساروا على منوالهم [6].

وبعضهم يرى أن عناية المرابطين بالثقافة والأدب نثره وشعره لم تكن دون عناية ملوك الطوائف بهما [7].

(1) الشعر في عهد المرابطين والموحدين. ص: 35
(2) النفح. ج 4 ص: 472
(3) المصدر السابق. ص: 460
(4) ابن الخطيب. تاريخ اسبانيا الاسلامية. ج 1. ص: 272
(5) النفح. ج 4. ص: 473
(6) من بين هؤلاء المتحاملين على المرابطين المستشرق يوسف أشباخ في كتابه تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين. ص: 433 وما بعدها.
ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1940
وانظر أيضا: رد الدكتور محمود علي مكي في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد: المجلدين 7 و 8. ص: 121 و 122 سنة 1959 / 1960.
(7) أنظر: محمود علي مكي. المرجع السابق. ص: 123

والواقع أن المرابطين في بداية اتصالهم بالأندلس رافقهم تسلط الفقهاء على الناس والتضييق عليهم الا أنهم سرعان ما تشبهوا بأهل الأندلس في التحضر وتقريب طبقة المثقفين ، وكان بعض الحكام المرابطين في الأندلس لا يختلفون عن ملوك الطوائف في شدة طربهم للشعر ، وضخامة أعطياتهم للشعراء، كحاكم سرقسطة[1]، الذي أنشد ((شعرا في مدحه وقد قصد للشراب ، فاستفزه الطرب ، وحلف ألّا يمشي الشاعر الّا من فوق المال الى منزله))[2] وقد اجتمع في بلاط المرابطين بمراكش من الكتاب وفرسان البلاغة وأقطاب العلوم ما لم يتفق اجتماعه في عصر من العصور ، حتى أشبهت حضرتهم حضرة بني العباس في صدر دولتهم[3]، وقد ازدهرت في عهد المرابطين الحركة العلمية والأدبية ، وظهرت في عهدهم أسماء لامعة في كل علم وفن أمثال : عبد الملك بن زهر الاشبيلي (ت 557 هـ) من أطباء العصر المشهورين وقد كتب كتابين طبيين للأمراء المرابطين ذاعا بين الناس وانتشرا[4]، وأبي بكر بن باجة السرقسطي المعروف بابن الصائغ (ت 533 هـ)[5]، الفيلسوف ، ولم يكن فيلسوفا فحسب وانما كان أيضا عالما وموسيقيا وأديبا ، ومن مشاهير المؤرخين والأدباء الفتح بن خاقان (ت 529 هـ)[6]، وابن بسام صاحب كتاب

---

(1) هو أبو بكر بن ابراهيم أبو يحيى الصحراوي صهر علي بن يوسف بن تاشفين انظر ترجمته في الاحاطة ، القسم الأول ، ص : 412 وما بعدها بتحقيق عنان .

(2) الاحاطة ج 1 ، ص : 415 ، وانظر كذلك . الدكتور أحمد بدر تاريخ المغرب والأندلس ، ص : 213 ، وكتاب مطمح الأنفس ، تحقيق هدى شوكة بهنام مجلة المورد ، ص : 126

(3) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، ص : 60
نقلا عن : محمد كرد علي ، غابر الأندلس وحاضرها ، ص : 90 مصر ، سنة 1923 .

(4) أحمد بدر ، تاريخ المغرب والأندلس ، ص : 219 نقلا عن ابن الزبير ، الذيل والتكملة القسم الأول ، ص : 12 — 19 ، وابن أبي أصيبعة ، طبقات الأطباء ج 2 ، ص : 66

(5) انظر عنه : ابن سعيد ، المغرب ج 2 ، ص : 119 . المقري ، النفح ، ج 7 ، ص : 17 وما بعدها ، الحنبلي ، شذرات الذهب ج 4 ، ص : 104 — الاصفهاني — الخريدة ، ج 2 ، ص : 332 وما بعدها

(6) انظر عنه : ابن سعيد المغرب ، ج 1 ، ص : 259 ، عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة السفر الخامس ، ص : 529 تحقيق الدكتور احسان عباس ، العماد الأصفهاني ج 2 ، ص : 104 وما بعدها ، الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج 4 ، ص : 107

((الذخيرة)) (ت 542 هـ)[1]، وابن أبي الخصال السرقسطي صاحب المقامات اللزومية[2]، وابن قزمان صاحب الأزجال الشهيرة (ت 554هـ)[3]، وغيرهم كثير من علماء الفقه واللغة والنحو[4] . . .

وكانت المرأة في عصر المرابطين تتمتع بنصيب وافر من الحرية بوأها لأن تتدخل في كثير من الشؤون الاجتماعية والسياسية ، وأن يكون لها رأي مسموع فيهما[5] ، ونتيجة لذلك ظهرت قصائد مدح النساء ورثائهن وذلك لما يكنه الرجل للمرأة من احترام ، وفي المجال الأدبي نلمس ارتفاع صوتها وحريتها في التعبير عن شاعرها بصراحة ، في مجالس تعقدها مع شعراء العصر وتتفوق عليهم في بعض الأحيان ، كالمجالس الأدبية التي سجلتها المصادر العربية للشاعرة نزهون بنت القلاعي مع الشاعر الأعمى المخزومي وابن قزمان والكتندي والوزير أبي بكر بن سعيد وكذلك حمدونة وأختها زينب الشاعرتان[6]، ومما تقدم يمكن أن نقول أن هذه الفترة كانت امتدادا للنهضة الفكرية والأدبية التي ازدهرت في عهد ملوك الطوائف[7].

---

(1) انظر عنه : المغرب ، ج 1 ، ص : 266 ، 417 ، النفح ، ج 3 ، ص : 132، وج 7 ، ص : 33

(2) انظر عنه : النفح ، ج 3 ، ص : 134 ، 263 ، 455 ، 519 ، 502 .

(3) انظر : مقدمة الفصل الثاني .

(4) انظر : الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، ص : 93 وما بعدها .

(5) المرجع السابق ، ص : 49 نقلا ، عن النويري ، نهاية الأرب ، ج 2 ، ق 2 ، ص : 30 و 34 ، وليفي بروفنسال ، الاسلام في المغرب والأندلس ، ص : 299 .

(6) وقد درسنا هؤلاء الشاعرات مع شواعر القرن الخامس ، لأنهن عشن العصرين .

(7) الدكتور جودت الركابي — في الأدب الأندلسي ، ص : 56 .

ثم جاء عصر الموحدين فازدهرت الحركة العلمية والأدبية ، وأعطيت الحرية لكل صوت يخدم الانسان والدين . ولكل افراز ذهني بشتى ألوانه وأشكاله [1]، وتلك الحرية الفكرية أفرزت عددا هاما من الأطباء والفلاسفة والفقهاء والأدباء وعلماء اللغة والنحو [2] .

فقد كان ابن رشد (ت 595 هـ) شيخ أئمة الفلسفة في الأندلس [3]، وكذلك ابن طفيل (ت 581 هـ) الفيلسوف المشهور [4]، وأمثالهما من العلماء يترددون على المجالس سواء داخل القصر أو خارجه بل انهم كانوا يشاركون في المغازي والحملات [5]، ومن مشاهير الأدباء في هذا العصر : أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت 578هـ) صاحب كتاب الصلة [6]، وأبو بحر صفوان بن ادريس التجيبي المرسي (ت 598 هـ) صاحب كتاب زاد المسافر [7]، وأبو علي بن الحسن بن دحية الكلبي (ت 633 هـ) [8] [9] وابن الأبار (ت 658 هـ) [9]، وعلي بن سعيد (ت 685 هـ) [10]، وغيرهم ،

---

(1) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، ص : 64

(2) انظر : ابن صاحب الصلاة . المن بالامامة ، ص : 30 وما بعدها ، والشعر في عهد المرابطين والموحدين ، ص : 65 وما بعدها ، وفي الأدب الأندلسي ، ص : 55و57

(3) انظر :المراكشي ، من كتاب المعجب . . ص : 120 ــ 130، المغرب ج 1، ص : 134 شذرات الذهب ج 4،ص : 320 ،عباس محمود العقاد ــ ابن رشد ، دار المعارف بمصر ــ 1957 .

(4) انظر عنه :المراكشي ــ من كتاب المعجب ، ص : 124 وما بعدها المغرب ، ج 2ص: 35 ابن الأبار المقتضب ، 125 ،يوسف أشباخ ــ تاريخ الأندلس ، ص : 500

(5) تاريخ المن بالامامة ، ص : 51

(6) انظر عنه :شذرات الذهب ، ج 4، ص : 261 ، وابن قنفذ القسنطيني ــ كتاب الوفيات ص : 220 وابن الأبار التكملة ، ج 1 ، الترجمة رقم : 231

(7) انظر ترجمته في مقدمة زاد المسافر ــ والمقتضب ، ص : 135 .

(8) انظر عنه :شذرات الذهب ، ج 5، ص : 160 ،والنفح ج 2 ، ص : 99 وما بعدها .

(9) انظر عنه : المغرب ، ج 2 ، ص : 309 ، والنفح ، ج 2، ص : 539 وما بعدها، وشذرات الذهب ، ج 5 ، ص : 275 .

(10) انظر عنه : المغرب ج 2،ص : 172 ، والمراكشي ــ الذيل والتكملة ، 411/5 والنفح ، ج 1 ص : 693 ، وج 2 ، ص : 262، وما بعدها والسيوطي ، بغية الوعاة ، ص : 357

ومن النّساء الشاعرات اللائي اشتهرن في عصر الموحدين أسماء العامرية والشلبية وحفصة الركونية وسعدونة ، ولم تكن المرأة الأندلسية في هذا العصر شاعرة فحسب بل كانت عالمة وطبيبة ومعلمة ، فكانت أم العلاء العبدرية تعلم القرآن بغرناطة ، وأم العز العبدرية كانت مجودة بالسبتورت عن أبيها صحيح البخاري ، وغيرها (1)، وكانت المرة تتمتع بمكانة مرموقة في عهد الموحدين ونستدل على ذلك بآراء ابن رشد فيلسوف الموحدين الذي عاب على المشارقة حرمانهم المرأة من تمتعها بقواها الانسانية ويرى أن طبيعة النساء تشبه طبيعة الرجال ، ولكنهن أضعف منهم في الاعمال البدنية ، فطالب باعطائهن حرية التفكير وافساح المجال لهن بالعمل (2)، ولعل هذه النظرة للمرأة هي التي شجعت الشعراء على رثاء زوجاتهم وبكائهن بحرارة دون خجل ، وهذه الظاهرة موجودة من قبل لكنّها توسعت في هذا العصر ، وخير مثال على ذلك رثاء ابن جبير زوجه أم المجد بديوان شعر كامل من منظوم وموشح (3)، ونستدل أيضا على حرية المرأة في هذا العصر من صراحتها في علاقاتها الغرامية من الرجل وجرأتها في ممارسة العشق دون خجل أو خوف من القيود الاجتماعية كما عند شاعرتنا حفصة الركونية التي سنفصل الحديث عنها فيما يلي :

---

(1) انظر : عبد العزيز عبد الله — المرأة المراكشية في الحقل الفكري ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، ص : 271 وما بعدها المجلد السادس ، العدد : 1 — 2 سنة 1958

(2) أحمد أمين ، ظهر الاسلام ، ج 3، ص : 257 دار الكتاب العربي، بيروت ،ط 5، 1969

(3) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، ص : 51 ، وعبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة ، 5 / 507 . تحقيق الدكتور احسان عباس دار الثقافة — بيروت ، سنة 1965 م .

حفصة بنت الحاج الركونية :

شاعرة أديبة من شواعر وأديبات غرناطة وتنسب الى ركانة (1)
ويبدو لنا من هذه النسبة أنها ليست من غرناطة أصلا ، وانما جاءتها صغيرة ، أو جاءها أبوها أو أسلافه من قبل ، وهذا لأن المؤرخين لم يقدموا لنا معلومات ولو يسيرة عن طفولتها وصباها ، ولا نعرف متى ولدت ، غير أن الدكتور الطاهر أحمد مكي في كتابه دراسات أندلسية — يرى أن ولادتها كانت في حدود (530 هـ — 1135م) ، وأنها ولدت في غرناطة ونشأت فيها(2) .

ويبدو أن تحديد الدكتور الطاهر أحمد مكي لتاريخ ميلادها ومكانه كان افتراضا منه ليس الا ، لأن المصادر التي بين أيدينا ، والتي أرخت لحياة حفصة لم تذكر تاريخ ميلادها ولا مكانه ، صحيح أننا نعرف تاريخ وفاتها وهو سنة 586 هـ ، لكن معرفة تاريخ الوفاة لا يعيننا كثيرا على معرفة تاريخ الولادة ، وما دام الدكتور مكي لم يقدم لنا حججا ترجح هذا التحديد فنحن لا نؤيده ، وذلك لأن ولادتها قد تكون قبل تلك السنة أو بعدها .

أما ولادتها في غرناطة فليس لدينا ما يرجح ذلك ، ونسبتها الى ركانة أو ركونة تجعلنا نرجح ولادتها فيها ، ثم جاءت صغيرة مع أبيها الى غرناطة فنشأت وتعلمت فيها ، وبذلك تكون ركونية المولد غرناطية المنشأ .

---

(1) وهي بلدة أندلسية قديمة تقع على بعد 90 كلم الى الشرق من بلنسية ، وهي منطقة ذات طبيعة ساحرة ، وخضرة ممتدة ، كانت ولا تزال (الدكتور الطاهر أحمد مكي : دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ص : 91 ، دار المعارف ، القاهرة ط 1 سنة 1980 ،
ونرمز له بدراسات أندلسية)

(2) المرجع السابق ، ص : 91

ومهما يكن من أمر فقد عاشت شاعرتنا في القرن السادس الهجري في غرناطة، وعاصرت دولة المرابطين والموحدين إلا أنها اشتهرت في عهد الموحدين، وكانت ذات جمال وحسب وثراء وبديهة وسرعة خاطر، يقول عنها لسان الدين بن الخطيب: ((فريدة الزمان في الحسن، والظرف، والأدب واللوذعية))[1]، ويقول عنها أبو القاسم الملاحي: ((كانت أديبة نبيلة، جيدة البديهة، سريعة الشعر))[2]* ويقول عنها ابن دحية في كتابه ((المطرب من أشعار أهل المغرب)): ((من أشراف غرناطة، رخيمة الشعر، رقيقة النظم والنثر))[3]

لكنه لم يصلنا شيء من نثرها، ولعله ضاع مع ما ضاع من التراث الأندلسي المجيد، ووصلنا شعرها، وعلى قلته فهو يفوق ما وصلنا لأية شاعرة أندلسية أخرى. وتعتبر حفصة أشهر شواعر الأندلس على الاطلاق، وذلك بما تمتلكه من مواهب وبما كانت عليه من قوة الشاعرية والفصاحة والجرأة في مواجهة المواقف، ولم تشتهر حفصة لكونها شاعرة مجيدة فحسب، وإنما اشتهرت أيضا بعلاقتها مع الشاعر الوزير أبي جعفر ابن سعيد الذي هام بها حبا وبادلته نفس الهيام، وقبل أن نواصل الحديث عن شاعرتنا لابد أن نعرف بحبيبها الذي نظمت أغلب شعرها فيه وهو:

أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد، كان شاعرا رقيقا وأديبا ناثرا، وقد اعتبر أشعر بني سعيد بل أشعر أهل بلده، وكان صاحب لهو وحياة وفلسفة تنم عن أبيقورية متمكنة، ولما أستقل والده بقلعة تهم حين ثار أهل الأندلس بسبب صولة بني عبد المؤمن على الملثمين، أتخذه والده وزيرا واستنابه في أموره فلم يصبر على ذلك، واستعفى فلم يعفه،

---

(1) الاحاطة، ج 1، ص: 493
(2) نفس المصدر، ص: 499
(3) عن عمر رضا كحالة: أعلام النساء، ج 1، ص: 257

وعتب عليه أن يركن الى الرّاحة في مثل هذه اللحظات الحاسمة ، فكتب اليه الابن يقول :

مولاي في أيّ وقت	أنال في العيش راحه
ان لم أنلها وعمري	ما ان أنار صباحه
وللملاح عيون	تميل نحو الملاحه

الى أن يقول :

شاغلني وأقلني	مما رأيت صلاحه
ما في الوزارة حظ	لمن يريد ارتياحه
كلّ وقال وقيل	ممن يطيل نباحه
أنسي أتى مستغيثا	فاترك فديت سراحه

فلما قرأ أبوه الأبيات رأى ألّا يكلفه بما ليس مهيئا له ، ثم وقع على ظهر ورقته : ((قد تركنا سراح أنسك ، وألحقنا يومك بأمسك)) ولما استقر الأمر للموحدين وجمع ثوار الأندلس الى عبد المؤمن الخليفة الموحدي ، أرسل ابنه السيد أبا سعيد أميرا على غرناطة ، فطلب هذا كاتبا من أهلها ، فوصف له فتى أبي جعفر وحسبه وأدبه ، فولاه الوزارة ، فطلب أبوجعفر أن يعفيه فأبى ، فضاق بالمنصب وكره أن يكون كاتبا لمن يرى نفسه أحسن منه ، وطوى نفسه على مضض ، الى أن خرج ذات يوم مع رفقة له الى الصيد ، وكان اليوم غائما وبادرا ولما اشتد البرد مالوا الى خيمة حارس البستان ، وجعلوا يصطلون ويشربون على ما اصطادوا ، فحملت أبا جعفر بقية سكر على أن يصف يومه ويبوح بما في طوايا نفسه ، فقال :

ويوم تجلّى الأفق فيه بعنبر	من الغيم لذنا فيه باللهووالقنص
وقد بقيت فينا من الأمر فضلة	من السكر تغرينا بمنتهب الفرص
ركبنا له صبحا وليلا ، وبعضنا	أصيلا ، وكل ان شدا جلجل رقص
وشهب بزاة قد رجمنا بشهبها	طيورا يساق اللّهو ان شكت الغصص

ويختتم الأبيات بقوله :

فقل لحريص أن يراني مقيّدا ... بخدمته لا يجهل الباز في القفص

وما كنت الا طوع نفسي فهل أرى ... مطيعا لمن عن شأ وفخري قد نقص

فكان في رفاقه من حفظ هذين البيتين ووشى بهما الى السيد أمير غرناطة ، فعزله عن منصبه أسوأ عزل ، ثم بلغه بعد ذلك أنه قال لحفصة : ((ما تحبين في ذلك الأسود وأنا أقدر أن أشتري لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه)) ، وكان لونه مائلا الى السّواد ، فأسرها في نفسه الى أن انتهز فرصة تمرد محمد بن مردنيش شرق الأندلس وانضمام أحد أفراد أسرة بني سعيد اليه ، وهو عبد الرحمن بن عبد الملك ، فيلقي القبض عليهم جميعا ، ومن بينهم أبو جعفر ، وقتله صبرا في مدينة مالقة عام (559 هـ — 1163 م)[1].

ومن أشعار حفصة وأبي جعفر نعرف أن المودة بينهما كانت قوية ، لكن لذة الحب والوصال ونعيم اللحظات الهنيئة التي تحققت لهما أثناء الخلوات العذبة التي سجلاها في شعرهما بكل صدق وواقعية لم تدم لهما صافية عندما دخل السيد ابو سعيد بن عبد المؤمن أمير غرناطة في صراع مع أبي جعفر في حب حفصة منافسا أياه في هواها وكان الأمير منافسا قويا من حيث السلطة والقوة ولكنه لم يكن كذلك من حيث الجمال والعقل والشعر[2]، ويبدو أن هواه لحفصة كان رغبة مكتومة منه في أن يكيد لأبي جعفر ، اذ لم

---

(1) باختصار عن ، الدكتور الطاهر أحمد مكي : دراسات أندلسية ، ص : 93 وما بعدها ،
ونفح الطيب ، ج 4 ص : 179 وما بعدها
والاحاطة ، القسم الاول ، ص : 222 وما بعدها .
والمغرب ج 2 ص : 164 وج 1 ص : 2

(2) الدكتور مصطفى الشكعة : الأدب الاندلسي ... ص : 220

يكن للأمير في مجال الشعر العاطفي ما يشده الى هذه الشاعرة الغرة ، ولم يكن له في مجال الفكر مايعجبه من آرائها المتحررة ، وكان له في سيل الجواري المتدفق على غرناطة مندوحة الى الأنثى لو أراد [1]، وقد زاد حقد الأمير على أبي جعفر لما بلغه أنه قال لحفصة يوما : ((ما تحبين في ذلك الأسود ، وأنا أقدر أن أشتري لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه))[2]، كما مر .

ولم تكن حفصة تهوى الأمير ولكنها كانت تجامله وتترضاه ، فقد كتبت اليه تهنئه بالعيد فقالت :

ياذا العلا وابن الخليـ	ـفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى	فيه بما تهوى القضا
وأتاك من تهواه في	قيد الانابة والرضا
ليعيد من لذاته	ما قد تصرم وانقضى[3]

ويبدو من خلال الأبيات أن الشاعرة اضطرت اضطرارا لتهنئة الأمير ومدحه خوفا من سلطته ، فهي تناديه ((ياابن الخليفة)) ، ثم تقول له : بأن العيد قد أتاه وأتى معه من يهواه منيبا راضيا ، ليعيد ما تصرم من لذاته وانقضى ؟ ولكن لننظر الى كلمة تهواه)) في البيت الثالث بضمير المخاطب ، بمعنى أن الأمير يهوى شاعرتنا ، ولكن أين هي من هذا الهوى ؟ لقد صمتت تماما[4].

---

(1) الدكتور الطاهر أحمد مكي : دراسات أندلسية ، ص : 97

(2) ابن سعيد : المغرب ج 2 ص : 154 ، والنفح ج 4 ص : 131

(3) ابن سعيد : المصدر السابق ، ص : 139 ، والنفح ج 4 ص : 177

(4) أنظر : مكي : دراسات أندلسية ، ص : 98

أمّا علاقتها مع أبي جعفر فقد كانت علاقة حبّ شديد وولـه عنيف ، فكلاهما شاعر يطرب للشعر الجميل ،ولذلك فمن السّهولة بمكان أن يلتقي شاعر بشاعرة في مجتمع يجل الشعر والشعراء ، ويهزه الانشاد الجميل [1]، والحقيقة أنّنا لا نعرف متى التقيا ؟ ولكننا من خلال أشعارهما نستنتج أنّهما التقيا وهما لا يزالان في ريعان الشباب ، لقد كتبت حفصة الى أبي جعفر هذين البيتين الجميلين تهنئه بهما عندما تولّى الوزارة ، قائلة :

رأست فما زال العداة بظلمهم ... وعلمهم النّامي يقولون ما رأسر

وهل منكر أن ساد أهل زمانه ... جموح الى العليا حرون عن الدّنسر [2]

لقد وجدت شاعرتنا في أبي جعفر فتى أحلامها ، فاندفعت نحوه ، وبسطت له حبل الهوى في جرأة لم تعهدها في المرأة العربية ، فهي عند ما تريده تطلب منه أن يزورها فان لم يفعل جاءته هي زائرة ، وقد أثارت فيه شوقا ولهفة اليهما بما قدّمته له من أوصاف لجمالها ، فثغرها مورد عذب زلال ، وذؤابة شعرها ظل ظليل ، ثم تبعث له بهذه الأبيات :

أزورك أم تزور فانّ قلبي ... الى ما تشتهي أبدا يميل

فثغري مورد عذب زلال ... وفرع ذؤابتي ظلّ ظليل

وقد أمّلت أن تظما وتضحى ... اذا وافى اليك بي المقيل

فعجّل بالجواب فما جميل ... اباؤك عن بثينة يا جميل [3]

لقد خرجت حفصة على تقاليد المرأة العربية ، فالمرأة مهما لج بها العشق ، ومهما عذبت بها الصبابة ، فانه يجمل بها ولو من باب المراعاة لجنسها ، ألّا تبوح بمكنون فؤادها ، وأن تكون مطلوبة لا طالبة ، ومرغوبة لا راغبة ، وأن تتظاهر بكونها

---

(1) المرجع السابق ، ص : 94

(2) النّفح ج 4 ص : 176 .

(3) النفح ج 4 ،ص : 173 ، وابن سعيد : المغرب ج 2،ص : 155

معشوقة لا عاشقة ، غير أن حفصة ضربت بكل ذلك عرض الحائط [1]، ((فالأدب العربي عرف المرأة مطلوبة لا طالبة ، وموصوفة لا واصفة ، مهبط آمال الشعراء ومناط غايتهم ، غير أن الأدب الاندلسي تميّز بخاصية أن تكون المرأة من الشاعر أو من المحب بعامة ما كان الشاعر أو المحب منها في المشرق ، تبوح بمكنون فؤادها ، وتستوحش لحالات صفوها ، وتتغزل فيمن تحب ...[2]، وأمام اغراء شاعرتنا لمعشوقها واستعجاله بالجواب ، ردّ عليها بعد أن وصلته أبياتها بهذين البيتين الجميلين :

أجلكم ما دام بي نهضة　　عن أن تزوروا ان وجدت السبيل
ما الروض زوّارا ولكنّما　　يزوره هبّ النسيم العليل [3]

وعلق أحد النقاد القدامى على أبيات حفصة السالفة الذكر ، فقال :
تشبه أبيات حفصة هذه أبيات سلمى بنت القراطيسي من أهل بغداد ، وهي :

عيون مها الصّريم فداء عيني　　وأجياد الظّباء فداء جيدي
أزين بالعقود وانّ نحري　　لأزين للعقود من العقود
ولا أشكو من الأوصاب ثقلا　　وتشكو قامتي ثقل النّهود [4]

وصحيح أن هناك تشابها بين أبيات حفصة وسلمى من حيث الجمال والصور ، فكلتا الشاعرتين تفخر بجمالها وتزهو بأنوثتها ، والفرق بين الشّاعرتين هو أنّ حفصة توجه أبياتها لمعشوقها أبي جعفر لاغرائه واثارته ، بينما سلمى لا توجه كلامها لشخص بعينه ، وانما تعتز رونق بهجتها وجمالها .

---

(1) الدكتور مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي ... ص : 225
(2) الدكتور الطاهر أحمد مكي : دراسات أندلسية ، ص : 37 . ويلاحظ أيضا تلك الظاهرة عند بعض الجواري المشرقيات في العصر العباسي غير أنها أقل اباحية مما نجده عند شواعر الأندلس ، أنظر الدكتور عبد الرءوف مخلوف : ابن رشيق ونقد الشعر ... ص : 442 الى ص : 450 ، نشر وكالة المطبوعات الكويت ، ط. 1 ، سنة 1973 م .
(3) ابن سعيد : المغرب ، ج 2 ص : 165 .
(4) النفح ، ج 4 ص : 173

ووجد السبيل أبو جعفر للزيارة التي وعد بها وتحققت لهما خلوة ذاقا فيها عذب اللقاء والوصال ، وها هي ذي شاعرتنا تصف لنا نعيم تلك اللحظات التي رشفت فيها ريقا أرق من الخمر من بين ثنايا حبيبها ، وهي تقول ذلك عن تجربة مداشة، ولا تكذب فيما تقول ، ولم تنتزع ذلك من خيالها ، فلنستمع اليها وهي تنشد :

ثنائي على تلك الثنايا لأنني   أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها لا أكذب الله أنني   رشفت بها ريقا أرقّ من الخمر(1)

لقد فاقت حفصة أية شاعرة أخرى في جرأتها في الهجوم على معاني العشق والهيام ، فهي تصرح ولا تلمح ولا تكني ، ((انّ غزلها بالرّجل قد فاق غزل الرجل بالنساء))(2) ، ولم تقف حفصة عند هذا الحد وانما تتعداه ، فهي تسمح لنفسها بزيارته في بيته ، دون موعد ، وصادف ذلك أن كان أبو جعفر مع جماعة من أصدقائه يسمرون ، واذا بالباب يطرق ، فخرجت جاريته تنظر من الطارق ، فوجدت امرأة ، فقالت لها : ما تريدين ؟

فقالت : ادفعي لسيدك هذه الرقعة .

فجاءت بالرقعة لسيدها ، واذا بها أبيات من الشّعر تقول فيها :

زائر قد أتى بجيد الغزال   مطلع تحت جنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت   ورضاب يفوق بنت الدّوالي
ما ترى في دخوله بعد اذن   أو تراه لعارض في انفصال(3)

(1) النفح ج 4 ، ص : 173 ، نقلا عن المطرب لابن دحية .
(2) د. الشكعة ، الأدب الأندلسي ، ص : 223
(3) المغرب ج 2 ، ص : 139، والنفح ج 4 ،ص : 179

ولما فرغ من قراءتها هرع الى الباب يستقبلها والفرحة تغمره ، وقد علم أبا حفصة حبيبته ، — وعلى رواية لسان الدين بن الخطيب[1] — فلم يجدها فقد عادت ، فكتب اليها راغبا في الوصال والأنس الموصول :

أبى شغل عن الحبيب يعوق	ياصاحبا قد آن منه الشّروق
صل وواصل فأنت أشهى الينا	من جميع المنى فكم ذا تشوق
بحياة الرّضا يطيب صبوح	عرفا ، ان جفوتنا أو غبوق
لا ، وذلّ الهوى وعزّ التّلاقي	واجتماع اليه عزّ الطّريق[2]

غير أنّ علاقتها قد أصيبت بفتور عند ما بلغ حفصة أنّ حبيبها أبا جعفر قد علق بجارية سوداء ، وأنّه اعتكف معها أياما وليالي ، بظاهر غرناطة ، فكتبت اليه تعاتبه ، وتذم معشوقته السوداء والتي شبهتها بحديقة خالية من النور والزهر ، فقالت :

يا أظرف النّاس قبل حال	أوقعه نحوه القدر
عشقت سوداء مثل ليل	بدائع الحسن قد ستر
لا يظهر البشر في دجاها	كلّا ولا يبصر الخفر
باللّه ، قل لي ، وأنت أدرى	بكلّ من هام في الصّور
من الذي هام في جنان	لا نوّار فيه ولا زهر[3]

فحفصة عاتبت أبا جعفر لأنه تعلق بجارية سوداء ، وهي هنا تشبه ولادة تماما التي عتبت ابن زيدون من قبل على أنّه مال الى جاريتها السوداء ، ونلاحظ أن حفصة وولادة يلتقيان في كثير من الجوانب فكلتاهما شاعرتان مرموقتان في عصرهما ،

(1) الاحاطة 1/501 ، بينما المقري يقول بأنّه قابلها بما يقابل به من يشفع له حسنه وأدابه والغرام به ، وتفضله بالزيارة دون طلب في وقت الرغبة في الأنس به (النفح ج 4 ، ص : 179)

(2) الاحاطة 1 / 501

(3) الاحاطة 1 / 500

وكلتاهما عشقت شاعرا وزيرا ، فحفصة تعلقت بالشاعر الوزير أبي جعفر ، وولادة ارتبطت بالشاعر الوزير ابن زيدون ، وكلا الشاعرين الوزيرين وجد منافسا في حبه ، غير أن أبا جعفر كان أكثر حظا في حبه من ابن زيدون ، وذلك لأن حفصة كانت تحبه فعلا ، فكان معشوقا أكثر منه عاشقا ، أما ابن زيدون فبالعكس كان عاشقا أكثر منه معشوقا فولادة كانت امرأة متعجرفة عنيدة تتصرف كأميرة حتى مع حبيبها ، ولذلك نجدها فظة حتى في عتابها ، فعتب ولادة فيه خشونة ورعونة ، أما عتب حفصة ففيه لطف ولباقة ، ولم يدافع أبو جعفر التهمة الموجهة اليه ، وانما كتب الى حفصة يعتذر :

لاحكم الا لآمر ناه | له من ذنبه معتذر
له محيا به حياتي | أعيذ مداه بالسور
كصبحة العيد في ابتهاج | وطلعة الشمس والقمر
بعده لم أصل اليه الا | اطرافا له خبر
عدمت صبحي فاسود عشـ | ـقي وانعكس الفكر والنظر
ان لم تلح يا نعيم روح | ـي فكيف لاتفسد الفكر (1)

وتصفح عنه حفصة ، وتعود المياه الى مجاريها ، فتكتب اليه لتقول له بأنها تغار عليه من الرقيب ، ومن نفسه ، ومن زمانه ومكانه ، فهي تحس بأن هذه الأشياء تقاسمها حبيبها ، فلا تجد مكانا مناسبا تخبئه فيه الى يوم القيامة غير عيونها :

أغار عليك من عيني رقيبي | ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أني خبأتك في عيوني | الى يوم القيامة ما كفاني (2)

---

(1) المصدر السابق ص : 500 — 501

(2) الحميدي — معجم الأدباء 227/10 ، والنفح 176/4

فالبيتان جميلان ، وقد علّق عليهما الدكتور الطاهر أحمد مكي ، فقال : ((هما من أجمل ما عرف الأدب العربي تصويرا لهذه الفكرة))(1) .

وعندما لم تجد فرصة لزيارة معشوقها تبعث إليه بشعرها لينوب عنها في الزّيارة فتكتب له :

سار شعري لك عني زائرا فأعر سمع المعالي شنفه
وكذاك الروض إذ لم يستطع زورة أرسل عنه عرفه (2)

ولما وصل البيتان إلى أبي جعفر ، أجابها :

قد أتانا منك شعر مثلما أطلع الأفق لنا أنجمه
وفم فاه به قد أقسمت شفتي بالله أن تلثمه (3)

ويبدو أنّ حبيبها أبا جعفر قد نزح عنها لبعض الوقت فترسل له سلامها عبر هذه الأبيات الرّقيقة التي تعبر له فيها عن تعلقها به رغم البعاد :

سلام يفتّح في زهره الـ كمام وينطق ورق الغصون
على نازح قد ثوى في الحشا وإن كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا البعد ينسيكم فذلك والله ما لا يكون (4)

ويعود الحبيب الغائب ، ويجتمع الحبيبان ، وتكثر لقاءاتهما ، فيبيتان مرة في بستان ((بحور مؤمّل))(5) ، قرب غرناطة ، فيقضيان ليلة بين أحضان الطبيعة الساحرة ، ولما حان وقت الافتراق كتب إليها أبو جعفر هذه الأبيات سجل فيها انطباعاته عن تلك الليلة ، فقال :

رعى الله ليلا لم يرح بمذمّم عشيّة وارانا بحور مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريجة إذا نفحت هبّت بريّا القرنفل

(1) دراسات أندلسية ص : 97
(2) النفح ج 2 ص : 165
(3) المصدر السابق نفس الصفحة
(4) النفح ج 4 ص : 175 ، والمغرب ج 2 ص : 139
(5) في الإحاطة ، 1/499 (حوز مؤمل)

وغرّد قمريّ على الدّوح وانثنى   قضيب من الرّيحان من فوقه جدول

يرى الرّوض مسرورا بما قد بدا له   عناق وضمّ وارتشاف مقبّل (1)

فكتبت اليه حفصة تجيبه ، لكنها لم تكن متفائلة مثله ، فهي تخشى الغيرة والحسد :

لعمرك ما سرّ الرياض بوصلنا   ولكنّه أبدى لنا الغلّ والحسد

ولا صفّق النّهر ارتياحا لقربنا   ولا غرّد القمريّ الّا لما وجد

فلا تحسن الظّنّ الذي انت أهله   فما هو في كلّ المواطن بالرّشد

فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه   لأمر سوى كيما تكون لنا رصد (2)

وصدق احساس حفصة ، لقد اقتحم عليهما عالم حبهما السيد أبو سعيد عثمان ابن عبد المؤمن أمير غرناطة ، ودخل في صراع مع أبي جعفر على حب حفصة ، فنغص عليهما حبهما الجميل ، فخافت حفصة على أبي جعفر من بطش الأمير ، فابتعدت عنه قدر شهرين دون أن تلبي له طلبه في الاجتماع بها ، فكتب اليها يناجيها ويبثها لواعجه وشوقه :

يامن أجانب ذكر اسـ   ـمه وحسبي علامه

ما ان أرى الوعد يقضي   والعمر أخشى انصرامه

اليوم أرجوك لا أن   تكون لي في القيامة

لو قد بصرت بحالي   واللّيل أرخى ظلامه

أنوح وجدا وشوقا   اذ تستريح الحمامه

صبّ أطال هواه   على الحبيب غرامه

لمن يتيه عليه   ولا يرد سلامه

ان لم تنيلي أريحي   فاليأس يثني زمامه (3)

---

(1) الاحاطة 1/ 499 ، والنفح 4/ 177

(2) الاحاطة 1/ 500 ، والنفح 4/ 177 ــ 173

(3) النفح 4/ 173 .

أجابته بهذه الأبيات من نفس البحر والقافية :

يا مدّعي فيه الحسـ ... ن والغرام الامامة
أتى قريضك لكن ... لم أرز منه نظامه
أمدّعي الحبّ يثني ... بأمر الحبيب زمامه
ضللت كلّ ضلال ... ولم تفدك الزعامة
ما زلت تصحب مذكنـ ... ت في السّباق السّلامة
حتى عثرت وأخجلـ ... ت بافتضاح السّآمة
باللّه في كلّ وقت ... يبدي السّحاب انسجامه
والزّهر في كل حين ... يشقّ عنه كمامه
لو كنت تعرف عذري ... كففت غرب الملامة(1)

بعثت هذه الأبيات الى أبي جعفر مع رسوله بعد أن لعنته هو وصاحبه ، وانصرف الرسول بغاية من الخزي ، ولما وصل الى أبي جعفر وجده في قلق لانتظاره ، سأله ، ما وراءك ياعصام ؟ قال : ما يكون وراء من وجهته لامرأة : — وراح يسب ويلعن فيها : ثم قال له : اقرأ الأبيات لتعلم ، فلما قرأها ، علم أنّ صاحبته ضربت له موعدا في المكان المسمى ((بالكمامة)) و أن رسوله سخيف العقل ، جاهل ، ثم أسرع الى الكمامة ، ولم تمهله ، وأنشدت :

دعي عد الذّنوب اذا التقينا ... تعالي لا تعدّ ولا تعدّى (2)

بينما هما يتعمان برحيق الهوى ويرتشفان رضاب الهوى ، فاذا برقعة يرسلها الشاعر الكندي لابي جعفر ، وقد كتب فيها :

أبا جعفر يا ابن الكرام الأماجد ... خلوت بمن تهواه رغما لحاسد
فهل لك في خلّ قنوع مهذّب ... كتوم عليم باختفاء المراصد
يبيت اذا يخلو المحبّ بحبّه ... ممتّي لذات بخمر ولا قصد (3)

(1) النفح ج 4 ص : 173 — 174 ، وأعلام النساء ج 1 ص : 258
(2) النفح ج 4 ص : 174 ، وأعلام النساء ج 1 ص : 259
(3) النفح ج 4 ص : 174
واعلام النساء ، ج 1 ص : 269

فقرأ أبو جعفر الأبيات على حفصة، فقالت : لعنه الله، قد سمعنا (بالوارش) على الطعام و(الواغل) على الشراب، ولم نسمع اسما لمن يعلم باجتماع محبين يروم الدخول عليهما، فقال لها : بالله سميه لنكتب له بذلك، فقالت : أسميه (الحائل) لأنه يحول بيني وبينك، فكتب أبو جعفر أرتجالا على ظهر الرقعة التي كان قد أرسلها الكتندي من قبل أبياتا منها :

يا من اذا ما أتاني ... جعلته نصب عيني
تراك ترضى جلوسا ... بين الحبيب وبيني (1)

ثم كتب أسفل الأبيات ما قالته حفصة، وذيّله بقوله :

سمّاك من أهواه حائل ... ان كنت بعد العتب واصل
مع أنّ لونك مزعج ... لو كنت تحبس بالسلاسل (2)

ولما رجع الرّسول الى الكتندي وجده قد وقع في حفرة نجسة، وبعد ما قرأ الأبيات قال للرسول : اخبرهما بحالي، فأخبرهما، فكاد أن يغشى عليهما من الضحك، ثم كتب كل واحد منهما بيتا حتى كونا قطعة شعرية يسخران فيها بالكتندي (3).

وقد أصبحت شاعرتنا ذات شهرة كبيرة في الأندلس، تتردد أشعارها في المجالس وفي البيوت، ولا سيما لدى متذوقي الأدب، وها هي فتاة من الأسر العريقة بالأندلس تستوقفها، وتطلب منها أن تكتب لها شيئا بخطها، فتخط لها هذين البيتين :

يا ربّة الحسن بل يا ربة الكرم ... غضّي جفونك عمّا خطّه قلمي
تصفّحيه بلحظ الودّ منعمة ... لا تحفلي برديء الخطّ والكلم (4)

---

(1) النفح ج 4ص : 174 . وانظر الأبيات كاملة في ص : 175
(2) المصدر السابق، ص : 175
(3) انظر الخبر والأبيات في المصدر السابق .
(4) النفح ج 4ص : 177 ، والاحاطة 1 ص : 493 وأعلام النساء ج 1ص : 270 — 271

غير أن حياة حفصة أصبحت بنكد بعد مقتل حبيبها سنة (559 هـ — 1193 م) فحزنت عليه ، وجهرت بالحزن وبكته بكاء مرّا رغم تهديدها بالقتل من قبل أمير غرناطة قاتل حبيبها ، ورثته بهذه الأبيات الثلاثة قائلة :

هدّدوني من أجل لبس الحداد ... لحبيب أردوه لي بالحداد

رحم الله من يجود بدمع ... أو ينوح على قتيل الأعادي

وسقته بمثل جود يديه ... حيث أضحى من البلاد الغوادي[1]

ولم يصلنا من شعر حفصة في رثاء حبيبها أبي جعفر الا أبيات قليلة ولا تعني تكتفي بذلك ، انما نعتقد أنها أخفت مراثيها خوفا من بطش الأمير الذي هددها بالقتل من أجل لبس الحداد ، فما بالك ان رثته وتعرضت للأمير الذي قتل حبيبها ظلما ، ومن مراثيها التي وصلتنا قولها من أبيات :

ولو لم يكن نجما لما كان ناظري ... وقد غبت عنه مظلما بعد نوره

سلام على تلك المحاسن من شج ... تناءت بنعماه وطيب سروره[2]

ومنذ أن رحل عنها حبيبها ، وهي تبيت ساهرة ترقب النجوم ، وقد ذكّرها البارق الخفاق بحبيبها :

سلوا البارق الخفّاق والليل ساكن ... أظلّ بأحبابي يذكّرني وهنا

لعمري لقد أهدى لقلبي خفقة ... وأمطرني منهل عارضه الجفنا[3]

وقد نجح السيد أبوسعيد أمير غرناطة أن يتخلّص من أبي جعفر ، منافسه في حبّ حفصة ، مستغلا في ذلك نفوذه السياسي ، لكنّه أخفق في أن يستولي على قلبها ، وبعد أن رأت حفصة مصرع حبيبها أبي جعفر ، ضاقت ذرعا بغرناطة ، فرحلت الى مراكش عاصمة الموحدين ، وهناك لقيت الخليفة الموحدي فاستنشدها من شعرها ، فأنشدته ارتجالا :

---

(1) الاحاطة 1/ 227

(2) النفح ج 4 ص : 175 ، والمغرب ج 2 ص : 132

(3) نفسهما ونفس الصفحتين .

ياسيد الناس يا من يؤمل الناس رفده
امنن علي بطرس يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه : الحمد لله وحده[1]

وقد أشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين ، حيث كان السلطان يكتب بيده وبخط غليظ في رأس المنشور ((الحمد لله وحده))[2] .

وعندما سمع الخليفة شعرها ، وعرف فضلها وأدبها ، أكرمها ، وحرر لها أملاكها ، واتخذها أستاذة لنسائه في دار الخلافة ، وهكذا أمضت بقية حياتها في قصر الخلافة بمراكش الى أن وافتها المنية سنة 530 هـ أو 531 على رواية ابن الخطيب[3]، وعلى رواية الحموي[4]، سنة 536 هـ .

ومهما يكن من أمر تحديد سنة موتها فسواء أصحت رواية ابن الخطيب أم رواية الحموي ، فقد تأخرت حفصة عن أبي جعفر بما يزيد عن عشرين سنة ، واذن فلم يصدق ابن الخطيب عندما قال : ((ثم لحقت به بعد قليل))[5]، غير أن الفترة التي أرخت لحياتها كالمغرب ، والنفح ، والاحاطة وغيرها ، قد تجاهلت هذه الفترة ، وما نجده فيها من شذرات فيه اضطراب ، فنحن نعرف أن حفصة رحلت الى مراكش ، بعد مصرع حبيبها ، لكننا لا نعرف ، متى رحلت ؟

---

(1) النفح 171/5 ، وابن الابار ، المقتضب ص : 219 ، والاحاطة 501/1 والمغرب 133/2
(2) النفح 171/4
(3) الاحاطة 502/1
(4) معجم الأدباء 223/10
(5) الاحاطة 227/1

فالأبيات التي قالتها حفصة في أمير المؤمنين :

يا سيّد الناس يا من   يؤمل الناس رفده

امنن علي بطرس   يكون للدّهر عده

تخطّ يمناك فيه   الحمد للّه وحده

اختلفت فيها المصادر ، أقيلت في عبد المؤمن بن علي ؟ أم في أبي يوسف يعقوب المنصور ؟ فصاحب النفح يقول : ((ذكرها الملاحي في تاريخه ، وأنشد لها ما قالته في أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ارتجالا بين يديه[1] ، ثم يذكر الأبيات ، ويوافقه في ذلك صاحب المغرب[2] ، بينما ابن الخطيب يقول : ((وذكرها الأستاذ في ((صلته)) ، فقال : وكانت أستاذة وقتها ، وانتهت الى أن علمت النساء في دار المنصور ، وسألها يوما أن تنشده ارتجالا فقالت :[3])) ثم يذكر الأبيات .

واذا كنا نعلم أنّ عبد المؤمن حكم بين سنتي (524 — 558) والمنصور تولى امارة المؤمنين بين سنتي (580 — 595هـ) أمكننا أن نرجح رأي ابن الخطيب لأن حفصة في عهد امارة عبد المؤمن كانت تتمتع بأيام الوصال في غرناطة ، فوقتئذ كان حبيبها أبو جعفر لا يزال على قيد الحياة ، ولا أظنها سافرت الى مراكش في هذه الفترة ، ولقيت عبد المؤمن وقالت فيه الأبيات المذكورة ، لأن المصادر تخبرنا برحيلها الى مراكش بعد مصرع حبّها واذن فلا شك في اعتقادنا هذا ، فالأبيات قيلت في أمير المؤمنين أبي يوسف يعقوب المنصور الذي اتخذ حفصة استاذة لنسائه وليس في عبد المؤمن .

---

(1) ج 4 . ص : 171

(2) انظر المغرب . ج 2 ص : 138

(3) الحلة 1 / 501

وهذا التوضيح يؤدي بنا الى أن نعود لنسأل : متى رحلت حفصة الى مراكش عاصمة الموحدين ؟

فالمصادر التي بين أيدينا لا تخبرنا بتاريخ رحيلها الى مراكش ، لكنه يفهم من كلام ابن الخطيب عنها ، أنها استقرت في مراكش في السنوات الأخيرة من حياتها فقط ، فهو يقول عنها : ((وكانت أستاذة عصرها وانتهت الى أن علّمت النساء في دار المنصور[1])) وبعد أن أنشدت الأبيات الثلاثة السالفة الذّكر ارتجالا بين يديه ((فمن عليها ، وحرّر لها ما كان لها من ملك[2])) .

فحفصة علمت نساء المنصور ، وحرّر لها أملاكها ، وهو أمير المؤمنين ، واذا كنا نعرف أنّه كان أميرا للمؤمنين في الفترة ما بين سنتي (580 — 595 هـ) ، ونعرف أنّ حفصة توفيت سنة 586 هـ — على رواية الحموي ، ومن ذلك تكون عاشت فترة قصيرة جدا في مراكش لا تتجاوز — على أيّ حال — الست سنوات — — أما السنوات الأخرى التي تلت مصرع حبيبها فتكون قضتها في غرناطة مقهورة تحت سلطان ، أبي سعيد الذي هدّدها بالقتل ونزع منها أملاكها .

أمّا شعرها — كما مرّ معنا — فيدور في معظمه [illegible] التعبير عن مشاعرها وعن علاقتها بأبي جعفر ، وهي [illegible] تعبيرها ، صريحة في غزلها ، وشعرها جيد في [illegible] جميل[3] ، ((ذلك الشعر الجديد في معدنه ، [illegible] في نوعه ، الرقيق في صوغه . . . وأما المعاني فهي غير جديدة على ألسنة الشعراء ولكنها جديدة جريئة على ألسنة الشاعرات))[4] .

هذه هي حفصة الشاعرة العاشقة التي نعتها ابن بشكوال بأستاذة عصرها ، وهي بالفعل أستاذة شواعر الأندلس ، وذلك بما تمتاز به من قوة شعرية ، ورونق ديباجة وحسن تصوير ، وجرأة في التعبير عن مشاعرها .

---

(1) الاحاطة 501/1

(2) نفس المصدر ونفس الصفحة

(3) الطاهر أحمد مكي — دراسات أندلسية ، ص : 101

(4) د . الشكعة ، الأدب الأندلسي ، ص : 222

الشلبية :

وهذه شاعرة أخرى كانت معاصرة لحفصة : ((الشّلبية))

وهي أديبة وشاعرة ، ظهرت في مدينة شلب في القرن السادس الهجري ، تدعى الشّلبية — نسبة الى بلدها ، قال ابن الأبار : ((ولم أقف على اسمها))[1]، اشتهرت بالأندلس ونواحيها ، وكانت تجالس الملوك ، وتناظر الشعراء[2]، وتهاجم الحكام ومن شعرها هذه الأبيات التي بعثت بها الى أمير المؤمنين يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها فقالت :

قد ان أن تبكي العيون الآبية	ولقد أرى أنّ الحجارة باكية
يا قاصد المصر الذي يرجى به	ان قدّر الرحمن رفع كراهية
ناد الأمير اذا وقفت ببابه	ياراعيا انّ الرّعية فانية
أرسلتها هملا ولا مرعى لها	وتركتها نهب السّباع العادية
شلب كلا شلب ، وكانت جنّة	فأعادها الطّاغون نارا حامية
حاقوا وما خافوا عقوبة ربهم	والله لا تخفى عليه خافية[3].

وقيل أنّ هذه الأبيات ألقيت يوم الجمعة على مصلى المنصور ، فلما قضى الصّلاة أخذها وتصفحها ثم بحث عن القضية فوقف على حقيقتها ورفع عن الشاعرة وبلدها الظلم ، وأمر لها بصلة (4).

ومن خلال هذه الأبيات التي وصلتنا من شعر الشّلبية نلمس في تعبيرها الجرأة والصراحة لا ايماء فيها ولا تورية ، فهي تهاجم ولاة بلدها وتصفهم بالطغاة الذين عاثوا في بلدها فسادا وتشكوهم لأمير المؤمنين الذي رفع عنها وعن بلدها الظلم وأمر لها .

---

(1) النفح 4 / 294

(2) عبد البديع صقر : شاعرات العرب ، ص : 133

(3) النفح 4 / 294 وعبد البديع صقر : شاعرات العرب ، ص : 133

(4) النفح 4 / 294

لها بصلة وقد استطاعت الشاعرة أن تنقذ بلدها من استبداد وظلم الولاة الذين عاثوا في بلدها فسادا بالكلمة وحدها ، وقد وجدت الأذن الصاغية التي تطرب للكلمة المعبرة فرقت لها وأنصفتها .

غير أن ما وصلنا من شعرها قليل جدا لا يتجاوز ستة أبيات ، ولذلك لا نستطيع أن نحكم على شاعريتها ، وكم تمنينا أن نحصل على مزيد من شعرها ؟؟؟

ولعل الأيام في المستقبل ستكشف لنا عن أشعار أخرى للشلبية ، لأن ما وصلنا من شعرها على قلته جميل وجزل .

أسماء العامرية :

ومن شاعرات الفترة أيضا : أسماء العامرية ، وهي :

شاعرة من شواعر اشبيلية عاشت في القرن السادس في عهد الموحديين ، غير أنّ ما وصلنا من شعرها قليل للغاية ، لا يتجاوز ثلاثة أبيات مجزوءة من قصيدة بعثت بها الى عبد المؤمن بن علي ملك الموحدين تذكره فيها بنسبها العامري وتطلب منه أن يرفع الانزال عن دارها والاعتقال عن مالها ، تقول في أول القصيدة :

عرفنا النّصر والفتح المبينا   لسيّدنا أمير المؤمنينا
اذا كان الحديث عن المعالي   رأيت حديثكم فينا شجونا

ومنها :

رويتم علمه فعلمتموه   وصنتم عهده فغدا مصونا (1)

واذا كانت الشلبية من قبل قد أرسلت أبياتها الى أمير المؤمنين يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها ، فان أسماء العامرية الاشبيلية قد بعثت هي أيضا بأبياتها الى أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي تتظلم من ولاة بلدها ، وتطلب منه أن يرفع ما وقع على أموالها من اعتقال كما يقول صاحب النفح لأن قصيدتها لم تصلنا كاملة ، وهذا التشابه بين الشاعرتين في الموضوع مرده الى تشابه الأحداث فكلتاهما تعرضت لظلم والي بلدها فشكته لأمير المؤمنين واذا كان يعقوب المنصور قد بحث عن حقيقة قضية الشلبية ورفع عنها الظلم وأمر لها بصلة ، فان المصادر التي بين يدينا سكتت عن موقف أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي من قضية أسماء العامرية ، ونعتقد أنه فعل كما فعل المنصور .

ومهما يكن من أمر فالأبيات التي وصلتنا من شعر الشاعرة متوسطة وان كان من الصعوبة بمكان أن نحكم على شاعريتها من خلالها .

---

(1) النفح ج 4 ، ص : 292
وأعلام النساء ، ج 1 ، ص : 55

د ـ المـدح :

نهج الأندلسيون في المدح نهج المشارقة ، من حيث تعدد الموضوعات وتشعب الأغراض ، فكانوا يستهلون مدائحهم بالغزل أو بوصف الفلاة ، أو بوصف الطبيعة والتغني بجمالها ، أو بوصف الخمر ... ثم يخرجون بعد ذلك الى المدح ، ومنهم من صدّر مدحه بأكثر من غرض كأن يمهد بالغزل والخمر أو بالشكوى والعتاب ، ومنهم من التزم بموضوع المدح وحده .

والمتمعن في مدائح الأندلسيين يجد أغلبها موجّهًا الى مدح أمراء الأندلس وملوكه وذوي النفوذ والأغنياء ، ليحصلوا منهم على الجزاء والمغانم الذاتية ، فكانوا يمدحون الممدوح بالشجاعة والمروءة والاقدام والوفاء والكرم وما أشبه ذلك من معاني الشرف والنّبل التي يسبغها الشاعر على ممدوحه ((والواقع أن الشاعر عندما يمدح لا يحاول أن يرسم صورة الممدوح ، وانما يحاول أن يرسم صورة شخصية تتمثل فيها كل الصفات التي يقدرها المجتمع ، شخصية مثالية قد تكون بعيدة كل البعد عن الممدوح ، الّا أن الشاعر يحاول طبعا أن يربطها بشخصية[1]، ولذلك نجد أن مدائح الأندلسيين يغلب عليها التملق والتزلف والمبالغة والغلو .

ومعالجة موضوع المدح غالبا ما يقتصر على الشعراء الذين ينشأون في الطبقة الوسطى أو العامة ونادرا ما نجد شاعرا من الأغنياء يقول المديح[2].

وهذا ما يتجلى لنا واضحا لدى شواعر الأندلس ، فانّ أغلب اللائي نظمن في غرض المدح هنّ من سوقة الشعب ودهمائه .. أو ممن نشأن في الطبقة الوسطى ، ونذكر من هؤلاء : حسانة التميمية التي توفي أبوها وتركها في رعاية الأقدار ، فالتجأت الى الأمير الحكم بن هشام تبثه شكواها وتمدحه قائلة :

(1) الدكتور صلاح خالص ـ اشبيلية في القرن الخامس الهجري ص : 83 — 89

(2) نفس المرجع ، ص : 83

إنّي اليك أبا العاصي موجّهة … أبا المخشي ، سقته الواكف الديم
قد كنت أرتع في نعماه عاكفة … فاليوم آوي الى نعماك يا حكم
أنت الامام الذي انقاد الأيام له … وملّكته مقاليد النّهى الأمم
لاشيء أخشى اذا ماكنت لي كنفا … آوي اليه ولا يعروني العدم (1)

وقد دفع الأمير ثمن مدحها له فأمر لها براتب وأكرمها وأوصى بها عامل البيرة خيرا .

ومدحت أيضا ولده الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي أنصفها هو الآخر لما شكت اليه والى البيرة الذي انتهز فرصة وفاة الحكم ومنع عنها راتبها الذي كان قد أمر به الحكم من قبل ، فقالت تمدح الأمير عبد الرحمن :

ابن الهشامين خير النّاس مأثرة … وخير منتجع يوما لرُوّاد
قل للأمير يا خير الورى نسبا … مقابلا بين آباء وأجداد
جوّدت طبعي ولم ترض الظلامة لي … فهاك فضل ثناء رائح غاد
فان أقمت ففي نعماك عاطفة … وان رحلت فقد زوّدتني زادي (2)

فاذا نظرنا الى المقطوعتين اللتين مدحت بهما حسانة الأميرين وجدناها موفقة فيها أيما توفيق لأنها كسبت في كل مرة ، فالأمير الحكم أمر لها براتب ، وولده عبد الرحمن حرّر لها أملاكها وأمر لها بجائزة ، غير أن مديحها لا يكاد يخرج عن معاني القدماء ، فالمقطوعة الأولى استهلتها بالرثاء ثم ختمتها بمدح الأمير ، والمقطوعة الثانية بنتها على المدح فقط .

ونفس النهج التزمته قمر البغدادية (3) ، في مدح مولاها ابراهيم بن حجاج اللخمي الذي تقول فيه :

ما في المغارب من كريم يرتجى … الّا حليف الجود ابراهيم
اني حللت لديه منزل نعمة … كلّ المنازل ما عداه ذميم

---

(1) انظر القطعة كاملة في ص : من هذا البحث
(2) انظر المقطوعة كاملة في ص : من هذا البحث
(3) انظر أخبارها في ص : من هذا البحث

ويلاحظ أن أغلب الممدوحين لدى شواعر الأندلس هم أمراء أو خلفاء أو ولاة كما نجد ذلك كما عند عائشة القرطبية التي دخلت يوما على المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبين يديه ولده فارتجلت قائلة :

أراك اللّه فيه ما تريد ... ولا برحت معاليكم تزيد
فقد دلّت مخايله على ما ... تؤمله وطالعه السعيد
فسوف تراه بدرا في سماء ... من العليا كواكبه الجنود
وكيف يخيب شبل قد نمته ... الى العليا ضراغمة أسود
فأنتم آل عامر خير آل ... زكا الأبناء منكم والجدود
وليدكم لدى رأيي كشيخ ... وشيخكم لدى حرب وليد[1]

واذا كنا نعلم أن العامريين الذين ينتسب اليهم الممدوح هم من أسرة عربية تنتمي الى قبيلة معافر اليمنية ، وأنّهم من أوائل الذين دخلوا الأندلس صحبة طارق بن زياد ، ولذلك أرادت الشاعرة أن تمدحه بنقاء الأصل ورفعة شرف الانتساب الى قبيلة عربية عريقة ، لكنها كانت مبالغة عندما ادّعت أن وليدهم لدى رأيي كشيخ ، وشيخهم لدى حرب وليد .

ومن الشاعرات اللائي مدحن الأمراء أيضا — حفصة بنت الحاج الركونية وهي تمدح أمير غرناطة وتهنئه بالعيد قائلة :

يا ذا العلا وابن الخليـ ... ـفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى ... فيه بما تهوى القضا[2]

وهناك شواعر أخريات نظمن في غرض المدح ، كأسماء العامرية ، ومريم بنت أبي يعقوب الأنصاري وحفصة بنت حمدون الحجارية وغيرهن .

ملاحظات حول غرض المدح : واذا كان لا بد من كلمة أخيرة حول غرض المدح لدى شواعر الأندلس فيمكننا أن نسجل الملاحظات التالية :

---

(1) انظر القطعة كاملة في ص : من هذا البحث
(2) انظر الأبيات كاملة في ص : من هذا البحث

ـ من حيث المنهج : لم تلتزم شواعر الأندلس بمنهج القدماء من حيث تعدد
أجزاء وتشعب الموضوعات كما فعل شعراء الأندلس ، فهن يدخلن
الى المدح مباشرة من غير مقدمات ، ولم أجد في مدائحهن غير
قصيدة واحدة للشاعرة حسانة التميمية استهلتها بالرثاء[1] ، ويبدو أنّ
المدائح التي تبنى على المدح فقط ، أو يمهد لها بأبيات غزلية
قصيرة ، محببة لدى بعض النقاد ((مدح أبو العتاهية عمر بن العلاء
فأعطاه سبعين ألفا وخلع عليه حتى لم يستطع أن يقوم ، فغار الشعراء
من ذلك ، فجمعهم ثم قال : عجبا لكم معشر الشعراء ، ما أشد حسد
بعضكم لبعض ؟ ان أحدكم يأتينا ليمدحنا ، فينسب في قصيدته
بخمسين بيتا ، فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ،
ورونق شعره ، وقد أتى أبو العتاهية ، فنسب في أبيات يسيرة ثم قال :

اني أمنت من الزمان وريبه　　لما علقت من الأمير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله　　لحذوا له حر الخدود نعالا [2]

ـ الممدوحون لدى شواعر الاندلس في الغالب هم أمراء أو خلفاء
... ، ومدائحهن هي في جملتها ظرفية قلنها بمناسبات معينة
... عبرت فيها عن اعجابهن بشخصيات ممدوحيهن أو طالبات العطاء
... والمنافع الذاتية ، أو شاكرات فضل ممدوحيهن ، أو مهنئات بالعيد ،
وفي الجملة فهن معجبات أو متكسبات ، ولهذا جاء شعرهن في هذا
... صادقا أحيانا كما عند حسانة التميمية ، وبعيدا عن الصدق في أحايين
كثيرة . . .

---

(1) انظر القطعة في الصفحات السابقة من هذا البحث
(2) ابن رشيق القيرواني ـ العمدة ج 2 ص : 133 حققه ، وفصّله ، وعلّق حواشيه ،
محمد محي الدّين عبد الحميد ـ دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ،
لبنان ـ الطبعة الخامسة 1401 هـ ـ 1331 م .

ـ مدائحهن مقطوعات أو أبيات ولم نعثر في مدائحهن الأعلى قصيدة (1)
مدة الشاعرة عائشة القرطبية في مدح المظفر بن المنصور بن أبي عامر،
مسألة الطول والقصر في الشعر قضية مختلف فيها (2)، ويرى بعض الشعراء أن
الإطالة في المدح ضرب من الهجاء، كابن الرومي الذي يقول :

إذا امرؤ مدح امرءا لنواله	وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدّر فيه بعد المستقى	عند الورود لما أطال رشاءه (3)

مهما يكن من أمر، فإن مدائح الشاعرات الأندلسيات في مجملها
مقطوعات وأبيات :

ونلاحظ أن أهم الصفات التي سبغتها الشواعر على ممدوحيهن هي
الكرم والشجاعة وحماية الضعاف واليتامى وكرم الأصل والنسب
والتسابق في الفضل بين الابن وأبيه وهي الصفات التي تضمنتها
قصائد المدح العربية التقليدية، ومدائحهن أيضا تقليدية من
حيث الأسلوب والبناء إذ نسجن شعرهن على نظام القصيدة التقليدية.

---

(1) اختلفت الآراء حول عدد الأبيات التي يجب أن تتوفر في النص ليصبح قصيدة
أو مقطوعة أو أبياتا، فابن رشيق يقول : ((انه اذا بلغت الأبيات سبعة فهي
قصيدة، ولهذا كان الايطاء بعد سبعة أبيات غير معيب عند أحد من الناس...
ومن الناس من لا يعد القصيدة الا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد))
العمدة ج 1، ص : 188 ـ 189)
أما الدكتور وهب رومية، فيرجح أن القصيدة تتألف من أحد عشر بيتا فما فوق،
والمقطوعة من ثلاثة أبيات الى عشر، والأبيات من بيت الى بيتين (محاضرات
في الأدب الجاهلي ألقاها الدكتور وهب رومية على طلبة السنة الأولى ماجستير
شعبة الأدب القديم في السنة الجامعية : 1979/78) عن الربعي بن سلامة
شعر الحرب في الأندلس، من الفتح الى سقوط الدولة العامرية ـ 92 ـ 399 هـ
مخطوط)
(2) انظر الدكتور عبد الرؤوف مخلوف : ابن رشيق ونقد الشعر، فصل القطع والطوال،
ص : 2 وما بعدها.
(3) الدكتور عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس، ص : 135

ـ الهجـــاء :

وكذلك في الهجاء ، فقد اقتفى الأندلسيون أثر المشارقة ، إلا انهم لم يلغوا شأنهم في هذا الفن ، يقول الدكتور جودت الركابي :((أما الهجاء فلم تقم له سوق رائجة في الأندلس ، ولا سيما الهجاء السياسي لقلة الأحزاب السياسية وقد ظهر في عهد الأمراء هجاء بين المضرية واليمانية ، ولكن لم يحفظ لنا منه شيء جدير بالاهتمام ، وقد قام بعض الشعراء يهجو الفرنجة أثناء الحروب معهم ، ويهجو البرابرة عند ما استفحل أمرهم ، وكانت الغاية من الهجاء التكسب والمجون ولم يكن هناك هجاء سياسي بالمعنى المعروف عند المشارقة ، كالدفاع عن الحرب أو ذم الشعوبية ، لأن الشعوبية لم يكن لها شأن في الأندلس))(1).

ونلاحظ أيضا في هجاء الأندلسيين قلة القصائد الطوال وكثرة المقطعات والأبيات بعكس المشارقة الذين عرفوا في هذا الغرض بالمطولات(2)، ولعل ذلك يعود الى عدم دواعي الهجاء في الأندلس كالأحزاب السياسية التي ساعدت على رواج الهجاء في المشرق .

وتبدو في الهجاء الأندلسي عدة اتجاهات ، ومنها : هجاء القضاة والفقهاء وهذا النوع من الهجاء يدخل ضمن ما يسمى بالنقد الأجتماعي والاتجاه الثاني يتمثل في هجاء المرابطين والبربر عامة ، ويدخل ضمن ما يسمى بالهجاء السياسي ، وكذلك هجاء الملوك والحكام.

وهناك اتجاه آخر وهو الهجاء الفاحش الذي يتصف في الغالب بالتشهير بين شاعر وآخر ، أو بين شاعر أو أحد أعدائه ، وهو في الغالب يتسم بالبذاءة والفحش والاقذاع والسباب ، والغريب في الأمر أن هجاء الشواعر الأندلسيات يندرج ضمن هذا الأتجاه الذي يقول فيه ابن رشيق : أما الافحاش بالهجاء ((فسباب محض ، وليس للشاعر فيه الا اقامة الوزن))(3)

(1) الدكتور جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص : 115

(2) انظر الدكتور عبد العزيز عتيق : المرجع السابق ، ص : 245 وما بعدها

(3) ابن رشيق ، العمدة ، ج 2 ، ص : 171

ومن الشواعر اللائي عرفن بهذا النّوع من الهجاء : نزهون بنت القلاعي غرناطية ، وولادة بنت المستكفي ،ومهجة بنت التياني القرطبية وغيرهن .

ونورد من شعر نزهون في هذا الغرض هذه الأبيات التي قالتها في هجاء حر قبيح الصورة عرض عليها الزّواج منه ، وهي أخف ما ورد في مهاجاتها ، تقول (1)

عذيري من عاشق أنوك (2) سفيه الاشارة والملبس
يروم الوصال بما لو أتى يروم به الصّفع لم يصفع
برأس فقير الى كيّة ووجه فقير الى برقع

أمّا ولادة فقد عرف عنها هجاء فاحش مقذع ، وهو من نوع السّباب المحض ، قالته في ابن زيدون والأصبحي (3) ، ومن أخف هجائها في ابن زيدون قولها :

ولقّبت المسدّس وهو نعت تفارقك الحياة ولا يفارق
فلوطيّ ومأبون وزان وديّوث وقرنان وسارق

ومن هجائهن الذي يزخر بالفحش والاقذاع كذلك ، هجاء مهجة بنت التياني القرطبية ، ومن مداعباتها الفاحشة من ولادة قولها :

ولّادة قد صرت ولّادة من غير بعل فضح الكاتم
حكت لنا مريم لكنّه نخلة هذي ..... (4)

ولها أيضا بيتان بذيئان هجت بهما حبيبا أهدى لها خوخا على نسق هجائها لولّادة (5) ، ومن المعروفات كذلك بالهجاء غير هؤلاء الشواعر — عائشة القرطبية ، وأم العلاء بنت يوسف الحجارية .

(1) انظر مهاجاتها مع أبي بكر المخزومي ، في ص : ... وما بعدها من هذا البحث
(2) أنوك : أحمق
(3) انظر هجاءها الأكثر فحشا . في ص : ... وما بعدها من هذا البحث
(4) كلمتان بذيئتان رأيت حذفهما ويفهمان من السياق
(5) انظرهما في هذا البحث

ملاحظات حول غرض الهجاء :

1 ـ وعلى العموم فشعر الهجاء لدى شواعر الأندلس يندرج كله ضمن الهجاء الشخصي أي : الذي يكون بين فردين ، ولم يعرف عنهن هجاء جماعي أو سياسي .

2 ـ هجاؤهن فيه فحش كثير وبذاءة ، وقذف بالشتائم والسباب ، وذكر للسوءات حتى ليتعفف الرجل من روايته ، ولذلك جاء أسلوبهن في هذا الغرض ركيكا ، وفيه اسفاف وسوقية ، ولغتهن قريبة من لغة العامة ، ودهماء الشعب ... وهذه البساطة في الأسلوب تجعل شعرهن مفهوما من قبل عامة الناس ، وبذلك يكون هجاؤهن أشد وقعا في نفوس المهجوين .

3 ـ الشواعر الهجاءات كلهن حرائر ولم يعرف هجاء لشاعرة جارية ، وكنا نتوقع أن تكون الجواري الى الهجاء أسرع وذلك لانحطاط المستوى الاجتماعي ، ولأنهن أكثر حرية وأكثر اختلاطا بالرجال في مجالس اللهو والشراب والغناء والموسيقى ، ولكن يبدو أن الجواري احتفظن بلطافتهن في الحديث ، والهجاء بذاءة وسباب وشتائم ، ولذلك امتنعن عن الخوض فيه .

4 ـ شعر الهجاء لدى شواعر الأندلس كله مقطوعات أو أبيات ولم يعرف في هجائهن قصائد طويلة .

5 ـ والملاحظ كذلك على هجاء الشواعر الأندلسيات ، أن أغلبه هجاء ساخر يعتمد أحيانا على التصوير الكاريكاتوري كما في أبيات نزهون السالفة الذكر .

6 ـ ولعل تورط النساء الشواعر في الهجاء والافحاش فيه ، كان بسبب ضعف الوازع الديني لديهن ، وكذلك كثرة المثالب والفجور والمفاسد وقلة الضوابط الجد في المجتمع الأندلسي ، كل ذلك كان مشجعا لهن ، فكان نصيبهن منه كبيرا فقن فيه شواعر المشرق ، بل وشعراء المشرق والمغرب ، فولادة في هجائها المر السابق لحبيبها ابن زيدون الذي (1) ضمنته من الفحش

(1) انظر أشعارهما في بحثنا هذا

سليطة اللسان لم يسبقها عليه رجل أو امرأة (1))، وكذلك مهجوة في هجاء صديقتها ولادة، لقد علّق بعض النقاد القدامى على بيتيها السالفي الذكر فقالوا: ((لو سمع ابن الرومي هذا لأقر لها بالتقديم))(2).

وختام كلامنا في هذا الموضوع ان شعر الهجاء لدى شواعر الأندلس ضعيف جدا من حيث قيمته الفنية وقد صدق ابن رشيق عندما قال: أما الأفحاش بالهجاء ((فسباب محض، وليس للشاعر فيه الا اقامة الوزن))(3).

ز- أغراض مختلفة:

كانت هذه أهم الأغراض التي غلبت على الشعر النّسوي في الأندلس، غير أنّ شعرهن يحتوي على بعض المقطعات التي تعرضن فيها الى أغراض شعرية مختلفة تتفاوت أهمية، كوصف الطبيعة والفخر، والحنين الى الوطن والاعتذار والعتاب وغيرها.

فوصف الطبيعة من الموضوعات التي برع فيها الأندلسيون، وأظهروا فيهما تفوقا ملحوظا على المشارقة، وساعدهم على ذلك طبيعتهم الجميلة، فوصفوا الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة (4) وقد نظم فيه شواعر الأندلس ثلاث مقطوعات فقط الا أنها تعتبر من عيون شعرهن، فهذه حمدونة تصف لنا واديها فتقول:

وقانا لفحة الرّمضاء واد ... سقاه مضاعف الغيث العميم

حللنا دوحه فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم

وأرشفنا على ظمأ زلالا ... ألذّ من المدامة للنّديم(5)

أن هذا الوصف البارع لشاعرتنا الذي أسعفها فيه التخيل والتصور ليجعلنا نعجب بها ونضعها في مصاف أكبر الوصافين الأندلسيين، ولها أيضا قطعة غزلية

---

(1) الدكتور جودت مدلج — الحبّ في الأندلس — ظاهرة اجتماعية بجذور مشرقية — ص: 206 — دار لسان العرب — بيروت — الطبعة: 1، سنة 1975
(2) النفح، ج 4، ص: 293
(3) ابن رشيق، العمدة، ج 2، ص: 171
(4) انظر بالتفصيل، الدكتور جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ص: 124 وما بعدها
(5) انظر المقطوعة كاملة في ص: 109 من هذا البحث.

...نهلتها بوصف واد يحبها [1]، وهذه أم العلاء بنت يوسف الحجارية [2]، تصف بستانها فتقول :

ولله بستاني إذا   يهفو به القصب المندّى
فكأنما كفّ الرياح   قد أسلمت بنداً فبندا

أما الفخر فلم يكن له حظ من الرواج لدى شواعر الأندلس ولم نعثر لهنّ الا على قطعتين إحداهما لولادة، تفخر فيها بشبابها، وتغزل فيها بأنها تصلح للمعالي، وتمشي مشيتها وتتيه تيهها [3] والأخرى لصفية بنت عبد الله الريّي [4]، تعاتب فيها امرأة عابت خطها، وتفخر بخطها الجميل، فتقول :

وعائبة خطي فقلت لها اقصري   فسوف أريك الدرّ في نظم أسطري
وناديت كفّي كي تجود بخطّها   وقربت أقلامي ورقّي ومحبري
فخطّت بأبيات ثلاث نظمتها   ليبدو بها خطّي وقلت لها انظري

ولهن مقطعات أيضا في الحنين الى الوطن [5]، والشكوى والاستعطاف [6] والعتاب [7]، والاعتذار [8]، وغيرها من الموضوعات التي نظم فيها شواعر الأندلس .

---

(1) انظر المقطوعة في ص : 105 من بحثنا هذا
(2) انظر أخبارها في بحثنا هذا
(3) انظر ولادة في بحثنا هذا
(4) انظر أخبارها في بحثنا هذا
(5) انظر : قمر البغدادية في هذا البحث
(6) انظر : حسانة التميمية، وحفصة بنت حمدون الحجارية، ومريم بنت أبي يعقوب الأنصاري والشلبية في هذا البحث .
(7) انظر : ولادة، وحفصة بنت الحاج الركونية، وصفية بنت عبد الله الريي في هذا البحث .
(8) انظر : أم العلاء بنت يوسف الحجارية في بحثنا هذا .

ح — أغراض جديدة :

ليست هناك أغراض جديدة بأتم معنى الكلمة في شعر شواعرنا بالقياس الى شعر الرّجال ، ولكن هناك أغراضا جديدة بالنسبة للشعر النّسوي المشرقي ، حيث تجرأت المرأة الشاعرة في الأندلس على طرق موضوعات كانت عند المشارقة مقصورة على الرجال ، ومن بين هذه الموضوعات — ظاهرة حبّ المرأة للمرأة ، أي الجنسية المثلية — عند شواعر الأندلس ، كما عند ولادة وحمدونة بنت زياد — وقد فصلنا الحديث في هذه المسألة أثناء حديثنا عن غرض الغزل فلتراجع في مكانها — فهذه الظاهرة ظاهرة الغزل بالمؤنث أو الجنسية المثلية ، لم تكن معروفة عند شاعرات المشرق وهي ظاهرة عرفت في الشعر النّسوي الأندلسي .

وهناك موضوع آخر تميزت به المرأة الأندلسية الشاعرة عن أختها المشرقية ، حيث أباحت الأندلسية لنفسها أن تتغزل في الرّجل كما يتغزّل الرّجل بالمرأة سواء بسواء ، وهذه ظاهرة تتكرر كثيرا في الأندلس ، ولا توجد في المشرق الا نادرا (1)

وكذلك موضوع الهجاء الذي طرقته المرأة الشاعرة في الأندلس وأفحشت فيه وتجرأت — بكل وقاحة — على ذكر السوءات وعلى الألفاظ البذيئة التي يخجل الرّجل من روايتها ، كل ذلك لا نجده عند المرأة الشاعرة المشرقية ، وقد فصلنا الحديث في هذه القضية عند حديثنا عن الأغراض فلتراجع في مكانها .

كانت هذه بعض الأغراض التي رأينا أنّها جديدة ولم تطرقها شاعرات المشرق ، وكان ذلك بسبب الحرية التي تمتعت بها المرأة في المجتمع الأندلسي لم تعرفها المرأة العربية من قبل ، وكذلك بسبب كثرة المثالب والفجور والمفاسد في المجتمع الأندلسي .

ط — ملاحظات ختامية حول الأغراض :

1 — تبين لنا مما سبق أن أهم الأغراض الشعرية التي غلبت على الشعر النّسوي في الأندلس ، هي : الغزل والمدح والهجاء والشكوى والاستعطاف . . .

2 — لم يتطمن في كل الأغراض ، فلم يصلنا شعر منهن في الزهد والفلسفة والحماسة

(1) انظر الدكتور سعد اسماعيل شلبي : دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ص : 122

والرثاء باستثناء بعض الأبيات لحفصة بنت الحاج لم تذكر المراجع المناسبة التي قيلت فيها ، ولعلها لما تتضمنه من شكوى وبكاء وتذكر للماضي وقديم لحظاته تكاد تعتبرها رثاء لابي جعفر (1)

ومهما يكن من أمر فغرض الرثاء لدى شواعر الأندلس مفقود أو نادر جدا غير أننا اذا رجعنا الى الشعر النسائي في المشرق وجدنا أكثره في غرض الرثاء ، ولا غرو في ذلك فالحزن والبكاء وندب الميت كان من مهام النساء لأنّ الحزن ينبعث عن النفوس الحساسة ، ولا جدال بأنّ المرأة أقوى احساسا وأشد عاطفة وشعورا من الرجل (2) ، ولذلك كانت الخنساء أشهر شواعر العرب شاعرة رثاء ، وليلى الأخيلية وغيرهما . ولعل ندرة غرض الرثاء في أشعار الأندلسيات يعود للظروف الأقليمية والاجتماعية حيث انشغلن بحياة اللهو وفتنة الطبيعة الجميلة التي جعلتهن وادعات متنعمات للحياة الحلوة الرضية ، فلم يحفلن بالرثاء الذي يذكرهن بالموت ، ولعل سبب اختفاء هذا الغرض ، من شعرهن أيضا ، هو عدم وفائهن لأحبائهن ، فولادة التي ملكت قلب ابن زيدون وعقله ، وملك قلبها وعقلها فانصهرا روحا وفكرا ، لم يعرف عنها رثاء لابن زيدون بعد وفاته ، وكذلك أم الكرام بنت صمادح التي باحت بحبها ولوعتها بفتاها السمار (3) الا أنها بعد أن خفي أمره ومحا وجوده الملك ، فلم يعثر لها عن رثاء في فتاها الذي قالت فيه :

حسبي بمن أهواه لو أنّه　　　فارقني تابعه قلبي (4)

---

(1) الدكتور جودت مدلج : الحب في الأندلس ، ص : 213

(2) بشير يموت: شاعرات العرب ، ص : 7

(3) انظر قصتهما في ص : 68 وما بعدها من هذا البحث

(4) انظر المقطوعة كاملة في ص : 68 من هذا البحث

٤- وتجدر الاشارة الى أنّ أغراضهن الشعرية لم تكن متداخلة مثلما هو معروف عند الشعراء ، فيختلط مثلا المديح بالغزل ، أو الفخر بالهجاء ، وهكذا ... وسبب ذلك أن أغلب شعرهن مقطعات وأبيات ولم يعرف عنهن الا بعض القصائد ، ولذلك كنّ يدخلن في الموضوع مباشرة دون مقدمات ، والمرأة معروفة بقصر نفسها في الشعر منذ القديم ، ونادرا ما نجد لها مطولات .

٥- طرقن موضوعات جديدة لم تكن معروفة لدى شواعر المشرق كالغزل بالمؤنث أي الجنسية المثلية — والبوح بمشاعرهنّ وحبهنّ متجاوزات بذلك حواجز المجتمع وموانعه ، كما عند ولادة وأم الكرام وحفصة بنت الحاج وغيرهن ، وكذلك تورطهن في الهجاء الذي سلكن فيه مسلك الافحاش المقذع ، والبذاءة ، والقذف بالشتائم والسباب وذكرهن للسوءات ... هذا الاتجاه الذي لم يكن معروفا لدى شواعر المشرق أيضا .

وبعد هذه الإلمامة بأغراض الشعر النسوي في الأندلس يجدر بنا أن نتحدث عن خصائصه الفنية من حيث الشكل والمضمون ، فنتناول بالدرس أوزانه وقوافيه ، وألفاظه وأساليبه ، ثم معانيه وصوره وأخيلته ، وبذلك نكون قد قدمنا صورة جلية عن الشعر النسوي في الأندلس .

سابعا : الأوزان والبحور :

قال ابن رشيق : ((انّ الوزن أعظم أركان حدّ الشّعر ، وأولاها به خصوصية))[1]، قيل في تعريف الشعر ((هو كلام موزون مقفى))[2]، وقال ابن سينا ((انّ الشّعر هو كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة ...))[3] وما دامت الأوزان عنصرا مهما من عناصر الشعر ، فيجدر بنا أن نلقي نظرة على البحور التي استعملتها شواعر الأندلس ، ومن خلال دراستنا لأشعارهن تجلى لنا أنّهن مقلدات نهجن نهج المشارقة فيهما ، ولم ينظمن في جميع البحور ، حيث أنني لم أعثر على سبعة بحور كاملة في أشعارهن، وهي : الرّجز ، والمضارع ، والمقتضب ، والهزج ، والمديد والمنسرح ، والمحدث أو المتدارك ، أما البحور الباقية ، وهي الطويل ، والبسيط ، والكامل ، والوافر ،والخفيف ، والرمل ، والسريع ، والمتقارب ، والمجتث ، فقد وردت في أشعارهن بنسب متفاوتة وقد قمت بترتيبها حسب ترددها[4]

1- وصف البحور المستعملة :

أ - الكامل :((أتم الابحر السّباعية وقد أحسنوا بتسميته كاملا لأنّه يصلح لكل نوع من أنواع الشّعر[5]))، وهو موحد التفعيلة ، وقد استخدم في شعر العرب تاما ومجزوءً ، وشواعر الأندلس استعملنه في مظهرية ، فنظمن عليه 21 قصيدة ومقطوعة ، وقد استوعب هذا البحر أغلب الموضوعات الشعرية التي قالت فيها الشواعر الاّ أن غرض المدح كان أكثرها .

---

(1) ابن رشيق ، العمدة ، ج 1 ، ص : 134

(2) قول مأثور

(3) ابن سينا - فن الشّعر ، من قسم المنطق من الشفاء ، ص : 161 ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، النهضة العربية ، القاهرة ، سنة 1953

(4) وقد استفدت في هذا المنهج من الأستاذ : محمد الهادي الطرابلسي في كتابه : خصائص الأسلوب في ((الشوقيات)) ص : 21 وما بعدها

(5) سليمان : من مقدمة الالياذة ، عن ميخائيل صوايا ، سليمان البستاني ((أعلام الفكر العربي)) ص : 103 منشورات دار الشرق الجديدة ، بيروت ، وقد استقيت باختصار هذه المعلومات الخاصة بخصائص كل بحر من مقدمة البستاني ، المرجع السابق .

ب — الطويل :

هذا البحر من الأبحر التي كثر استعمالها في الشعر العربي ، وهو يتسع لكثير من الأغراض ، وهو مزدوج التفعيلة ((، ولم يرد في شعر العرب الا تاما))[1]، وقد ورد هذا البحر في شعر الشواعر في 13 قطعة ، الا أن نفسهن فيه كان قصيرا فلم ترد فيه ولو قصيدة واحدة ، فشعرهن من الطويل كله مقطعات ، وأغلب أشعارهن التي جاءت على الطويل في الغزل والمدح والهجاء .

جـ — البسيط : ويأتي في المرتبة الثانية من حيث شيوعه في الشعر العربي[2]، وفي المرتبة الثالثة من حيث وروده لدى شواعر الأندلس ، ويستعمل تاما ومجزوء ومشطورا[3]، وهو مزدوج التفعيلة ، وقد ورد في شعر الشواعر الأندلسيات تاما ومخلعا ، فاستعملنه تاما 8 مرات ومخلعا مرة واحدة ، وشعرهن على البسيط مقطعات ، اذ لم ترد عليه الا قصيدة واحدة . والملاحظ أن أكثرشعرهن على هذا البحر في غرض المدح والغزل والعتاب .

د — السريع : وسمي كذلك لأنه يسرع على اللسان ويأتي تاما ومشطورا[4]، ((وهو بحر يتدفق سلاسة وعذوبة يحسن فيه الوصف وتمثيل العواطف[5] وهو كذلك مزدوج التفعيلة ، وقد بنت عليه شواعر الأندلس (9) مقطعات توزعت على أغراض الهجاء والغزل والمدح والشكوى .

هـ — الوافر : هذا البحر موحد التفعيلة ، وقد ورد في شعر العرب تاما ومجزوء[5] غير أنه لم يستعمل لدى شواعرنا الا تاما ، ونفسهن فيه كان محدودا جدا

---

(1) محمد الهادي الطرابلسي — خصائص الأسلوب في الشوقيات ص : 22
(2) الدكتور ابراهيم أنيس — موسيقى الشعر ، ص : 191 ، مكتبة الأنجلو المصرية ط 5 ، سنة 1981 .
(3) ممدوح حقي — العروض الواضح ، ص : 56 منشورات المكتبة العمومية بدمشق 1940
(4) عمر توفيق سفر آغا — علم العروض ، ص : 77، منشورات مكتبة الرشاد ط 1 سنة 1969
وانظر كذلك ، موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي : المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي ، ص : 222 ، طبعة بيروت ط 2 سنة 1969
(5) ميخائيل صوايا — سليمان البستاني ، ص : 105
(6) محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص : 22

ب — عناصر القافية وحركاتها :

كقـول أم السعد بنت عصام الحميري :

5 ـ قافية مطلقة مؤسسة موصولة بحرف اللين ياء .
وردت أيضا مرتين .

6 ـ قافية مطلقة مؤسسة موصولة بالهاء المكسورة .
وردت مرة واحدة .

ومجموع أشعارهن ذات المجرى المكسور 33 قصيدة ومقطوعة واتجاههن إليه كان عاليا نسبيا ، وجملة الروي الذي اخترنه هو :
الراء واللام والدال والباء والميم .

ـ <u>مجرى الفتحة</u> : وقد برز تحته ستة أشكال ، هي :

1 ـ قافية مطلقة مجردة من التأسيس والردف ، موصولة بحرف اللين ، ألف .
وقد وردت في أشعارهن 5 مرات .

2 ـ قافية مطلقة مجردة من التأسيس والردف ، موصولة بالهاء .
وردت ثلاث مرات

3 ـ قافية مطلقة مردفة موصولة باللين ، ألف
وردت 4 مرات

4 ـ قافية مطلقة مردفة موصولة بالهاء .
وردت مرة واحدة .

5 ـ قافية مطلقة مؤسسة ، موصولة بحرف اللين ، ألف
وردت مرتين .

6 ـ قافية مطلقة مؤسسة موصولة بالهاء الساكنة .
وردت مرتين .

ـ وأشعارهن التي على مجرى الفتحة 17 مقطوعة وقصيدة ، واتجاههن إلى مجرى الفتحة أقل بكثير من اتجاههن إلى مجرى الكسرة كما مر معنا .

وورد أغلب شعرهن على روي النون والدال والميم .

ـ مجرى الضمة : وتندرج تحته ثلاثة أشكال فقط .

1 ـ قافية مطلقة مجردة من التأسيس والردف ، موصولة بحرف اللين « واو » .
وردت 5 مـــرات

ويلاحظ أنّ نسبة استخدام المجرى المفتوح لدى شاعرنا ارتفعت نسبيا على ما كانت عليه في القديم، بينما انخفضت نسبة استخدام المجرى المضموم لديهم كثيرا.

ويلاحظ أيضا أن اتجاهه إلى القافية المقيدة ب 7ر1% كان ضئيلا اذا قيس بنسبة اتجاهه إلى القافية المطلقة، ولكنه يعتبر مرتفعا جدا اذا قيس بما ذهب اليه ابراهيم أنيس من أنّ ((هذا النوع من القافية قليل الشيوع في الشعر العربي، لا يكاد يجاوز 10% ، وهو في شعر الجاهليين أقل منه في شعر العباسيين)) [1] ومهما يكن من أمر فانّ شاعرنا قد غلب عليه اتجاهه إلى القوافي النزعة التقليدية.

أمّا بالنّسبة للروي فلم يستعمل جميع الحروف فلم ينظم ولو بيتا واحد على حروف :

— العين والخاء وهما لهويّان حلقيان [2]

— ولا الشين والجيم وهما من أدنى الحنك

— ولا الصاد والزاي وهما أدخل أصوات الأسنان في الجهاز وصوتا صفير.

— ولا الظاء والذال والثاء وهي أصوات ما بين الأسنان.

— ولا الطاء وهو أسناني.

وهذه الحروف لم ينظم عليها شوقي أيضا ولو بيتا واحدا [3]، وهي قليلة الاستعمال في الشعر العربي القديم والحديث [4]

---

1) الدكتور ابراهيم أنيس — موسيقى الشّعر، ص : 260

2) استقيت هذه المصطلحات الخاصة بمخارج الحروف من كتاب الأستاذ: محمد الهادي الطرابلسي — خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص : 43

3) انظر المرجع السابق، نفس الصفحة

4) انظر : ميخائيل صوايا — سليمان البستاني — من مقدمة الالياذة، ص : 107 وما بعدها.

د ـ تواتر حروف الروي :

أما الحروف التي استعملها كثيرا ، فهي كالتالي : وقد رتبتها حسب درجة التواتر :

الحرف	نسبة الأشعار
1) الراء	22ر3 %
2) الدال	15ر6 %
3) الميم	13ر2 %
4) اللام	12ر04 %
5) النون	12ر04 %
6) الباء	06ر02 %
7) القاف	04ر3 %

وهذه الحروف الواردة بكثرة في روي أشعار شاعرنا ، هي كثيرة الشيوع في أشعار الشعراء العرب أيضا [1]

أما اذا تساءلنا عن سبب شيوع هذه الحروف أكثر من غيرها في الشعر العربي ، وجدنا السر يرد ربما الى ليونتها وطبيعتها ، فهذه الحروف ـ اللام والميم والنون والراء على الأقل ـ أكثر الأصوات الساكنة وضوحا وأقربها الى طبيعة الحركات [2] ، ((ولذا يميل بعضهم الى تسميتها أشباه أصوات اللين ، ومن الممكن أن تعد حلقة وسطى بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين ، ففيها من صفات الأولى أن مجرى النفس معها تعترضه بعض الحوائل ، وفيها أيضا من صفات أصوات اللين أنها لا يكاد يسمع لها أي نوع من الحفيف ، وأنها أكثر وضوحا في السمع [3])) .

---

1) انظر : ابراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص : 249

2) الطرابلسي ـ خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص : 46

3) ابراهيم أنيس ـ الأصوات اللغوية ، ص : 27 ط 5 مصر 1975 م

هـ - علاقة القوافي بالمعاني :

وكما أن الباحثين نظروا في علاقة البحور بالأغراض ، فقد كانت لهم محاولات أيضا للكشف عن علاقة القوافي بالمعاني ، ونحن لا نستطيع أن نصل الى نتائج موضوعية في هذه المسألة ، لأن شواعرنا نظمن جميع المعاني على أغلب القوافي ، ولم يقيدن قافية بغرض معين ، وهكذا كان الشعراء العرب[1] ((وخير للقوافي أن تبقى مطلقة يتخير منها الشاعر ما شاء فتأتيه ارسالا ، فان سلم ذوقه جاءته منقادة طوعا فحلت محلها والا فلا يسلم الذوق كرها[2])) .

ولكننا اذا ألقينا نظرة على منظومات الشعراء ، ومحصناها بالنقد والمقابلة ، بدا لنا مثلا أن القاف تجود في الشدة والحرب ، والدال في الفخر والحماسة ، والميم واللام في الوصف والخبر ، والباء والراء في الغزل والنسيب ، وهذه نظرة اجمالية اذا صحت من باب التغليب فلا تصح من باب الاطلاق[3] .

- ومن خلال دراستنا لقوافي شواعرنا نصل الى النتائج التالية :

- لم ينظمن على جميع الحروف ، فلم يصلنا ولو بيتا واحدا على حروف الثاء والجيم والخاء والزاي والصاد والظاء والذال والطاء .

- لم يخرجن على عادة الشعراء العرب في استخدام حروف الروي ، حيث حظيت عندهن حروف الراء والدال والميم واللام والنون بأكبر نسبة ، وهي نفس الحروف التي كثرت نسبة شيوعها في أشعار العرب .

- جاء أغلب شعرهن على القافية المطلقة ، وكانت أعلى نسبة منه على مجرى الكسرة ثم الفتحة .

- وهن على العموم يحترمن قواعد القافية ، فلم أعثر في شعرهن على عيب من عيوب القافية ، كالايطاء ، والاقواء . . .

---

(1) ميخائيل صوايا : سليمان البستاني ، من مقدمة الالياذة ، ص : 103
(2) نفس المرجع ونفس الصفحة
(3) المرجع السابق ، نفس الصفحة

وهنّ على العموم يحترمن قواعد القافية ، فلم أعثر في شعرهن على عيب من عيوب القافية ،كالايطاء ، والاقواء . . .

وشعرهن على العموم يخضع لقاعدة ((الوحدات الثلاث)) التي كانت تتحكم في النظم العربي .

— وحدة البحر

— وحدة القافية

— وحدة البناء في شكل عمودي .

خامساً : الأساليب والألفاظ :

يقول الأستاذ أحمد الشايب في تعريف الأسلوب الأدبي : ((هو طريقة الكتابة ، أو طريقة الانشاء ، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الايضاح والتأثير أو هو الضرب من النظم والطريقة فيه [1])) .

ومثل هذا ذهب اليه من قبل عبد القاهر الجرجاني من : ((أن الأسلوب هو المذهب من النظم والطريقة فيه [2])) .

ويقول الدكتور محمد مندور : ((ليس المقصود بالأسلوب طرق الأداء اللغوية فحسب ، بل المقصود منحى الكاتب العام ، وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والاحساس على السواء ، بحيث أننا اذا قلنا ان لكل كاتب أسلوبه يكون معنى الأسلوب كل هذه العناصر التي ذكرناها . [3])) .

وقال بوفون ([illegible]) : ((ان الأسلوب هو الرجل نفسه [4])) .

ومن خلال هذه التعاريف نصل الى أن الأسلوب هو في أقرب مداه تعامل باللغة وفي أبعد مداه تعامل من خلال اللغة مع المجتمع والكون [5] .

ومعنى ذلك أننا عندما نحاول دراسة أسلوب أديب ما ، يجدر بنا ألا نقف عند حدود اللغة والتعابير التي استعملها ، وانما نتعداها الى الاحساسات التي تحسستها بنا أثناء قراءتنا لذلك العمل الأدبي ، وبذلك نتقرب من معرفة الجو الفكري والعاطفي للأديب أثناء ممارسته للابداع ، ولا يتأتى لنا ذلك الا بقراءتنا للنص الأدبي قراءات متعددة ومتأنية .

---

1) الأسلوب — دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، ص : 44 ، ط 7 مكتبة النهضة المصرية ، 1396 هـ — 1976م

2) عبد القاهر الجرجاني — دلائل الاعجاز — (تحقيق الامام محمد عبده والشنقيطي) ص : 361 ، ط المنار بمصر . 1366 .

3) محمد مندور — في الأدب والنقد ، ص : 5 طبعة لجنة التأليف بمصر . 1952

4) ديوان ابن زيدون ، تحقيق علي عبد العظيم ، ص : 94

5) الأستاذ : توفيق بكار — محاضرات في الأدب الحديث قدمها لطلبة السنة الأولى ماجستير ، الشعبة : الأدبية ، بمعهد اللغة والأدب العربي ، في العام الجامعي : 31/12/1980م . وعدنان بن ذريل اللغة والأسلوب ، ص : 37 دمشق ، 1980

وما دمت بصدد دراسة أساليب شاعراتنا ، وذلك من خلال أشعارهن التي بين يدي ، فقد قمت بقراءتها قراءة متأنية لأطبق عليهن هذه المقاييس ، وأوّل ما لاحظته أن أشعارهن في الجملة تخضع لقاعدة ((الوحدات الثلاث)) التي كانت تتحكم في النّظام العربي القديم — وحدة البحر ، ووحدة القافية ، ووحدة البناء في شكل عمودي .

وأسلوبهنّ أسلوب عربي فصيح لأنّهن اخترن الكلام على الأصل العربي ، ولم يزاوجن بينه وبين الدّارج كما فعل بعض الشّعراء الأندلسيين (1).

ومن ثم نستنتج أنّ أسلوبهنّ متأثر بالثقافة العربية ، مشدود الى لغة المشارقة ، فالألفاظ التي تستعملها شاعراتنا هي نفس الألفاظ المعجمية التي نجدها عند الشعراء العرب الآخرين ، لأنّ اللغة قاسم مشترك بين الشعراء جميعا ، غير أنّ للبيئة أيضا دورا في تحديد أسلوب الشاعر وهذا مايتجلى لنا في شعر شواعرنا ، وسنحاول دراسة أساليبهن حسب المستويات الثلاثة : المعجمي والنّحوي والبلاغي (2).

أولا : المستوى المعجمي :

فاذا أمعنا النّظر في الألفاظ التي وظفتها الشّواعر وجدنا أكثرها سهلة عذبة بعيدة عن الاغراب ، وقد يخرجن عن السّهولة أحيانا الى حد الليونة والاسفاف والضّعف وهذا في جميع الأغراض ، ولا سيما في غرض الهجاء حيث نزعن الى الألفاظ البذيئة وذكر السوءات فجاءت ألفاظهنّ ركيكة ، وقريبة من لغة العامة وعامة الشعب في أحايين كثيرة ، غير أن معجمهنّ لا يخلو أحيانا من بعض الكلمات الجزلة .

---

1) أقصد أنّهن لم ينظمن في الموشحات والأزجال ، ولذلك لم يستعملن الكلام الدّارج .

2) وقد استفدت في هذه الدّراسة من المناهج الحديثة في دراسة الأدب كالمنهج البنائي الذي يتزعمه (رولان بارط) والمنهج الانشائي الذي يتزعمه تودروف) من خلال محاضرات في الأدب الحديث ألقاها الأستاذ : توفيق بكار على طلبة السنة الأولى ماجستير ، الشعبة الأدبية بمعهد اللغات والآداب بجامعة عنابة ، في العام الجامعي : 1982/81 م .

وكما ذكرت فأغلب الشواعر عرفن بسهولة الأساليب [1]، وعذوبة الألفاظ، ومن ذلك قول نزهون بنت القلاعي الغرناطية :

لله درّ اللّيالي ما أحيسنها — وما أحيسن منها ليلة الأحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت — عين الرّقيب فلم تنظر الى أحد
أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمر — بل ريم خازمة في ساعدي أسد

وقول حفصة بنت الحاج الركونية في حبيبها الذي عزّ عنها :

سلام يفتّح زهر الكمام — وينطق بالشّدو ورق الغصون
على نازح قد ثوى في الحشا — وان كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا البعد ينسيكم — فذاك والله ما لا يكون

فنلاحظ أنّ أغلب ألفاظهن سهلة عذبة، لا تحتاج في فهمها للرّجوع الى القاموس، وأكثر شعر الغزل من هذا القبيل.

ومن أساليبهن الجزلة قول حسانة التميمية في مدح الأمير عبد الرحمن الأوسط :

---

1) وقد عرّف العرب أربعة أنواع من الأساليب هي : الأسلوب الجزل، والأسلوب السّهل، والأسلوب السوقي، والأسلوب الحوشي.
فالأسلوب الجزل هو القوي الشديد، واللفظ الجزل خلاف الركيك، وهو الكلام الذي تعرفه العامة اذا سمعته ولا تستعمله في محاوراتها.
والأسلوب السّهل هو ما خلا من ألفاظ العامة وارتفع عن ألفاظ السوقة.
والأسلوب السوقي : هو ما كان المعنى فيه سوقيا واللفظ باردا وفاترا، والفاتر شر من البارد، فمثل هذا الأسلوب يكون مهلهلا دنا ومستهجنا، ملفوظا ومذموما مردودا.
والأسلوب الحوشي : وهو ما تغلب عليه الألفاظ الغريبة الحوشية أو الوحشية، تلك التي تحجب جوهر المعنى وتنزلق به الى الغموض والابهام. [illegible] عن :
الدكتور عبد العزيز عتيق : في النقد الأدبي، ص: 152، 154، 155، 157، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ط 2 سنة 1972م، 1391 هـ

إلى ذي النّدى والمجد سارت ركائبي ... على شحط تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعي إنّه خير جابر ... ويمنعني من ذي الظلامة جابر
فإنّي وأيتامي بقبضة كفّه ... كذي ريش أضحى في مخالب كاسر
جدير لمثلي أن يقال مروعة ... لموت أبي العاصي الذي كان ناصري
سقاه الحيا لو كان حيّاً لما اعتدى ... علي زمان باطش بطش قادر
أيمحو الذي خطّته يمناه جابر ... لقد سام بالأملاك إحدى الكبائر

ونلاحظ أنّ معجم الألفاظ الموظفة في هذه المقطوعة جزلة قوية مثل : ذي الندى – ركائبي – شحط – تصلي – الهواجر – صدعي – الظلامة – سقاه الحيا – . . . وهي كلمات متداولة في الكلاسيكية ، وكثيرة الاستعمال في الشعر العربي القديم ، وهذا يدلنا على تأثر شاعرتنا بالشعر والشعراء المشارقة الذين عرفوا بجزالة ألفاظهم .

ومنهن من يؤثرن أحيانا الألفاظ المستهجنة الرّكيكة السوقية ، كقول ولادة في هجاء ابن زيدون .

ولقّبت المسدّس وهو نعت ... تفارقك الحياة ولا يفارق
فلوطيّ ومأبون وزان ... وديّوث وقرنان وسارق

لقد استعملت بعضهن مثل هذه الألفاظ المستهجنة بكثرة سيّما في غرض الهجاء، ولذلك يحق لنا أن نعد أساليبهن التي تحتوي على هذا النحو ضمن الأساليب السوقية .

الخلاصة :

ومما سبق نصل إلى النتائج التالية :

1- أنهن نظمن على ثلاثة أنواع من الأساليب ، الأسلوب السهل السلس ، الأسلوب الجزل ، الأسلوب السوقي ، ولم ينظمن على الأسلوب الحوشي .

2- أغلب شعرهن في الغزل ووصف الطبيعة نظم بأسلوب سهل سلس . . .

3- أكثر شعرهن في الهجاء نظم بأسلوب سوقي ولغة ركيكة مستهجنة .

4- أغلب شعرهن في المدح تميل بأسلوب جزل ولغة قوية .

غير أنّ السمة الغالبة على أساليبهن هي سهولة الألفاظ ورقة العبارات ورشاقة التراكيب ، ولعل ذلك يعود الى طبيعة الأندلس الناعمة التي نبت فيها هذا الشعر، والى الترف الذي يصقل أساليب التعبير ، والى حضارة الأندلسيين العريضة التي عاشوا فيها .

وقد يكون السبب أيضا في عذوبة الألفاظ ورقة الأساليب عند الأندلسيين بشكل عام ، أنّ أغلب موضوعاتهم هي الغزل ووصف الطبيعة ، وهما غرضان تقتضي طبيعتهما عذوبة الألفاظ ورقة الأساليب (1) .

وتنتمي المفردات التي استعملتها الشاعرات في شعرهن الى أودية شتّى ، وهي تتوزع عليها حسب نسب متفاوتة .

1 — **الكلمات السياسية :**

وهي قليلة جدّا لاتكاد تتعدى بعض المفردات : الأمم — البنود — الجنود — تذل الملك العرب والعجم (حسانة) ، وكقول أسماء العامرية في مدح الخليفة عبد المؤمن بن علي .

ألا عرفنا النصر والفتح المبينا لسيدنا أمير المؤمنينا

وقول الشلبية :

— ناد الأمير اذا وقفت ببابه يا راعيا ان الرّعية فانية

وكذلك قول جارية العد تمد المرابطية الأرومة تخوفه من المرابطين :

ان خوّفوك لقيت كلّ كريهة أو أمّنوك حللت دار قرار

وفي الجملة فان المفردات السياسية فقيرة جدا في أساليبهنّ ، ولعل ذلك يعود الى أنّ السياسة موضوع خطر فتحاشينه ، أو ربما يعود السبب كذلك الى أنّ المرأة بطبيعتها لا تهتم كثيرا بالسياسة .

2 — **الكلمات الدينية :** ومن الكلمات المستخدمة في مجال الديانات — الله يارب — حفظ الله ، النبي — جنة — الفردوس — المؤمنين — طوبى — السّلسبيل — المصطفى — الامام — البشير — وبعض هذه المفردات تكرر كثيرا في أشعارهن ،

1) انظر الدكتور محمد كامل الفقي : في الأدب الأندلسي ، ص : 15 وما بعدها دار الفكر العربي — ط 1 سنة 1975م .

والملاحظ أن المفردات الدينية متوفرة الى حد ما ، يجسمه عدد كبير من المفردات وخير من يمثل هذا الاتجاه الشاعرة أم السعد بنت عصام الحميري ، حيث تتغزل في تمثال نعل النبيّ (ص) تكملة لقول غيرها :

سألثم التّمثال اذا لم أجد ... للثم نعل المصطفى من سبيل

....

لعلني أحظى بتقبيله ... في جنة الفردوس أسنى مقيل

في ظل طوبى ساكنا آمنا ... أسقى بأكواس من السلسبيل

وأمسح القلب به علّه ... يسكن ما جاش به من غليل

فطالما استشفى بأطلال من ... يهواه أهل الحبّ في كل جيل

وإذن فأساليبهن تتسم في قسم كبير من مادتهن اللغوية بسمة اسلاميّة أي : أنّهن اقتبسن كثيرا من ألفاظهن من القرآن الكريم ومن العلوم الدينية ، واتجاههن الى الألفاظ الدينية جاء نتيجة نزعة تدين عند بعضهن كما عند أم السعد ، وجاء عرضا عند بعضهن كما عند ولادة وعند حفصة بنت الحاج .

3 — **الكلمات اللا أخلاقية :** متوفرة الى حد كبير : ذميم — كلب — جهول — (حفصة الحجارية) — جهول — أبله — لوطي — مأبون — زان — ديوث ، قرنان — سارق — سفيه — أنوك —

ونلاحظ أن الكلمات المتصلة بالجنس كثيرة جدا (أنظر ولادة — نزهون — مهجة) ونستدل من ذلك أنّهنّ نزعن الى أسلوب التصريح ، كما نستنتج من ذلك أنّ أغلب الشواعر كنّ متحطات الأخلاق حيث تجرأن على استعمال الألفاظ السوقية والكلمات الجنسية التي لم يتجرأ الرّجل على روايتها .

4 — **الكلمات العاطفية :** ثرية وتساهم بقسط كبير في تكوين مادة الكلام لدى شواعرنا ، وتندرج تحتها مفردات الحب ومشتقاته ، والكلمات المطبوعة بطابع الشاعر : أخشى — أحب — مروعة — موجهة — الدّموع — خشيت — لي حبيب — عتاب — (أنظر حسّانة وحفصة الحجارية) — وتندرج ضمن الكلمات النفسية أو الداخلية أغلب مفردات الغسانية البجانية في قولها :

أتجزع ان قالوا ستظعن أظعان — وكيف تطيق الصّبر ويحك ان بانوا

وما هو الاّ الموت عند رحيلهم — والاّ فعيش تجتنى منه أحزان

عهدتهم والعيش في ظلّ وصلهم — أنيق وروض الدّهر أزهر ريّان

ليالي سعد لا يخاف على الهوى — عتاب ولا يخشى على الوصل هجران (1)

ونلاحظ أن المفردات التي تنتمي الى معجم العاطفة أو الى المعجم النفساني متوفرة في شعر شواعرنا بكثرة ، ويتعذر علينا احصاؤها جميعها في هذه العجالة وانما نشير الى أنّ أكثر الكلمات ، النّفسانية مطبوعة بطابع الحب ومشتقاته — هجران — فراق — الخ —

كما نلاحظ أن هناك ألفاظا ذات مدلول اباحي تنتمي الى لغة العواطف الغريزية ، كما عند حفصة بنت الحاج الركونية ، اذ تقول :

ثنائي على تلك الثّنايا لأنني — أقول على علم وأنطق عن خبر

وأنصفها لا أكذب اللّه أنني — رشفت بها ريقا أرقّ من الخمر

5— الالفاظ ذات الصلة بالاجتماع :

وهذا الضّرب من الألفاظ كثير في شعرهنّ ، فمن ذلك : الى ذي النّدى والمجد سارت ركائبي — ذو الظلامة جابر — نسب — لم تزغ الظلامة لي (حسادة) حليف الجود ابراهيم — متبخترات في النّعيم — (قمر) .

وتكثر الكلمات التي تدل على وضع اجتماعي معين ، وهو انتشار الرق في المجتمع الأندلسي ، ومنها كلمتا : عبيد وجوار ، حيث كان لدى بعض الشواعر — عبيد وجوار — ونستدل على ذلك من قول حفصة بنت حمدون الحجارية :

يا ربّ انّي من عبيدي على — جمر الغضا ما فيهم من نجيب

امّا جهول أبله متعب — أو فطن من كيده لا أخيب

---

1) أنظر بقية الأبيات — الغسانية البجانية — في بحثنا هذا .

وقول ولادة تعاتب صاحبها ابن زيدون :

لو كنت تنصف في المودة بيننا لم تهو جارتي ولم تتخيّر
وتركت غصنا مثمرا بجماله وجنحت للغصن الذي لم يثمر(1)

ومن التعابير التي تبين لنا وضع المرأة الاجتماعي في المجتمع الأندلسي في تلك الفترة قول ولادة :

أنا واللّه أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها
أمكّن عاشقي من صحن خدّي وأعطي قبلتي من يشتهيها

والملاحظ أنّ المصطلح الاجتماعي من أكثر المصطلحات حضورا في شعر شواعرنا ومن خلاله نتبين وضع المرأة في المجتمع الأندلسي في تلك الفترة ، ومن خلاله أيضا نستنتج أن بعض الشواعر كنّ ينتسبن الى بيوت المجد والسلطان ، فكنّ يملكن العبيد والجواري ، وبعضهن الآخر كن من دهماء الشعب وعامته ، فكن يستعطفن الأمراء من أجل الحصول على لقمة العيش ، وبعضهن كنّ جواري ، وسنعود للتحدث عن هذه النقطة بالتفصيل في مكان آخر من بحثنا هذا .

٤ — ألفاظ من البيئة أو من الطبيعة :

وهذه تساهم بقسط كبير في تكوين مادة الشعر لدى شواعرنا فمنها : الواكف الدّيم — الحيا — نار الهواجر — مخالب كاسر — كذي ريش — (حسانة) — الليل — البدر — النّجم — الشمس — السّماء — الغصن — الأرض — هاطل الوبل — نخلة — طير الأبابيل — (ولادة) البحر — السواقيا — شمس — قمر — (نزهون) بستاني — القضب — (أم العلاء) — الضراغم — الكواكب — الأسود — كلب — (عائشة القرطبية) — الرياض — القمري — الغزال — النّهر — (حفصة بنت الحاج) . . . الخ

1) أنظر بقية الأبيات في بحثنا هذا — ولادة —

7 - وأجمل ما وصلنا من ألفاظ في الطبيعة ، وأعني الصور المتصلة بألفاظ الطبيعة قول حمدونة في وصف واديها :

وقانا لفحة الرّمضاء واد	سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا	حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا	ألذّ من المدامة للنّديم
يصدّ الشمس أنّى واجهتنا	فيحجبها ويأذن للنّسيم
يروع حصاه حالية العذارى	فتلمس جانب العقد النّظيم

ونلاحظ أنّ أسلوبهنّ — من حيث معجم الطبيعة — مشدود أحيانا الى الطبيعة الصامتة ، وأحيانا أخرى الى الطبيعة الحية ، ويمثّل البيئة الأندلسية في بعض معجمه ، وينفصل عنها في البعض الآخر ، فالمفردات التي تمثل البيئة الأندلسية كما في مقطوعة حمدونة السالفة الذكر ،وكما في قول أم العلاء بنت يوسف الحجارية تصف بستانها :

لله بستاني اذا	يهفو به القضب المندّى
فكأنّما كفّ الرّيا	ح قد أسندت بندا فبندا

فقاموسهن اللّغوي هنا لا ينفصل عن البيئة الأندلسية التي تشتهر بجمال طبيعتها ، أما مفردات الطبيعة المثقلة بالأصداء الجاهلية والعباسية فمثل قول حسانة : سقته الواكف الديم — كذي ريش أضحى في مخالب كاسر — سقاه الحيا — وكقول قسمونة : ياظبية ترعى بروض — أرى روضة قد حان منها قطافها — فمعجمهن هنا هو نفس المعجم الذي كان القدامى يستعملونه ، ولذلك جاءت أساليبهن تقليدية لأنّهن يعبرن من خلال مخزونهن الثقافي .

كانت هذه أهم المصطلحات التي يمكن أن نرد اليها مجمل ما تركيب منه شعر الشواعر ، ولما كان من الصعوبة بمكان احصاؤها جميعها في هذا البحث فقد اكتفيت بذكر هذه النماذج .

7 ـ الكلمات المادية والمعنوية :

فإذا قمنا بإحصاء الكلمات ذات المدلول المادي ، والكلمات ذات المدلول المعنوي في شعر شواعرنا وجدنا الكلمات ذات المدلول المعنوي أوفر بكثير من الكلمات ذات المدلول المادي ، وذلك لأن الكلمات المعنوية وثيقة الصلة بأغراضهن الشعرية ، لقد ذكرنا سابقا ـ عند حديثنا على أغراضهن الشعرية ـ أنّ أغلب الأغراض التي غلبت على شعرهن هي : الغزل والمدح والهجاء، وهذه الموضوعات تتطلب منهن أن يكون معجمهن المعنوي أوفر من معجمهن المادي ، لأن المعجم المعنوي أكثر صلة بهذه الموضوعات ، فهو متأصل في المعاني المجردة وثيق العلاقة بالعواطف ، الحب ومشتقاته ، المدح وصفاته : ، الهجاء وتصريفاته . . . .

ومع ذلك فلا يخلو معجمهن من المفردات الحسية سيما في وصف الطبيعة بنوعيها وعند ذكرهن لأهم معطيات المشهد الطبيعي .

سابعا : المستوى النّحوي :

ونعني به هل التزمت الشاعرات بقواعد النّحو أم خالفته ، وأول ما نلاحظه على شعرهن أنّه معرب في مجمله ، وأنهن التزمن بقواعد اللغة العربية ، أي : أنّهن لم ينظمن في فنون الشعر المستحدثة كالموشحات والأزجال وغيرها .

وجملهن متفاوتة بين الطّول والقصر ، وطول الجمل غالبا ما يكون بالخبر المتكرر، كقول حسانة في مدح عبد الرّحمن الأوسط :

ابن الهشامين خير الناس مأثرة وخير منتجع يوما لروّاد

وكقول ولادة :

أنا واللّه أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها

أو بالعطف كقول قمر في حنينها الى بغداد :

آها على بغدادها وعراقها وظبائها والسّحر في أحداقها

ومجالها عند الفرات بأوجه تبدو أهلّتها على أطواقها

وشعرهن خال من الأخطاء اللغوية الا فيما ندر ، كما عند شاعرتنا سرونة بنت اسماعيل اليهودي التي تقول :

أرى روضة قد حان منها قطافها ولست أرى جان يمد لها يدا

فقد خالفت قواعد النحو في قولها : ((ولست أرى جان يمد لها يدا))، وكان يجب عليها أن تقول : ((ولست أرى جانيا)) لأن الياء تثبت في اسم المنقوص في حالة النصب ، وتحذف فقط في حالتي : الرفع والجر ، أو تقول دون أن تخالف النحو والوزن ((وليس يرى جان يمد لها يدا)) .

ولعل ذلك يعود الى كون شاعرتنا يهودية الأرومة .

كما نجد خطأ صرفيا عند شاعرتنا أم السعد بنت عصام الحميري في قولها :

سألثم التمثال اذا لم أجد يلثم نعل المصطفى من سبيل
لعلني أحظى بتقبيله في جنة الفردوس أسنى مقيل
في ظل طوبى ساكنا آمنا أسقى بأكراس من السلسبيل

حيث أخطأت صرفيا عندما جمعت كأس على أكراس ، وجمع كأس : كؤوس وأكؤس وكأسات وكئاس .

وفي الجملة فان شعر شواعرنا خال من الأغلاط النحوية .

ثالثا : المستوى البلاغي (الصور والأخيلة)

المستوى البلاغي مصطلح حديث يستعمل للدلالة عن الصور والأخيلة ، وتطلق الصورة الشعرية أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات [1] ، والتصور

---

1) الدكتور مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ، ص : 3 ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 2، 1401 هـ — 1981 م .

ينشأ عن الادراك الحسي[1]، وهو ((استحضار صور المدركات الحسية عند غيبتهما عن الحواس من غير تصرف فيها بزيادة أو نقصان ، أو تغيير أو تبديل))[2].

((والصورة الشعرية مع غيرها من الصور والأدوات الفنية الأخرى ، تشكّل ((التسيدة)) التي تكون الموازي الشعري لواقع الشاعر الطبيعي والنّفسي أو الاجتماعي[3])) .

أمّا الخيال أو التخيل فينشأ عن التّصور ، والخيال أنواع[4]، يهمنا منهما هنا التخيل الانشائي أو الابتكاري ، وذلك لما له من علاقة وثيقة بالعمل الأدبي والتخيل الابتكاري هو في حقيقته ابداع صور لا واقع لها وانما يركبها الخيال[5]

---

1) الادراك الحسي هو أساس العمليات العقلية ، وهو يعني الادراك بواسطة الحواس ، وذلك كادراك ألوان الأشياء وأشكالها وأحجامها وأبعادها بواسطة البصر ، وكادراك الأصوات والنغمات بالسمع ، وادراك الطعوم بالذّوق ، والروائح بالشم ، وملمس الأشياء باللّمس .

ومعنى ذلك أنّ الادراك الحسي هو ادراك المرئيات ، والمسموعات، والمذوقات والمشمومات والملموسات بواسطة الحواس الخمس (الدكتور عبد العزيز عتيق : في النّقد الأدبي ، ص : 63 ، دار النّهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 2 ، 1391 هـ — 1972م) .

2) المرجع السابق ، ص : 63

3) مدحت سعد محمد الجبار : الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي ، ص : 6 الدار العربية للكتاب — المؤسسة الوطنية للكتاب — سنة 1984 م .

وانظر الدكتور عز الدين اسماعيل : التفسير النّفسي للأدب ص : 39 وما بعدها ، وأنظر أيضا : رينيه ويليك : نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي ، ص : 240 وما بعدها .

4) أنظر أحمد أمين : النقد الأدبي ج 1، ص : 37 وما بعدها ، والدكتور محمد زكي العشماوي : قضايا النقد القديم والحديث ، ص : 44 وما بعدها .

5) انظر الدكتور عبد العزيز عتيق : المرجع السابق ، ص : 72 .

كاستحضار صورة حيوان رأسه رأس طائر وجسمه جسم سمكة ، فالجمع بين الصورتين هو عملية التخيل [1]، لأن الصورة المستحضرة غير مألوفة في عالم الواقع ، وهذا هو التخيل الابتكاري أو الانشائي أو الاختراعي [2].

أما التخيل بمعناه العام: فيعني استحضار صور ذهنية لمدركات حسية على سبيل الاطلاق ، أي : سواء أسبق ادراك هذه الصور ادراكا حسيا في عالم الحقيقة أم لم يسبق ادراكها ، فالتخيل بمعناه العام ينقسم الى قسمين، ويشمل التخيل الابتكاري السالف الذكر والتصور : وهو التخيل الاستحضاري ويسمى أيضا التخيل التذكاري أو التذكري أو التصوري .

واذن فالصور والأخيلة ((ما هي الا تجسيم للأفكار التجريدية ، والخواطر النفسية والمشاهد الطبيعية ، حسية كانت أم خيالية على أسس من المبادىء الموضحة آنفا [3])) .

وما دام عملنا تطبيقيا في هذه المسألة فلن ندخل في التفاصيل ، ونعود الى شواعرنا ومدى توفيقهن في استعمال الصور والأخيلة في شعرهن ، ونذكر الوسائل البيانية التي استخدمنها ، وهل وردت في أشعارهن بكثرة أم لا ؟

فشواعرنا كبقية الشعراء يستعملن كلمات المعجم تارة على وجهه الحقيقة ، وتارة على وجه الخيال ، والمتمعن في شعرهن يجد تداخلا بين الحقيقة والخيال الذي تزدحم فيه الصور الجميلة التي انتزعنها من الطبيعة الأندلسية الفاتنة التي تزخر بالجمال ، وهناك نوع آخر من الصور استمددنه من خلال مخزونهن الثقافي الناشىء والمترسب من تقليدهن للشعراء العرب القدماء .

---

1) أحمد أمين : النقد الأدبي ، ج 1 ، ص : 32 وانظر ما بعدها .
2) انظر الدكتور عبد العزيز عتيق : في النقد الأدبي ، ص : 72
3) الدكتور محمد الصادق عفيفي : النقد التطبيقي والموازنات ، ص : 150 مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء ، سنة 1972 .

ومن أجمل الصور المنتزعة من البيئة الأندلسية ، تلك الصور الرائعة التي صورت بها حمدونة واديها ، اذ تقول :

وقانا لفحة الرمضاء واد | سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا | حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا | ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا | فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى | فتلمس جانب العقد النظيم

وقد أسندت الشاعرة الحنو الى الدوح ، حيث أسعفها في وصفها للوادي التصور والتخيل معا ، فاعتمدت على التصور في قولها : أن الدوح يصد الشمس ويسمح للنسيم ، وفي وصفها لماء الوادي الجاري في جداوله بأنه زلال روى ظمأها وظمأ صواحبها .

واعتمدت على التخيل في ادعائها أن فروع الدوح وأغصانه حنت عليهم ، وفي زعمها أن ماء الوادي ألذ من المدامة للنديم .

ويلاحظ أن الخيال في هذه المقطوعة تشكل من عدة صور بيانية وهذا ما يمكن أن نسميه ((بالخيال المؤلف [1])) .

ويلاحظ أيضا : أن وصف الشاعرة للوادي على نوعين : وصف واقعي صورت به الوادي على حقيقته ، وخيالي مثلته مجازيا .

كما يلاحظ أن هذه الصور البراقة انتزعتها الشاعرة من الطبيعة الأندلسية الفاتنة .

وقد تكررت الصور الفاتنة التي انتزعت من الطبيعة في شعر حمدونة ، حيث خرجت الى واديها مع جوار ، وكانت تهوى جارية منهن ، فقالت تصف جمالها ، وجمال النهر :

---

(1) انظر عن الخيال المؤلف أحمد أمين : النقد الأدبي ، ج 1 ص : 40

أباح الدّمع أسراري بوادٍ ... له للحسن آثار بواد
فمن روضٍ يطوف بكلّ أرضٍ ... ومن روضٍ يطوف بكلّ واد
ومن بين الظباء مهاة إنسٍ ... سبت لبّي وقد ملكت فؤادي
لها لحظ ترقّده لأمرٍ ... وذاك الأمر يمنعني رقادي
اذا أسدلت ذوائبها عليها ... رأيت البدر في أفق الدّآدي

فالشاعرة فتنها جمال النّهر وجمال ، الفتاة التي تهواها ، فشكلت لنا صورتين شعريتين بصريتين ، في الصّورة الأولى وصفت لنا نهرا ينساب تحيط به البساتين والرياض من كل جانب ، وفي الصورة الثانية ، وصفت لنا ظبية انس سبت لبّها وملكت فؤادها ، وتلك الفتاة لها لحظ جميل ترقده ، وشعر أسود ووجه مستدير كالبدر ، فتنة هذه الفتاة تجذب الشاعرة وتؤرقها .

1 ـ نلاحظ أنّ الصورتين الشعريتين بصريتان ، ترتقان لحاسة البصر .
2 ـ الصورة الأولى منتزعة من البيئة الأندلسية لأنّ الشاعرة تصف واديا معروفا في الأندلس ـ وادي شنيل .
3 ـ الصورة الثانية اعتمدت فيها على مخزونها الثقافي ، فتشبيه الفتاة بالظبية أو المهاة واستدارة الوجه وبياضه بالبدر ، والشعر بالليل ، صور شعرية قديمة ومعروفة عند جميع الشعراء .
4 ـ وصفها كذلك في هذه المقطوعة على نوعين : واقعي يصور الأمور على حقيقتها وخيالي يمثلها مجازيا .
5 ـ ويمكن أن نسمي هذا النوع من الخيال ـ استعارات متعددة ـ ((الخيال المؤلف)) لأنّه يؤلف بين مناظر مختلفة .
6 ـ نلاحظ أيضا أن الشاعرة اعتمدت على المحسنات البديعية في هذه المقطوعة كالجناس بين ، برادي وبوادي في البيت الأول ، وبين روضٍ وروضٍ في البيت الثاني وهو جناس تام في كلتا الحالتين ، واذا كنت فصلت الحديث في الصور والأخيلة عند حمدونة ، فلن نفصل نفس الشيء مع بقية الشواعر ، لأنّ بحثنا هذا لا يتسع لذلك ، ولربما فصلت ذلك في ظرف آخر .

---

(1) الدآدي : ثلاث ليال من آخر الشهر .

وأمّا الشاعرة حسانة التميمية ، فقد كانت من أوائل الشاعرات الأندلسيات اذ عاشت في عهد الامارة ، ولذلك جاءت صورها الشعرية تقليدية اعتمدت فيها على موروثها الشعري ، اذ تقول :

الى ذي النّدى والمجد سارت ركائبي على شحط تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعي انّه خير جابر ويمنعني من ذي الظلامة جابر
فاني وأيتامي بقبضة كفّه كذي ريش أضحى في مخالب كاسر
جدير لمثلي أن يقال : مروعة لموت أبي العاصي الذي كان ناصري
سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى على زمان باطش بطش قادر (1)

فقد أعطت الشاعرة صورة دقيقة ناطقة لها ولأطفالها حينما لجأت الى التشبيه في البيت الثالث حيث شبهت نفسها وأولادها بطائر بري وقع في قبضة وحش كاسر ، وهو تشبيه حال بحال ، كما اعتنت بعض الشيء في هذه المقطوعة بالزخرفة والتنميق حين جانست بين جابر الذي يجبر ما حل بها ، وجابر عامل البيرة الذي ظلمها ، وهو جناس تام ، وجانست أيضا بين الحيا وحيا ، ونلاحظ أن تصوير الشاعرة لها ولا بنائها على نوعين : واقعي وخيالي ، لكنها مقلدة في الحالين : فقد استهلت الأبيات بالمدى التقليدي على عادة الشعراء القدامى حين صورت نفسها بقصيدة ، وقد شدت الرّحال في اتجاه الممدوح ، وتصويرها الخيالي أيضا تقليدي ، فتشبيهها لها ولأطفالها بالطائر البري الذي وقع في قبضة وحش كاسر صورة تقليدية تجسد مثلها عند الحطيئة في اعتذارياته لعمر بن الخطاب عندما سجنه ، وعند غيره من الشعراء القدامى .

وقد اعتمدت بعض الشواعر في بناء الصّور والأخيلة على المبالغة والتفخيم والادعاء ، كقول عائشة القرطبية في المظفر بن المنصور بن أبي عامر حين دخلت عليه ، وكان بين يديه ولده :

....

1) انظر بقية الأبيات في بحثنا هذا حسانة

فسوف تراه بدرا في سماء — من العليا كواكبه الجنود
وكيف يخيب شبل قد نمته — الى العليا ضراغمة أسود
فأنتم آل عامر خير آل — زكا الأبناء منكم والجدود
وليدكم لدى رأي كشيخ — وشيخكم لدى حرب وليد (1)

لقد بالغت شاعرتنا وأسرفت في مدحها للمظافرين المنصور وبني عامر حين ... رته وادّعت بأنّ وليدهم كأنّه شيخ محنّك ، تصدر عنه الآراء السديدة ، وشيخهم ... الحرب كأنّه شاب في ميدان الشباب يخوض غمار الحرب بقوة وفتوة .

ويلاحظ أنّ هذه الصورة الخيالية التي أتت بها الشاعرة كتشبيهها لابن المظفر ... بدر من العلياء ، كواكبه الجنود ، واستعمالها للصور ، شبل ، وضراغم ، وأسود ، ... قديمة طرقها الشعراء من قبل ، فلا ابتكار فيها ولا جدة ، وقد اعتمدتها ... شاعرة من خلال مخزونها الثقافي .

وقد تكررت كلمات — أسد وبدر وشمس في صور وأخيلة الشواعر كثيرا ، سيما ... غرضي المدح والغزل ، ومن ذلك قول حفصة بنت حمدون الحجارية تمدح ... من جميل :

رأى ابن جميل أن يرى الدّهر مجملا — فكلّ الورى قد عمّهم سيب نعمته
له خلق كالخمر بعد امتزاجها — وحسن فما أحلاه من حين خلقته
بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره — عيونا ويعشيها بافراط هيبته

فبالاضافة الى صورة الشمس التي ترمز الى الجمال الباهر ، فقد ... بهت خلقه بالخمر بعد امتزاجها ، وهما صورتان تقليديتان ، ... رددتا كثيرا في شعر العرب ونلاحظ في أبياتها الثلاثة صورة ... جازية أخرى ، كاستعمالها المجاز العقلي في نسبتها الاجمال الى ... الدهر في البيت الأول .

---

(1) انظر الأبيات كاملة — عائشة القرطبية — في بحثنا هذا .

وتستعمل ولادة أيضا — الشمس والبدر والنجم — صورا في شعرها ، ولكن بأسلوب يختلف ويتباين عن الشواعر الأخريات من ناحية مضمونها ، حين تقول متغزلة في ابن زيدون في أيام الصفاء .

وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح — وبالبدر لم يطلع وبالنّجم لم يسر

فالشمس كما هو معروف هي مصدر الحرارة والضياء ، ولذلك فهي تمثل في نظر الشعراء ، الضياء والجمال الباهر ، والسعادة والسرور وحياة النعيم والرفاهية والبدر كذلك يعبّر منذ قديم الزمان وعند سائر الشعراء عن الجمال الباهر لوجه مستدير لطيف أبيض الأديم [1]، وبهذه التشبيهات استعملت الكلمات عند شواعرنا الا أنّ ولادة استعملتها بأسلوب مغاير حيث أدّعت بأنّ ما بها من الحرقة والشوق تجاه حبيبها تعجز عن تحمله الشمس والبدر والنّجم ، ولذلك فهي تعبر بها عن القوة ، وبالرغم من كونها اختلفت عن الشواعر الأخريات بهذا التصوير الاّ أنه ليس جديدا على الشّعر العربي ، فقد طرقه الشعراء العرب من قبل كالمتنبي وغيره وقد وافقت شاعرتنا نزهون هذه الصور — الشمس ، القمر الأسد — توظيفا جميلا في قولها :

للّه در الليالي ما أحيسنها	وما أحيسن منها ليلة الأحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت	عين الرّقيب فلم تنظر الى أحد
أبصرت شمس ضحى في ساعدي قمر	بل ريم خازمة في ساعدي أسد

وقد ترددت كثيرا في أشعارهن الصور والأخيلة المنتزعة من الطبيعة الحية فضلا عن الصور المستوحاة من الطبيعة الصامتة ، كالأسد الذي يعبّر عن الشجاعة والاقدام والقوة ، والغزال الذي يعبّر عن اللطافة والرشاقة بجمال العيون .

---

(1) حمدان حجاجي — حياة وآثار الشاعر الأندلسي ، ابن خفاجة ص : 302 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 2 سنة 1982 م .

ومن الصّور الطريفة التي تمثل الطبيعة في مظاهرها ، قول حفصة بنت الحاج من أبيات غزلية :

زائر قد أتى بجيد الغزال مطلع تحت جنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت ورضاب يفوق بنت الدّوالي
يفضح الورد ما حوى منه خدّ وكذا الثغر فاضح للآلي

فهذه الصور والخيالات المنتزعة من الطبيعة بنوعيها ، كثيرا ما تتكرر عند شاعرتنا وعند غيرها من الشواعر ، ومنه قولها تردّ على أبيات بعث بها اليها حبيبها أبوجعفر بعد افتراقهما :

لعمرك ما سرّ الرياض بوصلنا ولكنّه أبدى لنا الغلّ والحسد
ولا صفق النّهر أرتياحا لقربنا ولا غرّد القمريّ الّا لما وجد
....(1)

ملاحظات ختامية حول الصور والأخيلة :

وفي ختام حديثنا عن الصور والأخيلة في شعر شواعرنا يجدر بنا أن نشير أوّلا الى أننا لا نستطيع أن نحصي كل الصّور والأخيلة التي استعملتها الشواعر ، وانما أشرت الى ما عساه تكون فيه الكفاية ، وقد استنتجت من خلال ذلك مايلي :

1 — أنّهن صغن صورا وأخيلة من القديم — استعارات — تشبيهات — كنايات — محسنات بديعية ...
2 — أخيلتهن منتزعة أحيانا من الطبيعة الأندلسية الفاتنة بمظهريها : الحية والصامتة — ومستمدة أحيانا أخرى من مخزونهن الثقافي ، أي : مقلدات فيها للمشارقة .
3 — بعضهن اعتمدن في بناء صورهن وأخيلتهن على المبالغة والتفخيم والزعم والادعاء ...

---

(1) انظر الأبيات كاملة — حفصة بنت الحاج الركونية في بحثنا هذا

4 — صورهنّ على نوعين : صور واقعية تصور الأمور على حقيقتها ، وصور خيالية تمثلها بطريق المجاز .

5 — جلّ الصّور والأخيلة في أسلوبهن منبثق من المدارك الحسية ، وكانت حاسة البصر أنشطها في تشكيل الصور ، أي : أنهن بصريات اهتممن في أخيلتهن بالمرئيات حيث كان ادراكهنّ للمرئيات واضحا ودقيقا ومستوعبا — خيال ((بصري)) .

أما حاسة السمع : فلها بعض الحضور في عمل الخيال ، كقول حفصة بنت الحاج في البيتين السّالفي الذكر :((صفق النهر ارتياحا لقربنا)) وقولها في مكان آخر :

سلام يفتّح زهر الكمام   وينطق بالشّد و ورق الغصون (1)

ففي ((صفّق النّهر ارتياحا لقربنا)) استعارة ، وهي صورة سمعية ، أي : تخيل بوسيلة الأذن ، وكذلك في ((ينطق بالشد و ورق الغصون)) .

ومن الصور الذّوقية قول حفصة أيضا تصف تجربة عاشتها مع حبيبها أبي جعفر :

ثنائي على تلك الثّنايا لأنني   أقول على علم وأنطق عن خبر

وأنصفها لا أكذب اللّه أنني   رشفت بها ريقا أرق من الخمر

فهنا صورة شعرية ذوقية لأن الشاعرة تصور لنا بصدق ريق حبيبها الذي رشفت منه والذي هو أرق من الخمر كما زعمت .

ومن الصور التي تدرك بحاسة الشم قول حفصة بنت الحاج :

سار شعري لك عنّي زائرا   فأعر سمع المعالي شنفه

وكذاك الرّوض اذ لم يستطع   زورة أرسل عنه عرفه

---

(1) انظر بقية الأبيات — حفصة بنت الحاج الركونية — في بحثنا هذا

أمّا حاسة اللمس فتبدو كالمعطّلة ، بحيث لم أعثر على صور تدرك بحاسة اللمس .

وبعد هذه الالمامة بالناحية الفنية من حيث الشكل ، وبعد أن تعرضت للأوزان والقوافي والألفاظ والأساليب والصور والأخيلة ، يجدر بي أن أتوقف عند خصائص المضمون لأتحدّث عن المعاني والأفكار التي تضمنها شعر شواعرنا .

المعاني[1] :

للمعاني أهمية كبرى في تشكيل مادة الأدب ، وهي عنصر من عناصره الأساسية[2]، وما دام الشعر نوعا من أنواع الأدب ، فلا بد من مراعاة المعاني فيه وان كان ((ليس ضروريا في هذا النّوع من الأدب أن يكون ما فيه من المعاني والحقائق جديدا مبتكرا ، كما هو الشأن في العلوم الأخرى ، ذلك لأنّ الابتكار في الأدب لا يعني أن يطرق الأديب موضوعا غير مسبوق أو يعثر على فكر لم تخطر على بال غيره[3])) .

فالشّعر ((وجدان واحساس ينزلق في قالب الكلمات في نسق معين يحقّق لها أداء المعنى ، وأداء الصورة ، وذلك خلال نغم صوتي يلائم نوع هذه التجربة الشعورية[4])) .

---

(1) لن أتعرض هنا لقضية اللفظ والمعنى التي ((تحدث فيها الأدباء والنقاد والدارسون في القديم والحديث واختلفوا فيها اختلافا عريضا ، وبالرغم ما أكثروا في ذلك من النقاش فانها لا تزال موضع جدل واختلاف)) وانما سأتناول ما يعنيني في هذه المسألة وهو معاني الشاعرات الأندلسيات من حيث الوضوح والغموض والجدة والتقليد . . . ولأخذ فكرة مفصلة عن قضية اللفظ والمعنى أنظر الدكتور عبد الرءوف مخلوف : ابن رشيق ونقد الشعر، ص : 133 وما بعدها .

(2) عناصر الأدب هي : العاطفة والمعاني والأسلوب والخيال ، أنظر عنها بالتفصيل أحمد أمين : النقد الأدبي ، ج 1 ، ص : 22 وما بعدها . والدكتور عبد العزيز عتيق : في النقد الأدبي ، ص : 97 وما بعدها .

(3) المرجع السابق ، ص : 134 وانظر أيضا أحمد أمين : المرجع السابق، ص : 47

(4) الدكتور كمال نشأت : في النّقد الأدبي ، دراسة وتطبيق ، ص : 49 ، النجف الأشرف ، مطبعة النّعمان 1970م .

فالشعر اذن يتألف من عدة عناصر ، ومنها عنصر المعنى الذي لا بد منه لتشكيل القصيدة الشعرية .

والشعر الأندلسي بشكل عام يمتاز بالوضوح وسهولة الفهم ، والبعد عن العمق والتكلف ، كما يمتاز بتجنب الغموض والانغلاق ، فكانت معانيه لكل ذلك خالية من الصور الفلسفية الغويصة ، والتراكيب المنطقية التي يحتاج فهمها الى اعمال الفكر، وفي ذلك يقول الدكتور جودت الركابي : ((وقد ظلت معاني الشعر الأندلسي سطحية ليس فيها اكثار من الحكم وطرق المعاني الفلسفية وذلك لعدم اقبال الشعراء والأدباء على الفلسفة العقلية ولانصرافهم الى اللهو والحياة السهلة [1])) .

وفي هذا الاطار يندرج شعر شواعرنا ، وقد تعرضنا الى ذلك بالتفصيل أثناء حديثنا عن أغراض شعرهن .

ووضوح المعاني وسهولتها وخلوها من التفلسف عند شواعرنا ينسجم مع نفسيتهن اللاهية الواضحة المشرقة .

أما من حيث جدّتها أو التقليد فيها ، فهي في جملتها تقليدية ، ومع ذلك فهي تمتاز ببعض الخصائص نستطيع أن نجملها فيما يلي :

1- الافحاش في الهجاء : ويعتبر الافحاش في الهجاء سمة من سمات معاني الشعر النسوي في الأندلس ، وهو خاصية بارزة في شعرهن ، ولعل تسورط النساء الشواعر فيه كان بسبب ضعف الوازع الديني ، وكثرة المثالب والفجور والمفاسد ، وقلة ضوابط الحد في المجتمع الأندلسي ، ولذلك جاء شعرهن الهجائي ضعيفا من حيث قيمته المعنوية ، وفي معانيه اسفاف وسوقية .

2- المبالغة في المدح : تمتاز معانيهن أيضا بالمبالغة في غرض المدح ، وهذا صدر عنهنّ تقليدا للشعراء المشارقة الذين كانوا يتنافسون على المدائح ، ويبدو لنا ذلك جليا في شعر حسانة في مدح الحكم بن هشام وابنه عبد الرحمن وفي شعر عائشة القرطبية في مدح المظفر بن المنصور بن أبي عامر ، وغيرهما [2]

---

[1] في الأدب الأندلسي ، ص : 59

[2] انظر أغراض الشعر النسوي في بحثنا هذا ص : 165 وما بعدها

3 — الغزل الاباحي : في الغالب تمتاز معانيهن في الغزل بالاباحية والمجون والشهوة ، وفي أحايين كثيرة نجد المرأة تطلب الرّجل وتبوح بمشاعرها وحبها بصراحة ، متجاوزة بذلك حواجز التقاليد في المجتمع وموانعها ، كما نرى ذلك عند ولادة وأم الكرام وحفصة بنت الحاج ونزهون وغيرهن ، فهذه المعاني الاباحية لدى شواعر الأندلس لم تكن معروفة لدى شاعرات المشرق .

بين شعر القيان وشعر الحرائر :

قبل البدء في الموازنة بين شعر القيان وشعر الحرائر ، يجدر بنا أن نشير أولا الى أنّ شواعرنا ينتمين الى ثلاث طبقات اجتماعية :

1 — الطبقة الأرستقراطية : وتمثلها الأميرة ولادة ابنة الخليفة المستكفي ، والأميرة أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية ، والأميرة بثينة بنت المعتمد بن عبّاد ملك اشبيلية ، هؤلاء الشواعر الثلاث ينتسبن جميعا الى بيوت المجد والسلطان ، وان كان ما وصلنا من شعر بثينة قليل جدا لا يتجاوز قصيدة واحدة قالتها بعد زوال ملك أبيها .

2 — الطبقة الوسطى : أو طبقة العامة : واليها ينتسب أغلب الشواعر ، ونذكر منهنّ : مهجة بنت التياني القرطبية ، أي : التي كان أبوها يبيع التين ،وحسانة التميمية التي مات أبوها وتركها في رعاية الأقدار ، وحمدونة بنت زياد المؤدب ، وحفصة بنت الحاج الركونية ، وعائشة بنت احمد القرطبية ، ونزهون الغرناطية ، وأم العلاء بنت يوسف الحجارية ، وغيرهنّ ، وكلهن حرائر .

3 — طبقة القيان : وتمثل طبقة الجواري في مجال الشعر نسبة محدودة بالنّسبة للحرائر ، ولكنهنّ كن أكثر سيطرة على الغناء والموسيقى والرقص ، وحضور مجالس اللهو والشراب ، وذلك لأنّهن كن يتمتعن بحرية أوسع مما كانت تتمتع به الحرائر(1)، ونذكر من هؤلاء الشوّاعر القيان ، الغسانية البجانية ،التي

---

(1) أنظر : [illegible] وما بعدها .

بدت الملوك ، وعارضت الشاعر الكبير أحمد بن دراج القسطلي ، وغاية المنى جارية المعتصم بن صمادح ، والعبادية جارية المعتضد ، وقمر جارية ابراهيم بن الحجاج اللخمي وغيرهن .

ومن نتاج هؤلاء وأولئك يتألف الشعر النسوي في الأندلس ، وان كان شعر الحرائر أكثر وفرة من شعر القيان فيما وصلنا ، ومن خلال دراستنا لهذا الشعر نستطيع أن نقيم الموازنة التالية بين شعر القيان وشعر الحرائر :

1 — أنّ الحرائر أطول نفسا من القيان ، شعر الحرائر قصائد ومقطوعات بينما شعر القيان أبيات ومقطوعات فقط حتى أننا لم نعثر ولو على قصيدة واحدة في شعر هؤلاء .

2 — وكذلك من حيث الكمية ، شعر الحرائر أوفر بكثير من شعر القيان الذي لا يمثل الآ نسبة ضئيلة جدا من مجموع أشعار النّساء .

3 — الحرائر أكثر جرأة على طرق موضوع الهجاء والافحاش فيه ، كما عند ولادة ومهجة ونزهون ، وهذا ما لم نعثر عليه في شعر القيان ، وذلك يعود لعدة أسباب ذكرناها عند حديثنا عن الأغراض الشعرية . . . فلتراجع في مكانها .

4 — غزل الحرائر أكثر اباحية ومجونا من غزل القيان كما عند ولادة وحفصة بنت الحاج الركونية وأم الكرام بنت صمادح ، بينما كنا نتوقع العكس لأن وضعية الجواري في المجتمع الأندلسي كانت أحسن من وضعية الحرائر بحيث كنّ يتمتعن بحرية أوسع خصوصا عند من لم يولهنّ الحاكم اهتماما كبيرا (1) .

ويبدو أن الجواري الشاعرات كن ذوات خطوة عند أصحابهم الأمراء ، ولذلك كانوا يغارون عليهن ، ودليلنا على هذا ماحدث لأنس القلوب مع صاحبها المنصور بن أبي عامر لما غنّت من شعرها أبياتا غزلية بحضرته وحضرة الوزير أبي المغيرة بن حزم ، فأحس المنصور أنها تعني الوزير أبا المغيرة ، فاشتعلت نار الغيرة في صدره وهمّ بقتلهما (2) .

---

(1) انظر المرجع السابق ، ص : 33 وما بعدها
(2) انظر القصة كاملة — أنس القلوب في بحثنا هذا —

كما أنّه لم يعرف عن الجواري غزل بالمؤنث كما عرف عن الحرائر ولعل ذلك أيضا يعود للسبب السابق ، أضف الى ذلك أنّ بعض الحرائر تمتعن بحرية لم تعرفها المرأة الحرة من قبل ، وذلك لظروف خاصة بهن كولادة التي توفي أبوها وتركها شابة في مقتبل العمر ، فلم تجد من يرعاها ، فأعطت لنفسها من الحرية فوق ما ينبغي لها أن تكون وكذلك نزهون الغرناطية التي يبدو أنّ أباها توفي وهي صغيرة فلم تجد من يراقبها ، وغيرهما .

وهذا لا يعني أنّ المرأة الحرة كانت تحيا حياتها العاطفية دون مراعاة عادات المجتمع وتقاليده التي تنظم وترتب مجالات الاتصال بين الرجل والمرأة ، بالعكس أنّ تلك النظم كانت تفرض على المرأة ولا سيما الحرة وتتقبلها بالموافقة والرّضا ، كما حدث لأم الكرام بنت المعتصم التي تعلقت بفتى اسمه ((السمار)) تعلقا شديدا ، ولما علم أبوها بعلاقتها قتله ، ولم تحرك الشاعرة العاشقة ساكنا ، فاشاعة الحب بين فتى وفتاة عار لا يغسله الا الدّم ، فهذه الفكرة بقيت مسيطرة على عقول الأندلسيين لكن بعض النساء يرفضن ولا يتقبلن بسهولة تلك العادات والتقاليد المفروضة عليهن كما عند بعض شواعرنا [1] .

5 — بالنسبة للاوزان ، لم أعثر في شعر القيان الا على أربعة بحور فقط هي : الكامل والبسيط والخفيف والرّمل ، بينما الحرائر نظمن على تسعة بحور كاملة ، هي : الطويل والبسيط والكامل والوافر والخفيف والرّمل والسريع والمتقارب والمجتث .

---

(1) أنظر بالتفصيل — صلاح خالص : المرجع السابق ، ص : 33 وما بعدها

وخلاصة القول في هذه المسألة أننا قمنا بنوع من التصنيف الاجتماعي لشواعرنا فوجدنا من ينتسبن من الناحية الاجتماعية الى ثلاث طبقات : الطبقة الأرستقراطية ، الطبقة الوسطى ، طبقة القيان ، ومع ذلك فانهنّ يتوزّعن بين حرائر وقيان ، وعلى هذا الأساس وازنا بين أشعارهن فوجدنا .

أنّ أغلبهن مجيدات سواء منهن الحرائر أو القيان على ضوء القليل الذي وصلنا من أشعارهن غير أنّ الحرائر كنّ أكثر اجادة في الجملة، فشعرهن أكثر وفرة ، ونفسهن أطول ، وموضوعاتهن أوسع ، وعددهن أكثر ، وكنا نتوقّع العكس سيما في موضوع الغزل ، وذلك لأن الجواري أكثر ثقافة من الحرائر حيث كنّ يتلقين دروسا تعدهن للمعرفة في مختلف الفنون وخصوصا الموسيقى والغناء والشعر ، وذلك لكي يرتفع ثمنهن اثناء بيعهن [1]، وكذلك لأنهن أكثر اختلاطا بالرجال في مجالس اللّهو والشراب والغناء .

ومهما يكن من أمر فانّ شعر الحرائر أكثر جودة شكلا ومضمونا ولعل ذلك يعود لكون الشواعر الحرائر أغلبهن من بيوت المجد والسلطان ، ومنهن الأميرات : كولادة وأم الكرام بنت المعتصم ، وبثينة بنت المعتمد بن عباد ، فاعتنى أباؤهن بتعليمهن وتثقيفهن باحضار المعلمات والمعلمين لهنّ الى البيت ، ومنهن من كان أبوها شاعرا كحسانة بنت المخشي التميمية فنشأها على نظم القوافي ...

---

1) صلاح خالص : المرجع السابق ، ص : 41

الخاتمة

الخاتمة

أما وقد أشرفت على نهاية البحث ، فإنّي أشير في إيجاز إلى أهمّ النتائج التي توصّلت إليها .

والبحث كما هو بين يدي القارئ جاء في مقدّمة ومدخل وأربعة فصول ، تحدّثت في المقدّمة عن النقاط الرئيسية للبحث ، وأوضحت فيها أهدافه ، ومصادره ، ومنهجه ، وتحدّثت في المدخل عن المرأة العربية والشعر عبر مراحله المختلفة . . . ثم تناولت في الفصول : الأول والثاني والثالث ، الشعر النسوي الأندلسي في جملته بالدرس والتحليل والنقد بعد أن تابعت أخبار الشاعرات ، ودرست أوضاع مجتمعهن ، وجعلت الفصل الرابع للخصائص الفنية .

وقد أسلمتني الدراسة إلى ما يلي :

1 — أنّ الشّعر النّسوي الأندلسي قبل القرن الخامس الهجري لم يخرج عن التيار المحافظ المتمثل في الاهتمام بالموضوعات التقليدية التي طرقها الشعراء العرب في العصور السالفة كالمديح والغزل والشكوى وغيرهما ، كما سار على نهج الأقدمين في بناء القصيدة ، حيث كانت الشاعرات ينظرن الى موضوعاتهن من خلال مخزونهن الثقافي فيعبّرن عنها بما يمدّهن به ذلك المخزن ، فيترجمن عن تجاربهن ومشاعرهن بفن مشرقي ، أي : أنّ شعرهن في هذه الفترة غير متميز بخصائص أندلسية واضحة ، كما كان عدد الشاعرات قليلا إذا ما قيس بعددهن في الفترة التالية .

2 — أمّا في القرن الخامس ، فقد شهد الشّعر النّسوي تطوّرا واسعا في نواح مختلفة ، ويبدو ذلك فيما يلي :

أ — كان عدد الشاعرات كثيرا في هذه الفترة قياسا إلى الفترتين السّابقة والتّالية ، اذ كان عددهن زهاء عشرين شاعرة .

ب — أقصد الأغراض الشّعرية التي قلن فيها ، هي : الغزل والهجاء ووصف الطبيعة ، ويلاحظ غلبة روح الاباحية والمجون على غزلهن مما يعبّر أصدق تعبير عن الوضع الجديد الذي انتهى إليه المجتمع الأندلسي في هذا القرن .

ج — وفي هذا العصر أيضا شاع بين شواعر الأندلس " الغزل بالمؤنث " أو الجنسية المثلية ، كما عند ولادة وحمدونة بنت زياد ، وهذه الظاهرة لم تكن معروفة لدى شاعرات المشرق ، ممّا يدل دلالة واضحة على انحلال المجتمع الأندلسي بآخرة .

د — وكذلك ظهر بكثرة موضوع الهجاء الذي طرقته المرأة الأندلسية الشاعرة في القرن الخامس الهجري ، وأفحشت فيه وتجرأت على ذكر السوءات وبالألفاظ البذيئة التي يخجل الرّجل من روايتها . كما عند ولادة ومهجة ونزهون وغيرهن .

هـ — وهناك موضوع آخر تميزت به المرأة الأندلسية الشاعرة عن أختها المشرقية ، حيث أباحت الأندلسية لنفسها أن تتغزّل في الرّجل كما يتغزّل الرّجل في المرأة سواء بسواء ، وكان ذلك كله بسبب الحرية المبالغ فيها تلك التي انجرّت إليها المرأة في المجتمع الأندلسي ، وكذلك بسبب ضعف الوازع الدّيني لديهن ، وكثرة المثالب والفجور والمفاسد التي سادت هذه الفترة .

3 — تبيّن لي كذلك من خلال دراستي ، أنّ الشاعرات الأندلسيات لم ينظمن في جميع الأغراض الشعرية المعروفة ، فلم يصلنا شعر لهن في الزّهد أو الفلسفة أو الحماسة ، وكذلك الرّثاء إلّا نادرا ، مع أنّ الرّثاء يعدّ من أهمّ الموضوعات التي نظمت فيها المرأة المشرقية الشاعرة ، وهو أقرب إلى نفسية المرأة التي تعد أرهف احساسا وأقوى عاطفة من الرّجل ، ولعلّ ندرة غرض الرّثاء في أشعار الأندلسيات يعود لظروف إقليمية واجتماعية ذكرتها عند حديثي عن الأغراض .

4 — لاحظت أنّ الأغراض في شعر النساء الأندلسيات لم تكن متداخلة مثلما هو معروف عند الشعراء من اختلاط المديح بالغزل ، أو الفخر بالهجاء ، وهكذا .

ولعل ذلك يعود الى أنّ أغلب شعرهن مقطعات وأبيات إذ لم يعرف عنهن إلا بعض القصائد ، ولذلك كن يدخلن في الموضوع مباشرة دون مقدمات ، والمرأة معروفة بقصر نفسها منذ القديم ، والمطولات في شعر النساء ليست من الكثرة كما هي عند الرجال بصفة عامة .

5 — أمّا من ناحية الأوزان والبحور فإنّ الشاعرات الأندلسيات لم ينظمن في جميع البحور حيث لم أعثر على شعر لهن في سبعة من البحور ، تلك هي : الرّجز ، والمضارع ، والمقتضب ، والهزج ، والمديد والمنسرح ، والمتدارك ، أمّا بقية البحور التي نظمن عليها ، فقد وردت في أشعارهن بنسب متفاوتة ، وقد قمت بترتيبها حسب ترددها

3 ـ تبيّن لي كذلك من خلال دراستي ، أنّ الشاعرات الأندلسيات لم ينظمن في جميع الأغراض الشعرية المعروفة ، فلم يصلنا شعر منهن في الزّهد أو الفلسفة أو الحماسة ، وكذلك الرّثا إلّا نادرا ، مع أنّ الرّثاء يعدّ من أهمّ الموضوعات التي نظمت فيها المرأة المشرقية الشاعرة ، وهو أقرب إلى نفسية المرأة التي تعد أرهف احساسا وأقوى عاطفة من الرّجل ، ولعلّ ندرة غرض الرّثاء في أشعار الأندلسيات يعود لظروف إقليمية واجتماعية ذكرتها عند حديثي عن الأغراض .

4 ـ لاحظت أنّ الأغراض في شعر النساء الأندلسيات لم تكن متداخلة مثلما هو معروف عند الشعراء من اختلاط المديح بالغزل ، أو الفخر بالهجاء ، وهكذا .

ولعل ذلك يعود الى أنّ أغلب شعرهن مقطعات وأبيات إذ لم يعرف عنهن إلا بعض القصائد ، ولذلك كن يدخلن في الموضوع مباشرة دون مقدّمات ، والمرأة معروفة بقصر نفسها منذ القديم ، والمطولات في شعر النساء ليست من الكثرة كما هي عند الرجال بصفة عامة .

5 ـ أمّا من ناحية الأوزان والبحور فإنّ الشاعرات الأندلسيات لم ينظمن في جميع البحور حيث لم أعثر على شعر لهن في سبعة من البحور ، تلك هي : الرّجز ، والمضارع ، والمقتضب ، والهزج ، والمديد والمنسرح ، والمتدارك ، أمّا بقية البحور التي نظمن عليها ، فقد وردت في أشعارهن بنسب متفاوتة ، وقد قمت بترتيبها حسب ترددها

وضعت لهما جدولا أوضحت فيه سلّم التّردد الذي توزّعت فيه أشعارهن، وجدت أنّ الكامل يحتل المرتبة الأولى يليه الطويل ، فالبسيط ، ثم السريع ، فالوافر فالخفيف ، ثم المجتث ، فالرّمل ، وأخيرا المتقارب ..

ـ ثم نظرت في علاقة الأوزان بالأغراض ، فوجدت أنّ شاعراتنا نظمن على كل بحر أغراضا متعددة ، ولاحظت :

ـ أنّهن طرقن غرض الهجاء في الغالب على بحر السريع .

ـ وطرقن غرضي المدح والوصف على بحر الكامل .

ـ ونزعن إلى طرق موضوع الغزل على بحر الطويل .

ـ ولمّا درست القوافي بدا لي أن شاعراتنا اجتنبن القوافي الصعبة الضيقة كالألف والخاء والضاد والطاء والغين والشين وغيرهما ، وتخيرن منها المطلقة ، فكان أغلب شعرهن على قوافي الراء بالدرجة الأولى ، والدال بالدرجة الثانية ، ثم الميم واللام والنون والباء ...

وقمت بإحصائية دقيقة لقوافي الشاعرات حسب تواترها في أشعارهن فوجدت أنّ أغلب أشعارهن على القافية المطلقة ، وكانت أعلى نسبة منه على مجرى الكسرة ، ثم الفتحة ... وقد لاحظت أنّ الشاعرات على العموم يحترمن قواعد القافية فلم أعثر في شعرهن على عيب من عيوبها كالإيطاء والإقواء ...

ـ ولمّا تصدّيت للأساليب والألفاظ وجدتها عربية فصيحة ، لأن الشاعرات اخترن الكلام على الأصل العربي ، ولم يزاوجن بينه وبين الدارج كما فعل بعض الشعراء الأندلسيين .

وقد درست أساليبهن حسب المستويات الثلاثة : المستوى معجمي والمستوى النحوي والمستوى البلاغي (الصور والأخيلة) : فبدأت بتعريف الأسلوب ، ثم تطرّقت الى دراسة أساليبهن وألفاظهن ول ما لاحظته أن أشعار الشاعرات في الجملة تخضع لقاعدة " الوحدات ثلاث " وحدة البحر ، ووحدة القافية ، ووحدة البناء في شكل عمودي .

وقد نظمن على ثلاثة أنواع من الأساليب ، الأسلوب السهل سلس ، الأسلوب الجزل ، الأسلوب السوقي .

ولاحظت أنّ أغلب شعرهن في الغزل ووصف الطبيعة نظم بأسلوب سهل سلس ، وأكثر شعرهن في الهجاء نظم بأسلوب سوقي وبلغة ركيكة مستهجنة ، بينما شعرهن في المدح قيل بأسلوب جزل وبلغة بية ، غير أن السّمة الغالبة على أساليبهن هي سهولة الألفاظ ورقة العبارات ورشاقة التعابير .

- وعند دراستي للمستوى النّحوي تبيّن لي أنّ شعرهن معرب في مجمله ، وأنّهن التزمن قواعد اللغة العربية ، أي : أنهن لم ينظمن في فنون الشعر المستحدثة والتي تبيح اللحن كالموشحات والأزجال وغيرها ، وفي الجملة فإن شعرهن خال من الأخطاء اللغوية الا فيما ندر كما عند قسمونة بنت إسماعيل اليهودي ، وأم السّعد بنت عصام الحميري ، وقد أشرت إلى ذلك في موضعه .

- وأما الصّور والأخيلة في شعر الشاعرات ، فهن كبقية الشعراء يستعملن كلمات المعجم تارة على وجه الحقيقة ، وتارة على وجه المجاز ، ومن خلال دراستي لصورهن وأخيلتهن لاحظت ما يلي :

أ ـ أنهن صغن شعرهن على صور وأخيلة من القديم ـ استعارات ـ تشبيهات ـ كنايات ـ محسنات بديعية .

ب ـ أن أخيلتهن منتزعة أحيانا من الطبيعة الأندلسية الفاتنة بمظاهرها : الحية والصامتة ، وأنها مستمدة أحيانا أخرى من مخزونهن الثقافي ، أي : مقلدات فيها للمشارقة .

ج ـ أن بعضهن اعتمدن في بناء صورهن وأخيلتهن على المبالغة والتفخيم والزعم والادعاء .

د ـ أن جل الصور والأخيلة في أسلوبهن منبثق من المدارك الحسية ، وكانت حاسة البصر أنشطها في تشكيل الصور أي : أنهن بصريات اهتممن في أخيلتهن بالمرئيات ، حيث كان إدراكهن للمرئيات واضحا ودقيقا ومستوعبا . . . وكان لحاسة السمع بعض الحضور في عمل الخيال ، وكذلك حاستي الشم والذوق ، أما حاسة اللمس فتبدو كالمعطلة بحيث لم أعثر على صور تدرك بحاسة اللمس .

II ـ ولما وازنت بين شعر الحرائر وشعر القيان ، وجدت :

أ ـ أن الحرائر أطول نفسا من القيان ، فشعر الحرائر قصائد ومقطوعات ، بينما شعر القيان أبيات ومقطوعات فقط حيث أنني لم أعثر ولو على قصيدة واحدة في شعر القيان .

ب ـ وكذلك من حيث الكمية وجدت شعر الحرائر أوفر بكثير من شعر القيان الذي لا يمثل إلا نسبة ضئيلة جدا من مجموع أشعار النساء .

ج — أنّ الحرائر أكثر جرأة على طرق موضوع الهجاء والإفحاش فيه كما عند ولادة ومهجة ونزهون .

د — أنّ غزل الحرائر أكثر إباحية ومجونا من غزل القيان كما عند ولادة وحفصة بنت الحاج الركونية وأم الكرام بنت صمادح، كما لم يعرف عن الجواري غزل بالمؤنث، كما عرف عن الحرائر، وذلك يعود لعدة أسباب، ذكرتها في مكانها .

وهكذا كان شعر الشاعرات، ولا سيما شعر الحرائر من حيث قيمته الفنية في مجمله جيدا في وصف الطبيعة وموفقا في الغزل والمدح وضعيفا جدا في الهجاء .

بقي أن أشير إلى أنّ الشاعرات الأندلسيات كنّ يتفوّقن أحيانا على الشعراء، وقد مرّت معنا قصة زواج المعتمد بن عباد بالرميكية الشاعرة بسبب اجازتها له بشطر بيت عجز ابن عمار نسوه الشاعر .

وكان بعضهن ناقدات مجيدات كولّادة التي نقدت ابن زيدون في قصيدته التي نظمها في ابن السقاء .

وبعد، فقد بذلت ما استطعت، وأرجو أن أكون قد وفقت وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أنيب .

المصادر والمراجع

أ ـ المصادر والمراجع العربية

أولا : المخطوطة :

1 ـ ابن الأبار ، أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي : تحفة القادم (مخطوط الأسكوريال برقم : 352)

2 ـ ابن بشكوال ، أبو القاسم : الصلة (مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد برقم : xxx 4900).

3 ـ ابن الخطيب ، لسان الدين : الإحاطة في أخبار غرناطة (مخطوط الأسكوريال برقم : 1673) .

ثانيا : المطبوعة :

1 ـ ابن الأبار (أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي) : الحلة السيراء ، تحقيق : حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1963 ، ط 1 ، جزآن .

2 ـ ابن الأبار (أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي) : المقتضب من كتاب تحفة القادم ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 ، ط 2 .

3 ـ ابن الأثير (علي بن أبي الكرم) : الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1980 ، ط 3 .

4ـ الأحمدي (موسى بن محمد بن الملياني) :

المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي ، طبعة بيروت ، 1969 ، ط 2 .

5ـ الأخيلية (ليلى) :

الديوان ، جمع وتحقيق : خليل إبراهيم العطية وجليل العطية ، طبعة بغداد ، 1967 .

6ـ أرسلان (الأمير شكيب) :

الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (د . ت) .

7ـ أرنولد (سير توماس) وآخرون :

تراث الاسلام ، تعريب : جرجيس فتح الله ، دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت ، 1973 ، ط 3 .

8ـ إسماعيل (عز الدين) :

التفسير النفسي للأدب ، دار العودة ، بيروت ، 1981 ، ط 4 .

9ـ أشباخ (يوسف) :

تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1940 .

10 ـ الأصفهاني (العماد) :
الخريدة ـ قسم شعراء المغرب والأندلس ـ
ج 1 ، تحقيق : محمد المرزوقي وآخرون ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1966 .
ج 2 ، تحقيق : آذرتاش ، آذرنوش ... الدار التونسية للنشر ، 1971 .
ج 3 ، تحقيق : آذرتاش ، آذرنوش ... الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر . الدار التونسية للنشر ، 1972 .

11 ـ الأصفهاني (أبو الفرج) :
الأغاني ، المجلد 19 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1973 ، ط 4 .

12 ـ الألبيري (أبو اسحاق) :
الديوان ، تحقيق : أميليوغرسية غومس ، طبعة ـ مدريد ، غرناطة ـ 1940 .

13 ـ أمين (أحمد) :
ظهر الإسلام ، ج 3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1969 ، ط 5 .

14 ـ أمين (أحمد) :
النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1963 ، ط 3 .

15 ـ أنيس (إبراهيم) :
الأصوات اللغوية ، طبعة مصر ، 1957 ، ط 5 .

16 ـ أنيس (إبراهيم) :
موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1981 ، ط 5 .

17 ـ الأهواني (عبد العزيز) :
الزجل في الأندلس ، مطبوعات جامعة الدول العربية ، القاهرة ، 1957 .

18 ـ الأوسي (حكمة علي) :
فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، مكتبة النهضة ، بغداد ، 1974 ، ط 2 .

19 ـ بالنثيا (أنخل) :
تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ، 1955 .

20 ـ البحتري (الوليد بن عبيد الله) :
الحماسة ، طبعة الرحمانية بالقاهرة ، 1929 .

21 ـ بدر (أحمد) :
تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1973 .

22 ـ بروفنسال (ليفي) :
حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (د . ت) .

23 ـ ابن بسام (أبو الحسن الشنتريني) :
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، 1975 . (القسم الأول ، المجلد الأول) .

24 ـ البستاني (بطرس) :
أدباء العرب في الأندلس وعصر الأبعاث ، دار المكشوف ، دار الثقافة ، بيروت ، 1968 ، ط 6 .

25 ـ البستاني (فؤاد أفرام) :
الحطيئة (سلسلة الروائع) ، دار المشرق ، بيروت ، 1980 ، ط 6 .

26 ـ البستاني (فؤاد أفرام) :
ابن زيدون (سلسلة الروائع 51) ، دار المشرق ، بيروت ، 1982 ، ط 5 .

27 ـ ابن بشكوال (أبو القاسم) :
كتاب الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1955 .

28 ـ البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) :
أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق : عبد الحميد حاجيات ، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع ، الجزائر ، 1395 هـ ـ 1975 م .

29 ـ بيضون (إبراهيم) :
الدّولة العربية في إسبانيا ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980 ، ط 2 .

30 ـ ابن تغري بردي (أبو الحسن يوسف) :
النجوم الزاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1935 .

31 ـ الثعالبي (أبو منصور) :
يتيمة الدهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، 1973 ، ط 2 (المجلد الأول : ج 1 ، ج 2) .

32 ـ الجبّار (مدحت سعد محمد) :
الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .

33 ـ جبير (عبد الرحمن) :
ابن خفاجة الأندلسي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1401 هـ ـ 1981 م ، ط 2 .

34 ـ الجرجاني (عبد القادر) :
دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمد عبده والشنقيطي ، مطبعة المنار بمصر ، 1365 هـ .

35 ـ ابن جعفر (قدامة أبو الفرج) :
نقد الشعر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .

36 ـ جماعة من أهل الاختصاص (تأليف وترجمة) :
حياتنا الجنسية ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1971 .

37 ـ الجوزو (مصطفى) :
نظريات الشعر عند العرب ، دار الطليعة ، بيروت ، 1981 ، ط 1 .

38 — حجاجي (حمدان) :

حياة وآثار الشاعر الأندلسي — ابن خفاجة — الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ط2

39 — حسين (طه) :

من حديث الشعر والنثر ، طبعة القاهرة ، 1936 .

40 — حقي (ممدوح) :

العروض الواضح ، منشورات المكتبة العمومية بدمشق ، 1940 .

41 — الحموي (ياقوت) :

معجم الأدباء ، ج 10 ، طبعة القاهرة ، 1938 .

42 — الحموي (ياقوت) :

معجم البلدان ، المجلد الأول ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1955 .

43 — الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر) :

جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1983 ، ط 2 .

44 — الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) :

صفة جزيرة الأندلس — منتخبة من كتاب الروض المعطار — تحقيق : ليفي بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1937 .

45 _ الحنبلي (ابن العماد):

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (د . ت) .

46 _ حومد (أسعد):

محنة العرب في الأندلس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1400 هـ ، 1980 ، ط 1 .

47 _ ابن حيان (أبومروان القرطبي):

المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، 1965 .

48 _ ابن حيان (أبومروان القرطبي):

المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تحقيق : محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان 1393 هـ _ 1973 م .

49 _ الخازن (وليم):

ابن زيدون ، أثر ولادة في حياته وأدبه ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (د . ت) .

50 _ ابن خاقان (الفتح):

قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، مصورة عن طبعة باريس ، قدم له ووضع فهارسه : محمد العنابي ، نشر المكتبة العتيقة ، تونس ، 1966 .

51 ـ ابن خاقان (الفتح) :
مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ـ القسم الأول ـ تحقيق : هدى شوكة بهنام ، نشر مجلة المورد العراقية ، العدد : 2 ، 1401 هـ ، 1981 .

52 ـ خالص (صلاح) :
اشبيلية في القرن الخامس الهجري ، ، دار الثقافة ، بيروت ، 1981 .

53 ـ أبو الخشب (ابراهيم) :
تاريخ الأدب العربي في الأندلس ، طبع ونشر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1966 ، ط 1 .

54 ـ الخشني (أبو عبد الله محمد) :
قضاة قرطبة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1966 .

55 ـ ابن الخطيب (لسان الدين) :
الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، دار المعارف بمصر (د . ت) .

56 ـ ابن الخطيب (لسان الدين) :
أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق : إ . ليفي بروفنسال ، تحت عنوان : تاريخ إسبانيا الإسلامية ، دار المكشوف ، بيروت ، 1956 ، ط 2 .

57 ـ ابن خفاجة (أبو إسحاق ابراهيم) :
الديوان ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1400 هـ ، 1980 .

58 — الخفاجي (الحلبي) :

سر الفصاحة ، طبعة القاهرة ، 1969 .

59 — خلاف (محمد عبد الوهاب) :

قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي — الخامس الهجري ، الدار التونسية للنشر ، 1984 .

60 — ابن خلدون (عبد الرحمن) :

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ... ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، 1958 .

61 — ابن خلكان (شمس الدين احمد بن محمد) :

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان (د . ت)

62 — أبو خليل (شوقي) :

الزّلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين ، دار الفكر ، دمشق ، 1930 ، ط 2 .

63 — الخنساء (تماضر بنت عمرو السلمية) :

الديوان ، طبعة دار التراث ، بيروت ، 1968 م .

64 — الدّاية (محمد رضوان) :

الأدب الأندلسي والمغربي ، مطبعة خالد بن الوليد ، دمشق ، 1400 هـ — 1980 م .

65 — الدّغلي (محمد سعيد) :

الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي ، 1404 هـ ، 1984 م .
(لم يذكر مكان الطبع) ط 1 .

66 - الدقاق (عمر) :

ملامح الشعر الأندلسي ، مطبعة جامعة حلب ، سوريا ، 1978 ، ط 3 .

67 - ابن ذريل (عدنان) :

اللغة والأسلوب ، طبعة دمشق ، 1980 .

68 - ذو الرمة (غيلان بن عقبة) :

الديوان ، عني بتصحيحه وتنقيحه : كارليل هنري هيس مكارتني ، طبعة كلية كمبريدج ، 1919 .

69 - الرافعي (مصطفى صادق) :

تاريخ آداب العرب ، ج 3 ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1394 هـ - 1974 م .

70 - ابن رشيق (أبو الحسن القيرواني) :

الديوان ، جمعه عبد الرحمن ياغي ، طبعة دار الثقافة ، بيروت ، (د . ت) .

71 - ابن رشيق (أبو الحسن القيرواني) :

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، لبنان ، 1401 هـ - 1981م ، ط 5 .

72 - الركابي (جودت) :

في الأدب الأندلسي ، دار المعارف بمصر ، 1970 ، ط 3 .

73 - ريبيرا (خوليان) :
التربية الإسلامية في الأندلس ، ترجمة : الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ،(د . ت) .

74 - الريسوني (محمد المنتصر) :
الشعر النسوي في الأندلس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1978 .

75 - الريسوني (محمد المنتصر) :
قضية المعتمد بن عباد وابن تاشفين في ميزان الحقيقة ، مجلة المعرفة السورية ، العدد : 30، 1964 .

76 - الزركلي (خير الدين) :
الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1980، ط 5 .

77 - زيادة (مي) :
حلية الطراز ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1952 .

78 - ابن زيدون :
الديوان ، تحقيق : علي عبد العظيم ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة ، 1957 .

79 - سالم (عبد العزيز) :
تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1969 ، ط 1 .

80 ـ سراج (حسين) :
غرام ولادة (مسرحية شعرية) ، مطبعة دار المعارف بمصر ، 1952 .

81 ـ ابن سعيد (عبد الملك) :
الرايات ، تحقيق : النّعمان عبد المتعال القاضي ط لجنة احياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، 1973 .

82 ـ ابن سعيد (عبد الملك) :
المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، 1964 ، ط 2 .

83 ـ السعيد (محمد مجيد) :
الشعر في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، دار الرشيد للنشر ، 1980 .

84 ـ سفر آغا ، عمر توفيق :
علم العروض ، منشورات مكتبة الرشاد ، بيروت ، 1969 ، ط 1 .

85 ـ ابن سلام (الجمحي) :
طبقات الشعراء ، طبعة بريل ، ليدن ، 1913م .

86 ـ ابن سينا) :
فن الشّعر من قسم المنطق من الشفاء ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، النهضة المصرية ، القاهرة ، 1953 .

87 — السّيوطي (جلال الدين) :
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، دار المعرفة ، بيروت (د . ت) .

88 — ابن شاكر (الكتبي) :
فوات الوفيات ... ج 4 ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1974 .

89 — شاك (فون) :
الفن العربي في اسبانيا وصقلية ، ترجمة : الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1980 .

90 — الشايب (أحمد) :
الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مكتبة النهضة المصرية ، 1396 هـ — 1976 م .

91 — الشكعة (مصطفى) :
الأدب الأندلسي ، موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1979 ، ط 4 .

92 — شلبي (سعد إسماعيل) :
دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، 1973 .

93 — شوقي (أحمد) :
أميرة الأندلس (مسرحية نثرية) ، دار العودة ، بيروت ، 1981 .

94 — ابن أبي صاحب الصلاة :
تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين . . . تحقيق :
الهادي التازي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،
1969 .

95 — صبح (محمود) :
ابن زيدون شاعر قرطبة ، منشورات المعهد
الإسباني العربي للثقافة بمدريد ، 1979 .

96 — الصفدي (صلاح الدين) :
تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق :
محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ،
القاهرة ، 1969 .

97 — الصّفدي (صلاح الدين) :
الوافي بالوفيات ، ج 8 ، اعتناء : محمد يوسف نجم ،
دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن ، ألمانيا ، 1971 .

98 — صفوان (أبو بحر) :
زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، دار
الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، 1970 .

99 — صقر (عبد البديع) :
شاعرات العرب ، المكتب الإسلامي ، قطر ،
1387 هـ — 1967 م ، ط 1 .

100 — صوايا ، ميخائيل : سليمان البستاني ((أعلام الفكر العربي)) ، منشورات
دار الشرق الجديدة ، بيروت .

101 ـ الضبي ، أحمد بن عميرة) :
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ،
نشر : ف ، كوديرا ، و ج ، ريبيرا ، مجريط
(مدريد) 1884 .

102 ـ ضيف (شوقي) :
ابن زيدون ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ،
1975 ، ط. 5 .

103 ـ ضيف (شوقي) :
فصول في الشعر ونقده ، دار المعارف
بمصر ، (د . ت) ط 1 .

104 ـ ضيف (شوقي) :
الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف
بمصر ، 1974 ، ط 3 .

105 ـ الطرابلسي (محمد الهادي) :
خصائص الأسلوب في الشوقيات منشورات
الجامعة التونسية ، 1981 .

106 ـ طلفاح (خير الله) :
حضارة العرب في الأندلس ، ج 5 ، دار الحرية
للطباعة ، بغداد ، 1397 هـ ـ 1977 م .

107 ـ طيفور (أحمد بن أبي طاهر) :
بلاغات النساء ، دار النهضة الحديثة ،
بيروت ، 1972 .

108 ـ عابدين (عبد المجيد) :
دراسة تحليلية نقدية لنماذج من الشعر الأندلسي ، دار الكتاب ، بيروت ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم .

109 ـ ابن عباد (المعتمد) :
الديوان ، تحقيق : رضا الحبيب السويسي ، الدار التونسية للنشر ، 1975 .

110 ـ العبادي (أحمد مختار) :
في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1978 .

111 ـ عباس (إحسان) :
تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1981 ، ط 6 .

112 ـ عباس (إحسان) :
تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1978 ، ط 5 .

113 ـ عباس (إحسان ورفيقه) :
دراسات في الأدب الأندلسي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ليبيا ، 1976 .

114 ـ عبد الحليم (عبد اللطيف) :
نقد لكتاب الإحاطة ، مقال بمجلة أوراق الاسبانية ، العدد : 4 سنة 1981 .

115 — ابن عبد ربه (أحمد بن محمد) :
العقد الفريد ، ج 4 ، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1983 .

116 — عبد الرحمن (عائشة) :
الشاعرة العربية المعاصرة ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1965 ، ط 2 .

117 — عبد الرحمن (عائشة) :
الخنساء (سلسلة نوابغ الفكر العربي) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1976 .

118 — عبد العظيم (علي) :
ابن زيدون ، عصره وحياته وأدبه ، مطبعة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1955 .

119 — عبد الله (عبد العزيز) :
المرأة المراكشية في الحقل الفكري ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد السادس ، العدد : 1، 2 ، سنة 1958 .

120 — العسلي (بسام) :
المعتمد وابن تاشفين ، دار النفائس ، بيروت ، 1981 ، ط 1 .

121 — العشاش (الطيب) وماجد (جعفر) :
ابن زيدون ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1980 .

122 - المشاوي (محمد زكي) :
قضايا النّقد القديم والحديث ، دار النهضة
العربية ، بيروت ، 1979 .

123 - عتيق (عبد العزيز) :
الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية ،
للطباعة والنشر ، بيروت ، 1976 .

124 - عتيق (عبد العزيز) :
في النقد الأدبي ، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر ، بيروت ، 1972 ، ط 2 .

125 - عصار (خير الله) :
مقدمة لعلم النفس الأدبي ، ديوان المطبوعات
الجامعية ، الجزائر ، 1982 .

126 - عصفور (جابر أحمد) :
مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ،
المركز العربي للثقافة والعلوم ، 1982 .

127 - عفيفي (محمد الصادق) :
النقّد التطبيقي والموازنات ، مكتبة الوحدة
العربية ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1972 .

128 - العقاد (عباس محمود) :
ابن رشد ، دار المعارف بمصر ، 1957 .

129 - العمروسي (فايد) :
الجواري المغنيات ، دار المعارف بمصر ، 1961 .

130 — عنان (عبد الله) :
دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1960 .

131 — عوني (عبد الرؤوف محمد) :
القافية والأصوات اللغوية ، دراسة مقارنة ، القاهرة ، 1977 .

132 — عياد (شكري محمد) :
موسيقى الشعر العربي ، مشروع دراسة علمية ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1978 ، ط 2 .

133 — غريب (جورج) :
شاعرات العرب في الجاهلية ، دار الثقافة ، بيروت ، 1934 ، ط 1 .

134 — غريب (روز) :
نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1400 هـ — 1980 م ، ط 1 .

135 — غومس (اميليو غرسيا) :
الشعر الأندلسي ، ترجمة : حسين مؤنس ، طبعة مصر ، 1952 .

136 — غومث (اميليو غرسية) :
مع شعراء الأندلس والمتنبي ، ترجمة : الطاهر احمد مكي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1974 ، ط 1 .

13 - الفحام (شاكر) :

مختارات من شعر الأندلس ، المطبعة التعاونية بدمشق ، سوريا ، 1399 هـ - 1979م .

13 - فروخ (عمر) تاريخ الأدب العربي ، ج 4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1981 ، ط 1 .

13 - الفقي (محمد كامل) :

في الأدب الأندلسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1975 ، ط 1 .

140 - فيصل (شكري) :

تطور الغزل بين الجاهلية ، والإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1982 ، ط 6 .

141 - القرطاجني (حازم) :

منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجه ، دار المغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1981 ، ط 2 .

142 - القسطلي (ابن دراج) :

الديوان ، تحقيق : محمود علي مكي ، طبعة دمشق ، 1961 ، ط 1 .

143 - ابن قنفذ القسنطيني (أحمد بن حسن) :

كتاب الوفيات ، تحقيق : عادل نويهض ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1400 هـ ، 1980 ، ط 3 .

14 ـ ابن القوطية القرطبي :

تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، نشر دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 ، ط 1 .

14 ـ ابن قيم الجوزية :

أخبار النساء ، تحقيق : نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1979 .

14 ـ كحالة (عمر رضا) :

أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1402 هـ ـ 1982 م ، ط 4 .

14 ـ كحالة (عمر رضا) :

المرأة في عالمي العرب والإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1402 هـ ـ 1982م ، ط 2 .

14 ـ ابن الكردبوس :

تاريخ الأندلس ، تحقيق : أحمد مختار العبادي ، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، 1971 .

14 ـ كرد (علي محمد) :

الإسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1959 .

15 ـ الكيلاني (إبراهيم) :

أدبيات من الغرب ، منشورات دار الرواد ، دمشق ، سوريا ، (د . ت) .

1 — مؤنس (حسين) :
فجر الأندلس الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة ،
1985 ، ط 2 .

1 — المتنبي (أبو الطيب) :
الديوان ، شرح أبي البقاء العكبري ، ضبطه
وصحّحه مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ،
عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة للطباعة
والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1978 .

15 — المحامي (محمد كامل حسن) :
الحب والجنس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،
لبنان ، 1974 .

15 — مخلوف (عبد الرءوف) :
ابن رشيق ونقد الشعر ، نشر وكالة المطبوعات ،
الكويت ، 1973 ، ط 1 .

15 — مدلج (جودت) :
الحب في الأندلس ، دار لسان العرب ، بيروت ،
لبنان ، 1405 هـ — 1985 م ط 1 .

15 — المراكشي (ابن عذاري) :
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،
تحقيق : ج . س . كولان — و . ا . ليفي بروفنسال ،
دار الثقافة ، بيروت ، 1983 ، ط 3 .

157 - المراكشي (محمد بن عبد الملك) :
الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الخامس ، القسم الثاني ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1965 .

158 - المراكشي (عبد الواحد بن علي التميمي) :
من كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب ((دولة الموحدين)) ، اختيار وتقديم : أحمد بدر ، مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق ، 1978 .

159 - المراكشي (عبد الواحد بن علي التميمي) :
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، طبعة القاهرة ، 1963 .

160 - المرزباني (أبو عبد الله محمد) :
الموشح ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر القاهرة ، 1965 .

161 - المقري (أحمد بن محمد التلمساني) :
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968 .

162 - مكي (محمود علي) :
وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، (مقال) في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد : 7 و 8 سنة 1959 ، 1960 .

163 - مكي (الطاهر أحمد) :
دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1980 ، ط 1 .

164 — مكي (الطاهر أحمد):
دراسات عن ابن حزم وكتابه ((طوق الحمامة))، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1981، ط 3.

165 — مكي (الطاهر أحمد):
الصالونات الأدبية في الشرق والغرب (مقال) في مجلة ((الدوحة)) القطرية، العدد: 103، 1984.

166 — مندور (محمد):
في الأدب والنقد، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر، القاهرة، 1952.

167 — ميسوم (عبد الإله):
تأثير الموشحات في التروبادور، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

168 — ناصف (مصطفى):
الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ط 2.

169 — ابن نباتة المصري (جمال الدين):
سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1964.

170 — النباهي (أبو الحسن):
المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، طبعة ليفي بروفنسال تحت عنوان: تاريخ قضاة الأندلس، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د. ت).

17 — نشأت (كمال) :

في النقد الأدبي ، دراسة وتطبيق ، النّجف الأشرف ، مطبعة النعمان ، 1970 .

17 — أبو نواس (الحسن بن هاني) :

الديوان ، تحقيق : أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1982 .

17 — هونكة (زيغريد) :

شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون ، كمال دسوقي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1981 ، ط 6 .

17 — هيكل (أحمد) :

الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1979 ، ط 7 .

17 — وليم .ك . منجر مدروليف :

أضواء الطب النّفسي على الشخصية والسلوك ، ترجمة : محمد أحمد غالي ، مكتبة القاهرة الحديثة ، 1966 .

17 — وهبة مجدي ، وكامل المهندس :

معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1979 .

17 — ويلّيك ، رينيه ، أوستن وارين :

نظرية الأدب ترجمة : محي الدين صبحي ، مطبعة خالد الطرابيشي ، 1972 .

17 — يمـوت (بشيـر) :

شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، 1353 هـ — 1934 م ، ط 1 .

17 — مؤلف (مجهول) :

أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها . . . تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981 .

ثالثا : الدوريات :

1 – أوراق : مجلة ثقافية يصدرها المعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد ، العدد الرابع ، 1981 .

2 – الدوحة : مجلة ثقافية جامعة تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر العدد 103 ، 1984 .

3 – صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، يصدرها معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد السادس ، العدد : 1 – 2 ، 1958 ، والمجلد السابع والثامن ، 1959 ، 1960 .

4 – المعرفة : مجلة ثقافية تصدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي بسوريا ، العدد : 30 ، 1964 .

5 – المورد : مجلة تراثية فصلية ، تصدرها وزارة الثقافة والإعلام بالعراق ، المجلد العاشر ، العدد : 2 ، 1981 .

ب — المراجع الأجنبية

1) Dozy, Reinhart: Histoire des musulmans d'Espagne Jusqu'à la conqué de l'Andalousie par les almoravides :
711 - 1110.Leyde E.J. Brill 1932.

2) Lévi - provençal, E , : histoire de l'Espagne musulmane :
Tome II le califat Umaiyade de cordoue 912 -1031 G.P maisonneuve Paris E.J Brill leiden 1950.

3) Pérés - Henri : La poésie Andalouse en Arabe classique au XIé Siécle, Paris (Ardien Mais onneuve) 1953.

4) Salah - Khalis : La vie litteraire a sevillle au XIé Siecle.
S N E D. ALGER.1966

الفهرس

الفهرس

الفصل الثالث

الشعر النسوي الأندلسي

بعد

القرن الخامس الهجري

الفصل الرابع
الخصائص الفنية للشعر النسوي الأندلسي